الفقه الاكبر للامام الاعظم (رحمة الله تعالى عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

اصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه يجب ان يقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله تعالى والحساب والميزان والجنة والنار حق كله والله تعالى واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق انه لا شريك له قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد * ولا يشبهه شيء من الاشياء من خلقه ولا يشبه شيئا من خلقه لم يزل ولا يزال باسمائه وصفاته الذاتية والفعلية * اما الذاتية فالحيوة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والارادة * واما الفعلية فالتخليق والترزيق والانشاء والابداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل لم يزل ولا يزال باسمائه وصفاته لم يحدث له اسم ولا صفة * لم يزل عالما بعلمه والعلم صفة في الازل وقادرا بقدرته والقدرة صفة في الازل ومتكلما بكلامه والكلام صفة في الازل وخالقا بتخليقه والتخليق صفة في الازل وفاعلا بفعله والفعل صفة في الازل * والفاعل هو الله تعالى * والفعل صفة في الازل والمفعول مخلوق وفعل الله تعالى غير مخلوق * والتخليق هو المقدرة * وصفاته في الازل غير محدثة ولا مخلوقة فمن قال انها مخلوقة او محدثة او وقف او شك فيهما فهو كافر بالله تعالى * والقرآن كلام الله تعالى في المصاحف مكتوب وفي القلوب محفوظ وعلى الالسن مقروء وعلى النبي صلى الله عليه وسلم منزل * ولفظنا بالقرآن مخلوق وكتابتنا له وقرائتنا له مخلوق والقرآن غير مخلوق * وما ذكر الله تعالى في القرآن حكاية عن موسى وغيره من الانبياء عليهم السلام وعن فرعون وابليس فان ذلك كله كلام الله تعالى اخبارا عنهم * وكلام الله تعالى غير مخلوق وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق * والقرآن كلام الله تعالى فهو قديم لا كلامهم وسمع

موسى كلام الله تعالى قال الله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) وقد كان الله تعالى متكلما ولم يكن كلم موسى عليه السلام * وقد كان الله تعالى خالقا في الازل ولم يخلق الخلق فلما كلم موسى كلمه بكلامه الذى هو له صفة في الازل * وصفاته كلها في الازل بخلاف صفات المخلوقين * يعلم لا كعلمنا * ويقدر لا كقدرتنا * ويرى لا كرؤيتنا * ويسمع لا كسمعنا * ويتكلم لا ككلامنا * ونحن نتكلم بالآلات والحروف والله تعالى يتكلم بلا آلات ولا حروف * والحروف مخلوقة وكلام الله تعالى غير مخلوق * وهو شيء لا كالاشياء * ومعنى الشيء اثباته بلا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا حد له ولا ضد له ولا ند له ولا مثل له وله يد ونفس ووجه * فما ذكر الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف * ولا يقال ان يده قدرته او نعمته لان فيه ابطال الصفة * وهو قول اهل القدر والاعتزال ولكن يده صفته بلا كيف * وغضبه ورضاؤه صفتان من صفاته تعالى بلا كيف * خلق الله تعالى الاشياء لا من شيء * وكان الله عالما في الازل بالاشياء قبل كونها وهو الذى قدر الاشياء وقضاها ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء الا بمشيته وعلمه وقضائه وقدره وكتبه في اللوح المحفوظ ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم * والقضاء والقدر والمشية صفاته في الازل بلا كيف * يعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدوما ويعلم انه كيف يكون اذا اوجده * ويعلم الله تعالى الموجود في حال وجوده موجودا ويعلم انه كيف يكون فناؤه * ويعلم الله تعالى القائم في حال قيامه قائما فاذا قعد فقد علمه قاعدا في حال قعوده من غير ان يتغير علمه او يحدث له علم ولكن التغير واختلاف الاحوال يحدث في المخلوقين * خلق الخلق سليما من الكفر والايمان ثم خاطبهم وامرهم ونهاهم * فكفر من كفر بفعله وانكاره وجحوده الحق بخذلان الله تعالى * ومن آمن آمن بفعله واقراره وتصديقه بتوفيق الله اياه ونصرته له * اخرج ذرية آدم من صلبه فجعلهم عقلاء فخاطبهم وامرهم بالايمان ونهاهم عن الكفر فاقروا له بالربوبية فكان ذلك منهم ايمانا فهم يولدون على تلك الفطرة ومن كفر بعد ذلك فقد بدل وغير * ومن آمن وصدق ثبت عليه ودام ولم يجبر احدا من خلقه على الكفر ولا على الايمان ولا خلقهم مؤمنا ولا كافرا * ولكن خلقهم اشخاصا * والايمان والكفر فعل العباد ويعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافرا فاذا آمن بعد ذلك علمه مؤمنا في حال ايمانه واحبه من غير ان يتغير علمه وصفته * وجميع افعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله تعالى خالقها وهي كلها بمشيته وعلمه وقضائه وقدرته * والطاعات كلها ما كانت واجبة بامر الله تعالى وبمحبته وبرضائه وبمشيته وقضائه وتقديره والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيته لا بمحبته ولا برضائه ولا بامره * والانبياء عليهم السلام كلهم منزهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبايح وقد كانت منهم زلات وخطيآت * ومحمد صلى الله عليه وسلم حبيبه وعبده ورسوله ونبيه وصفيه ومنقيه ولم يعبد الصنم ولم يشرك بالله طرفة عين قط ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط * افضل الناس بعد النبيين عليهم الصلوة والسلام ابو بكر رضى الله عنه وهو الصديق * ثم عمر بن الخطاب الفاروق رضى الله تعالى عنه * ثم عثمان بن عفان ذو النورين

رضى الله عنه * ثم على بن ابى طالب المرتضى رضى الله عنه * رضوان الله عليهم اجمعين * عابدين على الحق ومع الحق نوليهم جميعا * ولانذكر الصحابة الا بخير * ولانكفر مسلما بذنب من الذنوب وان كانت كبيرة اذا لم يستحلها * ولانزيل عنه اسم الايمان ونسميه مؤمنا حقيقة * ويجوز ان يكون مؤمنا فاسقا غير كافر * والمسح على الخفين سنة * والتراويح فى شهر رمضان سنة * والصلوة خلف كل بر وفاجر من المؤمنين جائزة * ولانقول ان المؤمن لايضره الذنوب ولانقول وانه لايدخل النار * ولانقول انه يخلد فيها وان كان فاسقا بعد ان يخرج من الدنيا مؤمنا * ولانقول ان حسناتنا مقبولة وسيآتنا مغفورة * كقول المرجئة * ولكن نقول من عمل حسنة بشرايطها خالية عن العيوب المفسدة والمعانى المبطلة ولم يبطلها بالكفر والردة حتى خرج من الدنيا مؤمنا فان الله تعالى لايضيعها بل يقبلها منه ويثيبه عليها وما كان من السيآت دون الشرك والكفر ولم يتب عنها صاحبها فانه فى مشية الله ان شاء عذبه وان شاء عفى عنه ولم يعذبه بالنار ابدا * والرياء اذا وقع فى عمل من الاعمال فانه يبطل اجره وكذا العجب * والآيات ثابتة للانبياء * والكرامات حق للاولياء * واما التى تكون لاعدائه مثل ابليس وفرعون والدجال مما روى فمارروى فى الاخبار انه كان ويكون لهم فلا نسميها آيات ولا كرامات ولكن نسميها قضاء حاجاتهم وذلك قد تكون للاعداء لان الله تعالى يقضى حاجات اعدائه استدراجا وعقوبة لهم فيغترون به ويزدادون طغيانا وكفرا وذلك كله جائز وممكن * وكان الله تعالى خالقا قبل ان يخلق * ورازقا قبل ان يرزق * والله تعالى يرى فى الآخرة ويراه المؤمنون وهم فى الجنة باعين رؤسهم بلاتشبيه ولا كيفية ولايكون بينه وبين خلقه مسافة * والايمان هو الاقرار والتصديق * وايمان اهل السماء والارض لايزيد ولاينقص * من جهة المؤمن به ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق والمؤمنون مستوون فى الايمان والتوحيد * متفضلون فى الاعمال * والاسلام هو التسليم والانقياد لاوامر الله تعالى (فمن طريق اللغة فرق بين الايمان والاسلام ولكن لايكون ايمان بلا اسلام ولا اسلام بلا ايمان فهما كالظهر مع البطن * والدين اسم واقع على الايمان والاسلام والشرايع كلها * ونعرف الله تعالى حق معرفته كما وصف نفسه فى كتابه بجميع الصفات * وليس يقدر احد ان يعبد الله تعالى حق عبادته كما هو اهل له ولكنه يعبد بامره كما امره بكتابه وسنة رسوله * ويستوى المؤمنون كلهم فى المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والرضاء والخوف والرجاء والايمان ويتفاوتون فيما دون الايمان وفى ذلك كله * والله تعالى متفضل على عباده عادل قد يعطى من الثواب اضعاف مايستوجب العبد تفضلا منه وقد يعاقب على الذنب عدلا منه وقد يعفو فضلا منه * وشفاعة الانبياء عليهم السلام حق * وشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم للمؤمنين المذنبين ولاهل الكبائر منهم المستوجبين للعقاب حق * ووزن الاعمال يوم القيمة حق ثابت (والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات يوم القيمة حق وان لم تكن الحسنات طرح السيآت عليهم حق

وجائز

وجائز * وحوض النبى عليه السلام حق * والجنة والنار حق مخلوقتان اليوم لاتفنيان ابدا ولايموت الحور العين ابدا * فلانبيد * ولايفنى عقاب الله تعالى ولاثوابه سرمدا والله تعالى يهدى من يشاء فضلا منه * ويضل من يشاء عدلا منه واضلاله خذلانه * وتفسير الخذلان ان لايوافق العبد على ما رضى الله عنه * وهو عدل منه وكذا عقوبة المخذول على المعصية * ولانقول ان الشيطان يسلب الايمان من العبد المؤمن قهرا وجبرا * ولكن نقول العبد يدع الايمان فحينئذ يسلب منه الشيطان * وسؤال منكر ونكير فى القبر حق * واعادة الروح الى الجسد فى القبر حق * وضغطة القبر حق * وعذابه حق كائن للكفار كلهم اجمعين * ولبعض عصاة المسلمين وتنعيم بعض المؤمنين * وكل ماذكره العلماء بالفارسية من صفات الله تعالى عزت اسمائه وتعالت صفاته فمجاز القول به سوى اليد بالفارسية * ويجوز ان يقال (بروى خداى) بلاتشبيه ولا كيفية * وليس قرب الله ولا بعده من طريق طول المسافة وقصرها ولكن على معنى الكرامة والهوان والمطيع قريب منه بلاكيف والعاصى بعيد عنه بلاكيف والقرب والبعد والاقبال يقع على المناجى * وكذلك جواره فى الجنة والوقوف بين يديه بلا كيف * والقرآن منزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المصاحف مكتوب * وآيات القرآن كلها فى معنى الكلام كلها مستوية فى الفضيلة والعظمة الا ان لبعضها فضيلة الذكر وفضيلة المذكور مثل آية الكرسى لان المذكور فيها جلال الله وعظمته وصفته فاجتمعت فيها فضيلتان فضيلة الذكر وفضيلة المذكور * وفى صفة الكفار فضيلة الذكر فحسب وليس فى المذكور فضيلة * وكذلك الاسماء والصفات فى الفضيلة والعظمة لا تفاوت بينهما * ووالدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماماتا على الكفر وابو طالب عمه مات كافرا * وقاسم وطاهر وابراهيم كانوا بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفاطمة وزينب ورقية وام كلثوم كن بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهن * واذا اشكل على الانسان شىء من دقايق علم التوحيد فينبغى له ان يعتقد ماهو الصواب عند الله تعالى الى ان يجد عالما فيسأله ولايسعه تأخير الطلب ولا يعذر بالوقف ويكفر ان وقف * وخبر المعراج حق فمن رده فهو ضال مبتدع * وخروج الدجال * ويأجوج ومأجوج * وطلوع الشمس من مغربها * ونزول عيسى عليه السلام من السماء * وسائر علامات يوم القيمة على ما وردت به الاخبار الصحيحة حق كائن * والله تعالى يهدى من يشاء الى صراط مستقيم *

ترجمة الشارح: هو نور الدين الشيخ على (بتخفيف الياء) بن سلطان محمد الهروى المعروف بالقارى المكى الحنفى رحمه الله تعالى رحمة واسعة وسمى شرحه للفقه الاكبر (منح الروض الازهر) (كشف الظنون)

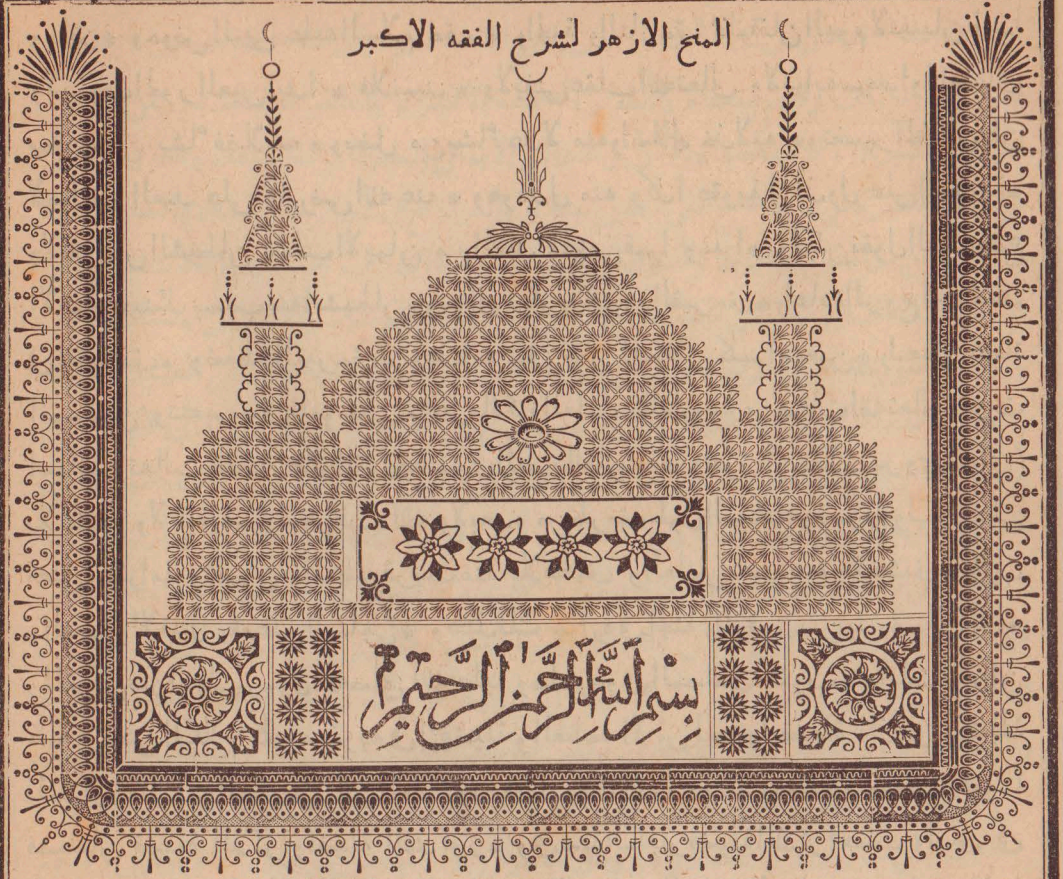

الحمد لله واجب الوجود ذى الكرم * والفضل والجود الاوّل القديم * بلا ابتداء والآخر الكريم بلا انتهاء لم يزل ولا يزال صاحب نعوت الكمال * من صفات الجلال * والجمال المنزه عن سماة النقصان والحدوث والزوال * والصلوة والسلام على اكمل مظاهر الحق * فى مرايا الخلق * نبى الرحمة * وشفيع الامة * وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين * وعلى اتباعه واشياعه الى يوم الدين * **اما بعد** فيقول افقر العباد الى بر ربه البارى على بن سلطان محمد القارى عاملهما الله بلطفه الخفى * وكرمه الوفى * **اعلم ان التوحيد** الذى هو اساس بناء التابيد اشرف العلوم تبعا للمعلوم لكنه بشرط ان لا يخرج من مدلول الكتاب والسنة واجماع العدول ولا يدخل فيه مداخل مجردة لادلة العقول كما وقع فيه اهل البدعة فتركوا طريق الجادة التى عليها اهل السنة والجماعة (كما اخبر به الصادق وفق الواقع المطابق على ما رواه الترمذى وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال ان بنى اسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة (وتفترق امتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار الا ملة واحدة (قالوا من هن يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابى (وفى رواية احمد وابى داود عن معاوية ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة يعنى اكثر اهل الملة

فان امته عليه الصلوة والسلام لا تجتمع على الضلالة على ما ورد فى رواية عليكم بالسواد الاعظم (وعن سفيان لو ان فقيها واحدا على رأس الجبل لكان هو الجماعة ومعناه انه حيث قام بما قام به الجماعة فكانه جماعة ومنه قوله تعالى (ان ابراهيم كان امة) وقد قيل (ليس من الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد (وقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لتكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه بان لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى العقبى (ثم قرأ هذه الآية (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) الآية (واما ما وقع من كراهة اكثر السلف وجمع من الخلف ومنعهم عن علم الكلام ومايتبعه من المنطق ومايقويه من الحرام (حتى قال الامام ابو يوسف رحمة الله عليه لبشر المريسى (العلم بالكلام هو الجهل والجهل بالكلام هو العلم) وكانه اراد بالجهل به الاعتقاد لعدم صحته فان ذلك علم نافع او اراد به الاعراض عنه وترك الالتفات الى اعتباره فان ذلك يصون علم الرجل وعقله فيكون علما بهذا الاعتبار (وعنه ايضا من طلب العلم بالكلام تزندق ومن طلب المال بالكيمياء افلس ومن طلب غريب الحديث فقد كذب (وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى حكم فى اهل الكلام ان يضربوه بالجريد والنعال ويطاف بهم فى العشائر والقبائل (ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واقبل على كلام اهل البدعة (وقال ايضا كل العلوم شعرى القرآن مشغلة الا الحديث والفقه فى الدين * العلم ما كان فيه قال حدثنا * وماسوى ذاك وسواس الشيطان * (من كلامه ايضا (لان يلقى الله العبد بكل ذنب ماخلا الشرك خير له من ان يلقاه بشىء من علم الكلام (وقال لقد اطلعت من اهل الكلام على شىء ما ظننت مسلما يقوله (وذكر اصحابنا فى الفتاوى (انه لو اوصى لعلماء بلده لا يدخل المتكلمون فيهم (ولو اوصى انسان ان يوقف من كتبه ماهو من كتاب العلم فافتى السلف انه يباع مافيها من كتاب الكلام ذكر ذلك بمعناه فى الفتاوى الظهيرية وهو مستحسن عند الله تعالى وارباب العقول اذ كيف يرام الوصول الى علم الاصول بغير اتباع ما جاء به الرسول ولله در القائل فى هذه المقول *

﴿شعر﴾ ايها المقتدى لتطلب علما * كل علم عبيد علم الرسول
تطلب العلم كيف تصحح اصلا * كيف اغفلت علم اصل الاصول

(وقد قال شيخ مشايخنا الجلال السيوطى انه يحرم علوم الفلسفة المنطق باجماع السلف واكثر المعتبرين من الخلف (وممن صرح بذلك ابن الصلاح والنووى وخلق لا يحصون وقد جمعت فى تحريمه كتابا نقلت فيه نصوص الائمة فى الحظر عليه (وذكر الحافظ سراج الدين القزوينى من الحنفية فى كتاب الفه فى تحريمه ان الغزالى رجع الى تحريمه بعد ثنائه عليه من اوّل المنتقى وجزم السلف من اصحابنا وابن الرشيد من المالكية بان المشتغل به لا تقبل روايته انتهى (وقد فصل الامام حجة الاسلام فى احياء العلوم هذا المرام حيث قال (فان قلت

فعلم الجدل والكلام مذموم (كعلم النجوم (اوهومباح (اومندوب فاعلم ان للناس فى هذا غلوا و اسرافا فى الطرفى (فمن قائل) انه بدعة وحرام وان العبد ليلقى الله بكل ذنب سوى الشرك خير له من ان يلقاه بالكلام (ومن قائل) انه فرض اما على الكفاية واما على الاعيان * وانه افضل العبادات واكمل القربات فانه تحقيق بعلم التوحيد وايصال على دين الله المجيد * قال * والى التحريم ذهب الشافعى ومالك واحمد بن حنبل وسفيان وجميع ائمة الحديث من السلف * وساق الفاظا عن هؤلاء * انهم قالوا ماسكت عنه الصحابة مع انهم اعرف بالحقايق وافصح فى ترتيب الالفاظ من سائر الخلايق الالما يتولد منه الشر (ولذا قال عليه الصلوة والسلام * هلك المستنطقون اى المتعمقون فى البحث * واحتجوا ايضا بان ذلك لوكان من الدين لكان اهم ما يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثنى اربابه (ثم ذكر بقية استدلالهم ثم ذكر استدلال الفريق الآخر الى ان قال (فان قلت فما المختار عندك * فاجاب بالتفصيل * فقال فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته فى وقت الانتفاع حلال اومندوب اوواجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته فى وقت الاستضرار حرام (فقال فاما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقايد وازالتها من الجزم والتعميم وذلك مما يحصل بالابتداء ورجوعهم بالدليل المشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص فهذا ضرره فى اعتقاد الحق وله ضرر فى تأكيد اعتقاد البدعة وتثبيتها فى صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذى يولد من الجدل * واما منفعته فقد يظن ان فائدته كشف الحقايق لديه ومعرفتها على ماهى عليه وهيهات فليس فى الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل اكثر من الكشف والتعريف قال وهذا اذا سمعته من محدث (اوحشوى) وان ماخطر ببالك ان الناس اعداء ماجهلوا فاسمع هذا ممن جر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الجرة وبعد التغلغل فيه الى ان انتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق فى علوم اخرى سوى نوع الكلام * والتحقيق ان الطريق الى حقايق المعرفة من هذا الوجه مسدود (ولعمرى لاينفك الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الامور ولكن على الندور انتهى (فانما صدر هذا كله عنهم لامور * منها مافهم مما سبق فى اثناء الكلام من ان سبب ذمهم عدولهم عن الاخذ باصول الاسلام واشتغالهم بما لايغنيهم فى مقام المرام * ومنها منازعتهم ومجادلتهم ولوكان بحق على الحق لانجراره غالبا الى مخاصمتهم المؤدية الى الاخلاق الفاسدة والاحوال الكاسدة كما بينه حجة الاسلام الغزالى فى الاحياء * فقد ذكر فى غياث المفتى عن ابى يوسف رحمه الله تعالى * انه لاتجوز الصلوة خلف المتكلم وان تكلم بحق لانه مبتدع ولايجوز خلف المبتدع وعرضت هذه الرواية على استاذى فقال تأويله انه لايكون غرضه اظهار الحق والذى قاله استاذى رأيته فى تلخيص الامام

الرازى (حيث قال) وكان ابو حنيفة رحمه الله تعالى يكره الجدال على سبيل الحق * حتى روى عن ابى يوسف رحمه الله تعالى انه قال كنا جلوسا عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى اذ دخل جماعة فى ايديهم رجلان (فقالوا) ان احد هذين يقول القرآن مخلوق وهذا ينازعه ويقول غير مخلوق قال لا تصلوا خلفهما (فقلت اما الاوّل فنعم فانه لا يقول بقدم القرآن * واما الاخر فما باله لا نصلى خلفه (فقال) انهما ينازعان فى الدين والمنازعة فى الدين بدعة كذا فى مفتاح السعادة (ولعل وجه ذم الآخر حيث اطلق فانه محدث انزاله وانه مكتوب فى مصاحفنا مقروء بالسنتنا محفوظ فى صدورنا * وقال الشافعى رحمه الله تعالى * اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد بانه من اهل الكلام ولا دين له * وقال ايضا * لو علم الناس ما فى هذا الكلام من الاهواء لفروا منه فرارهم من الاسد * وقال مالك رحمه الله تعالى * لا تجوز شهادة اهل البدع والاهواء فقال بعض اصحابه فى تأويل ذلك انه اراد باهل الاهواء اهل الكلام على اىّ مذهب كانوا ۞ ومنها * انها يؤدى الى الشك والى التردد فيصير زنديقا بعد ما كان صديقا * فقد روى عن احمد بن حنبل رحمه الله تعالى انه قال علماء الكلام زنادقة وقال ايضا لا يفلح صاحب الكلام ابدا ولا تكاد ترى احدا نظر فى الكلام الا وفى قلبه دغل (ولقد بالغ فيه حتى هاجر الحارث بن اسيد المحاسبى مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة * وقال ويحك الست تحكى بدعتهم اولا ثم ترد عليهم الست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهة فيدعوهم ذلك الى الرأى والبحث والفتنة هذا * وفى كتاب الخلاصة * تعلم علم الكلام والنظر فيه والمناظرة وراء قدر الحاجة منهى وتعلم علم النجوم قدر ما يعلم به مواقيت الصلوة والقبلة لا بأس به والزيادة حرام ثم تكلمه على الانصاف لا يكره بلا تعنت واعتساف وان تكلم من يريد التعنت ويريد ان يطرحه لا يكره * قال وسمعت القاضى الامام ان اراد تجهيل الخصم يكفر * قال وعندى لا يكفر ويخشى عليه الكفر انتهى كلام صاحب الخلاصة * وخلاصة الكلام وسلالة المرام * ان العقايد الصحيحة وما يقوم به من الادلة الصريحة كما يؤثر فى قلوب اهل الدين وتثمر كمال الايمان واليقين كذلك العقايد الباطلة تؤثر فى القلب وتبعده عن حضور الرب وتسوده وتضعف يقينه وتزلزل دينه هو اقوى اسباب سوء الخاتمة نسئل الله العافية والعفو * الا ترى ان الشيطان اذا اراد ان يسلب ايمان العبد بربه فانه لا يسلب منه الا بالقاء العقايد الباطلة فى قلبه ۞ ومنها * الخوض فى علم الكلام وترك العلم باحكام الاسلام المستفاد من الكتاب والسنة واجماع الامة * حتى كان بعضهم يجتهد ثلاثين سنة ليصير كلاميا كاملا ثم يدرس فيه ويتكلم بما يوافقه ويدفع ما ينافيه * ولو سئل عن معنى آية او حديث او مسئلة مهمة من الفروع المتعلقة بالطهارة والصلوة والصوم كان جاهلا عنها وساكتا فيها مع ان جميع العقايد الثابتة

موجودة فى كتاب قطعيا وفى السنة ظنيا ولذا قال الله تعالى * هذا بلاغ للناس * اى كفاية لهم فى امر معاشهم ومعادهم وقال * اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ۞ ومنها ان مآل علم الكلام والجدل الى الحيرة فى الحال والضلال والشك فى المآل * كما قال ابن رشيد المالكى * وهو من اعلم الناس بمذهب الفلاسفة ومقالاتهم فى كتابه «تهافت المتفاهت» ومن الذى قال فى الالهيات شيئا يعتد به * وكذلك الآمدى افضل اهل زمانه وقف فى مسائل الكبائر حائرا * وكذلك الغزالى انتهى آخر امره الى التوقف والحيرة فى المسائل الكلامية ثم اعرض عن تلك الطرق واقبل على احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فمات والبخارى على صدره * وكذا الرازى قال فى كتابه الذى صنفه فى اقسام الذات * *

﴿شعر﴾ نهاية اقدام العقول عقال * وغاية سعى العالمين ضلال
وارواحنا وحشة من جسومنا * وحاصل دنيانا اذا ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى ان جمعنا فيه قيل وقال *

(ولقد تأملت الطريقة الكلامية والمناهج الفلسفية * فما رأيتها تشفى عليلا * ولا تروى غليلا * (ورأيت اقرب الطرق طريقة القرآن اقرء فى الاثبات * الرحمن على العرش استوى * واليه يصعد الكلم الطيب * واقرء فى النفى * ليس كمثله * ولا يحيطون به علما * ثم (قال ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى (وكذا قال الشهرستانى انه لم نجد عن الفلاسفة والمتكلمين الا الحيرة والندم حيث قال * * *

﴿شعر﴾ لعمرى لقد طفت المعاهد كلها * وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم ار الا واضعا كف حائر * على ذقن او قارعا سن نادم

﴿ وكذا قال ابو المعالى بن الجوينى لاصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت ان الكلام يبلغ الى ما بلغ ما اشتغلت به * وقال عند موته * لقد خضت البحر العميق ٢ خليت اهل الاسلام وعلومهم ودخلت فى الذى نهونى عنه والآن فان لم يتدارکنى ربى برحمته (فالويل لابن الجوينى) وها انا اذا اموت على عقيدة امى او قال على عقيدة عجايز اهل نيشابور * وكذا قال الخسروشاهى وكان من اجل تلامذ فخر الرازى لبعض الفضائل دخل عليه يوما (قال ما يعتقده ساءله المسلمون فقال انت منشرح الصدر لذلك مستيقن به او كما قال فقال نعم فقال اشكر الله على هذه النعمة لكن والله ما ادرى ما اعتقد وبكى حتى احضل لحيته (اى بلا) (يسأله وقال الخونجى عند موته ما عرفت مما حصلت شيئا سوى ان الممكن مفتقر الى المرجح * ثم قال الافتقار وصف سلبى (فاموت وما عرفت شيئا * وقال آخر * اضطجع على فراشى واصنع الملحفة على وجهى واقابل بين حجج هؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجح عندى منها شىء ومن يصل الى مثل هذه الحال ان لم يتداركه الله بالرحمة والاقبال يتزندق وساءله المآل *

فالدواء النافع لمثل هذا المرض ما كان طبيب القلب يتضرع الى علام الغيوب ويدعو * بقوله * اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك وبقوله اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اهدنى لما اختلفوا فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم * وبقوله * لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ۞ **ومنها** ان القول بالرأى والعقل المجرد فى الفقه والشريعة بدعة وضلالة * واولى ان يكون ذلك فى علم التوحيد والصفات بدعة وضلالة * فقد قال فخر الاسلام على البزدوى فى اصول الفقه * لانه لم يرد الشرع دليل على ان العقل موجب ولايجوز ان يكون موجبا وعلة بدون الشرع اذ العلل موضوعات الشرع وليس من العباد ذلك لانه ينزع اى يسوق الى الشركة فمن جعله موجبا بلا دليل شرعى فقد جاوز حد العباد وتعدى عن حد الشرع على وجه العناد * **ومنها** الاصغاء الى كلام الحكماء واتباعهم من السفهاء حيث اعرضوا عن الايات النازلة من السماء وخاضوا مع الجهلاء الذين يظن فيهم انهم العقلاء والعلماء * وقد نبه الله على ذلك فى كتابه حيث قال * واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا * اى بالتأويلات الفاسدة والتعبيرات الكاسدة * فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره * فان معنى الاية يشملهم اذ العبرة لعموم المعنى لا بخصوص السبب لذلك المعنى * والتأويلات الباطلة والتحريفات العاطلة (قد يكون كفرا (وقد يكون فسقا (وقد يكون معصية (وقد تكون خطاء * **والخطاء فى هذا الباب** غير معفو ومرفوع (بخلاف الخطاء فى اجتهاد الفروع حيث لا وزر هناك بل الاجر مترتب على ذلك * وبهذا يتبين وجه الفرق بين اجتهاد اهل البدعة مع اختلافهم وبين اجتهاد اهل السنة مع ايتلافهم اى مع اجتماعهم (ويشير اليه قوله تعالى * يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا * وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الا خسارا * وفى الحديث * القرآن حجة ذلك اوعليك فهو كبحر النيل ماء للمحبوبين ودم للمحجوبين * **فالواجب** على المسلمين اجمعين **اتباع سيد المرسلين** المطابق لما جاء به عقيدة سائر النبيين وعين لتبيين الكتاب المبين وقد بين سبحانه امره وعظم شأنه وقدره حيث اقسم بنفسه * فقال فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسلما * واخبر ان المنافقين يريدون ان يتحاكموا حقا الى غيره * وانهم اذا دعوا الى الله (اى كتابه ورسوله اى حكمه) صدوا عنه صدودا اى اعرضوا عنه اعراضا مبعودا * وانهم يزعمون انهم انما ارادوا احسانا وتوفيقا وايقانا وتحقيقا كما يقوله كثير من المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم * انما نريد ان نحسن الاشياء بالجمع بين كلام الانبياء والحكماء * وكما يقوله كثير من المبتدعة من المتنسكة * انما نريد الاحسان بالجمع بين الايمان والايقان والتوفيق بين الشريعة والطريقة والحقيقة ويدسون فيها وساس مذاهبهم الباطلة ومشاربهم العاطلة من الحلول والاتحاد والاتصال

والانفصال ودعوى الوجود المطلق وان الموجودات باسرها عين الحق ويتوهمون انهم فى مقام الجمعية والحال انهم فى حال التفرقة وضلال الزندقة وكما ينفوه كثير من المتملكة والمتامرة * انما نريد الاحسان بالسياسة الحسنة البديعة (والتوفيق بينها وبين الشريعة وكل من طلب ان يحكم فى شىء من امر الدين غير ماثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم الامين (ويظن ان ذلك مستحسن فى باب اليقين وان ذلك جامع بين ماجاء به الرسول وبين مايخالفه من المعقول فله نصيب من ذلك ومرام عليه الترقى الى ماهنالك اذ ماجاء به الرسول كاف شاف كامل يتبين فيه حكم كل حق وباطل * وقال الله تعالى * ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون * وهذه كانت طريقة السابقين الاوّلين وهى طريقة التابعين ومن بعدهم الائمة المجتهدين واكابر المسلمين واعاظم المحدثين وعمدة الصوفية المقدمين (الطائى كداود (والمحاسبى (والسرى السقطى (والمعروف الكرخى (وجنيد البغدادى رضوان الله عليهم اجمعين * والمتأخرين * كابى نجيب السهروردى (والشيخ عبد القادر الجيلانى (وصاحب العوارف والمعارف (وابى القاسم القشيرى رضوان الله تعالى عليهم اجمعين * الى ان خلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات * وقد آن ان نشرع فى المقصود بعون الملك المعبود **(قال الامام الاعظم** والهمام الافخم الاقدم فى كتابه المسمى بالفقه الاكبر المشار به الى انه ينبغى ان يكون الاهتمام به هو الاكثر لانه مدار الايمان (ومبنى صحة الاركان (ومعنى غاية الاحسان (ونهاية العرفان بعد البسملة المشتملة على مضمون الحمدلة اخبارا فى المبنى وانشاء فى المعنى * الله الجامع للصفات الحسنى والنعوت العليا * ولذا روى هشام عن محمد بن الحسن * قال سمعت اباحنيفة رحمه الله تعالى يقول * اسم الله الاعظم هو «الله» ويقال الطحاوى واكثر العارفين حتى انه لاذكر عندهم لصاحب مقام فوق الذكر به وهو علم مرتجل من غير اعتبار اصل اخذ منه كما عليه الاكثرون منهم ابو حنيفة رحمه الله تعالى (ومحمد بن الحسن (والشافعى (والخليل (والزجاج (وابن كيسان (والحليم (وامام الحرمين والغزالى (والخطابى وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين **اصل التوحيد** اى هذا الكتاب اساس معرفة توحيد الحق على وجه الصواب * حكى عن ابى حنيفه رحمه الله تعالى ان قوم من اهل الكلام ارادوا البحث معه فى تقرير توحيد الربوبية فقال لهم اخبرونى قبل ان يتكلم فى هذه المسئلة عن سفينة فى دجلة (تذهب فتمتلىء من الطعام والمتاع وغيره بنفسها وتعود بنفسها فترسى بنفسها ويقر بنفسها وتتفرغ بنفسها * وترجع كل ذلك من غير ان يدبرها احد * فقالوا هذا محال لايمكن ابدا * فقال لهم اذا كان هذا محالا فى سفينة فكيف يمكن فى هذا العالم كله علوه وسفله انتهى (وما احسن قول العارف ابراهيم الخواص فى هذا المعنى

﴿شعر﴾ لقد وضح الطريق اليك مقا * فما احد اراد ك ستدل * وكذا قول الاخر قريبا من هذا المعنى

﴿شعر﴾ لقد ظهرت فلا تخفى على احد * الاعلى اكمه لايعرف القمرا * ولقد احسن ابو العتاهية فى قوله

﴿شعر﴾

﴿شعر﴾ فواعجبا كيف يعصى الاله ام كيف يجحد الجاحد * ولله فى كل تحريكه وتسكينه ابدا شاهد * وفى كل شئ له آية تدل على انه واحد * اقول فابتداء كلامه سبحانه وتعالى فى الفاتحة الفاتحة (الحمد لله رب العالمين) يشير الى تقرير توحيد الربوبية المترتب عليه توحيد الالوهية المقتضى عن الخلق توحيد العبودية وهو ما يجب على العبد اولا من معرفة الله سبحانه * والحاصل انه يلزم من توحيد العبودية توحيد الربوبية دون العكس فى القضية * لقوله تعالى * ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله * وقوله سبحانه حكاية عنهم * ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى (بل غالب سور القرآن وآياته متضمنة لنوعى التوحيد * بل القرآن من اوله الى آخره فى بيانهما وتحقيق شأنهما * فان القرآن * اما خبر عن الله واسمائه وصفاته وافعاله (فهو التوحيد العلمى الخبرى) واما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه (فهو التوحيد الارادى الطلبى * واما امر ونهى والزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته * واما خبر عن اكرامه لاهل توحيده وما فعل بهم فى الدنيا وما يكرمهم به فى العقبى فهو جزاء توحيده * واما خبر عن اهل شرك وما فعل بهم فى الدنيا من النكال وما يحل بهم فى العقبى من العذاب والسلاسل والاغلال فهو جزاء من خرج من حكم التوحيد * فالقرآن كله فى التوحيد وحقوق اهله وثنائهم وفى شأن ذم الشرك وعقوق اهله وجزاءهم فالحمد لله رب العالمين * توحيد الرحمن الرحيم * توحيد مالك يوم الدين * توحيد اياك نعبد واياك نستعين * توحيد اهدنا الصراط المستقيم * توحيد متضمن لسؤال الهداية الى طريق اهل التوحيد الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين الذين فارقوا التوحيد عنادا اوجهلا اوفسادا * وكان السنة تأتى مبينة اومقررة لما دل عليه القرآن فلم يحوجنا ربنا سبحانه وتعالى الى راى فلان وذوق فلان ووجد فلان فى اصول ديننا ولذا تجد من خالف السنة والكتاب مختلفين مضطربين * بل قال الله تعالى * اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا * فلا نحتاج فى تكميله الى امر خارج عن الكتاب والسنة كما قال * هذا بلاغ للناس * وقال * اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم * وقال * ما اتيكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا * والى هذا المعنى اشار الطحاوى بقوله فى اول عقيدته * لا ندخل فى ذلك متاولين بارائنا ولا متوهمين باهوائنا فانه ما سلم فى دينه الا من سلم لله عز وجل ورسوله * وما يصح الاعتقاد عليه * اى وما يصح اعتماد الاعتقاد عليه فى هذا الباب وهذا معنى (قوله الفقة معرفة النفس مالها وما عليها * وقد اعرض الامام من بحث الوجود اكتفاء بما هو ظاهر فى مقام الشهود * ففى التنزيل * قالت رسلهم افى الله شك فاطر السموات والأرض * ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله * فوجود الحق ثابت فى فطرة الخلق كما يشير اليه سبحانه * فطرة الله التى فطر الناس عليها * ويومى اليه حديث * كل مولود يولد على الفطرة * وانما جاء

الانبياء عليهم السلام لبيان التوحيد وتبيان التفريد ولذا اطبقت كلمتهم واجمعت حجتهم على كلمة لا اله الا الله ولم يؤمروا ان يأمروا اهل ملتهم بان يقول الله موجود بل قصدوا اظهار ان غيره ليس بمعبود ردا لما توهموا او تخيلوا حيث قال هؤلاء شفعاؤنا عند الله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى على ان التوحيد يفيد الوجود مع مزيد التأييد * **ثم العقايد** يجب ان يؤخذ من الشرع الذى هو الاصل وان كانت مما يستقل فيه العقل والا فعلم اثبات الصانع وعلمه وقدرته لا يتوقف من حيث ذاتها على الكتاب والسنة ولكنها تتوقف عليهما من الاعتداد بها الان هذه المباحث اذ الم يعتبر مطابقتها الكتاب والسنة كانت بمنزلة العلم الالهى للفلاسفة فحينئذ لا عبرة بها على ما ذكره المحققون فمن الآيات الدالة على وجوده وظهور فضله وبيان قدرته وحكمته قوله تعالى * ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دآبة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لقوم يعقلون * فمن اراد نظره فى عجايب هذه المذكورات من خلق الارضين والسموات وبدائع فطرة الحيوانات والنباتات وسائر ما اشتملت عليه الآيات (الافاية) والانفسية كقوله تعالى * ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم جعلنا النطفة علقة فجعلنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين * وقد قال الله تعالى * سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد * بل وفى كل شىء له شاهد * يدل على انه واحد * الجاه ذلك الى الحكم بان هذه الامور العجيبة مع هذه التراتيب المحكمة الغريبة لا يستغنى كل منها عن صانع اوجده من العدم * وعن مكيم رتبه على قانون اودع فيه فنونا من الحكم وعلى هذا درجة كل العقلاء الامن لا عبرة بمكابرته كبعض الدهرية من السفهاء * وانما كفر بعضهم بالاشراك * حيث دعوا مع الله الها آخر كعبدة الاصنام وسائر الوثنيين من الانام * وبعضهم بنسبة بعض الحوادث الى غيره تعالى * كالمجوس ينسبون الشر الى الظلمة آهرمن وهو الشيطان والخير الى نور الرحمن * وكبعض الوثنيين من العوام ينسبون بعض الاثار الى الاصنام كما اخبر الله سبحانه عنهم) (بقوله ان نقول الا اعتريك بعض آلهتنا بسوء * كالصائبين * وبعض المنجمين حيث ينسبون بعض الاثار الى الكواكب لما فيها من الانوار سبحانه وتعالى عما يشركون * وبعضهم بانكار ما جعل الله سبحانه انكاره كفرا * كالبعث واحياء الموت فى دار القرار وهذا المقدار كاف لاولى الابصار * ولذا اعرضنا عن المقدمات العقلية التى رتبها النظار على الاستظهار * ومجمله ان العالم حادث بمعنى محدث موجد بعد العدم وهو محتاج الى محدث موجود بصفة القدم وذلك المحدث الموجود هو الله سبحانه كما يشير

اليه

اليه قوله تعالى (الله خالق كل شيء * وقوله * ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام * فمن قال بقدم العالم فهو كافر ثم لما ثبت انتهاء الموجودات الى واجب الوجود لذاته والعدم على الواجب ممتنع لان ماثبت قدمه استحال عدمه لزم كونه ازليا ابديا فهو قديم لا اوّل لوجوده وباق لا اخر لشهوده فيرجع معنى القدم والبقاء فى حقه تعالى الى الصفات السلبية وان عدهما بعضهم فى النعوت الثبوتية لان معنى البقاء فى حقه سبحانه نفى عدم لاحق فى الابد كما ان القدم عبارة عن نفى عدم سابق فى الازل فيرجع معناهما الى نفى العدم (ولذا قال التوربشتى فى معتقده * ان الموجود والقديم من اسماء الذات قال الامام * يجب * اى يفرض فرضا عينا بعد ما يحصل علما يقينا * ان يقول * اى المكلف بلسانه المطابق لما فى جنانه * آمنت بالله * وفيه اشعار بان الاقرار له اعتبار على خلاف فى انه شطر للايمان الا انه يسقط فى بعض الاحيان او شرط لاجراء احكام الايمان كما هو مقرر عند الاعيان وهو المروى عن الامام * واليه ذهب الماتريدى وهو الاصح عند الاشعرى ويؤيده قوله تعالى (اولئك كتب فى قلوبهم الايمان * وقال البزدوى * من صدق بقلبه وترك البيان من غير عذر فلم يكن مؤمنا وهذا مذهب المحققين من الفقهاء * وفى كلامه اشارة الى عدم اشتراط لفظ اشهد حيث لم يقل يجب ان يشهد بانى آمنت بالله خلافا لمن شرط من الشافعية مستدلين بقوله عليه السلام * امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله * مع انه جاء فى رواية اخرى حتى يقولوا لا اله الا الله والمعنى صدقت معترفا بوجود الله سبحانه وتوحيده فى ذاته وتفريده فى صفاته * وملائكته * بانه عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانهم معصومون ولا يعصون ومنزهون عن صفة الذكورة وصفة الانوثة * وقد انكر الله تعالى فى كتابه على من قال انهم بنات الله حيث قال الله تعالى * وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون * وقال الله تعالى * اصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون * وذكر فى الجواهر فى الاصول وان الملائكة ليس لهم حظ من نعيم الجنان ولا من رؤية الرحمن كذا فى شرح القونوى لعمدة النسفى * وذكر ايضا انهم اجسام لطيفة هوائية يقدرون على التشكل باشكال مختلفة اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع مسكنهم السموات اى مسكن معظمهم قال وهذا قول اكثر المسلمين * وكتبه * اى المنزلة من عنده كالتورية والانجيل والزبور والفرقان وغيرها من غير تعيين فى عددها * ورسله * اى جميع انبيائه اعم من انه امر بتبليغ الرسالة ام لا * وظاهر كلام الامام ترادف النبى والرسول كما اختاره ابن الهمام الآن الجمهور على ماقدمناه من ان الرسول اخص من النبى فى تحقيق المرام ولا تعين عدد الئلا يدخل فيهم من ليس منهم او يخرج منهم من هو منهم * والترتيب بين الثلاثة باعتبار ان الملائكة يأتون بالكتاب الى الرسول والاف الكتاب افضل من الملائكة بالاجماع فانها كلام الله تعالى من غير نزاع * والبعث * اى الحيوة * بعد الموت * قيد يفيد ان المراد به الاعادة بعد افناء

هيئة البداية لا بعث الانبياء الى الخلق وان كان مما يجب الايمان به ايضا * ودليله قوله سبحانه * ثم انكم يوم القيمة تبعثون * وقوله * قل يحييها الذى انشأها اوّل مرة * الى غير ذلك من النصوص القاطعة والادلة اللامعة * قال فى المقاصد * وبالجملة فالايمان بالحشر من ضروريات الدين وانكاره كفر باليقين * فان قيل هذا قول بالتناسخ * وهو انتقال الروح من بدن الى بدن فان البدن الثانى ليس هو الاول * لما ورد فى الحديث ان اهل الجنة جرد مرد وان الجهنمى ضرسه مثل احد * ولاجل هذا المعنى وهو ان يقول به المعاد وحشر الاجساد قيل بالتناسخ قال جلال الدين الرومى ما من مذهب الا وللتناسخ فيه قدم راسخ * فالجواب انه انما يلزم التناسخ لو لم يكن البدن الثانى مخلوقا من الاجزاء الاصلية للبدن الاوّل وان سمى مثل ذلك تناسخا كان نزاعا فى مجرد الاسم وتحقيق الرسم على ان التناسخ عند اهله هو رد الارواح الى الاشباح فى الدنيا لا فى الاخرى فانهم ينكرون الجنة والنار وسائر امور العقبى ولذا كفروا * لا يقال قوله تعالى * كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها * يفيد ان المثاب والمعاقب بالذات الحسية والآلام الحسية غير من عمل الطاعة وارتكب المعصية * لانا نقول العبرة فى ذلك بالادراك وانما هو للروح ولو بواسطة الالات وهو باق بعينه وكذا الاجزاء الاصلية من البدن * وكذا يقال لمن رؤى حال سن الصبا فى الشيخوخة انه بعينه وان بدلت الصور والهيآت بل كثير من الاعضاء والالات * ولا يقال لمن جنى فى الشباب فعوقب فى الشيب انه عقوبة بغير الجانى فكبر ضرس الكافر بمنزلة ورم اعضائه * وفى شرح المواقف الاجزاء الاصلية هى الاجزاء الباقية من اوّل العمر الى آخره * قال بعض الافاضل الاجزاء الاصلية هى الاجزاء الحاصلة فى اوّل الفطرة فهو وقت تعلق الارواح بالاشباح وبما ذكرنا من اعتبار الاجزاء الاصلية فى الحشر سقط ما قالوا فى نفى الحشر بمعنى جمع الاجزاء ايضا على ان الحشر اولا يكون بجمع الاجزاء من اوّل العمر الى آخره تحقيقا لمعنى الاعادة كما ورد انه سبحانه يعيد القلفة والاجزاء المقطعة من الظفر والشعر والاجزاء المعلقة من السن وامثال ذلك ثم انه سبحانه يبقى ما اورده ويعدم ما اورده على ما تعلقت به المشية فى الكمية والكيفية والهيئة * ثم اعلم انه سبحانه كما يحى العقلاء يحى المجانين والصبيان والجن والشياطين والبهايم والحشرات والطيور للاخبار الواردة فى ذلك (واما السقط الذى لم يستهل اعضاءه هل يحشر فروى عن ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه اذا نفخ فيه الروح يحشر والا فلا وهو الظاهر لان المذهب المختار عند الابرار هو الحشر المركب من الروح والجسد (وقول القونوى والذى يقتضى مذهب علمائنا انه اذا كان استبان بعض خلقه يحشر وهو قول الشعبى رضى الله عنه وابن سيرين مدفوع بان هذا حكم فقهى يترتب عليه بعض الامور الدنيوية ولا يقاس عليه الاحوال الاخروية ❁ **والقدر** ❁ بالقضاء والقدر ❁ **خيره وشره** ❁ اى نفعه وخيره وحلوه ومره حال كونه ❁ **من الله تعالى** ❁ فلا تغير للتقدير فيجب الرضاء بالقضاء والقدر وهو تعين كل مخلوق بمرتبة التى توجد من حسن وقبح ونفع وضر وما يحيط

من

من مكان وزمان وما يترتب عليه من ثواب وعقاب (ولعل الامام عدل عن الايمان الاجمالى المشتمل عليه كلمة الشهادة تبعا له صلى الله عليه وسلم حيث اجاب بسؤال جبرائيل عليه السلام عن الايمان بهذا المقدار من الايمان الاان الامام عبر عن اليوم الآخر مبدءً من البعث ليشمل حال البرزخ والموقف ثم رأيت فى نسخة صحيحة انه جمع بين قوله واليوم الآخر والبعث بعد الموت فتعين ان يراد بالبعث بعد الموت هو الاحياء فى القبر وان اراد باليوم الآخر جميع احوال القيمة وما بعدها من المثوبة والعقوبة (ثم خص منها البعث للحشر والنشر فانه اول مافيه نزاع اهل الكفر اولانها تشتمل على اصول الايمان التفصيلى فاراد بذلك ان ينبهك فى اول كتابه اجمالا على ما اراد بيانه فيه تفصيلا واكمالا كما انه اجمل لقوله والبعث بعد الموت اولا ثم ذيله بقوله ❁ والحساب والميزان والجنة والنار حق كله ❁ وكذا الصراط والحوض وغيرهما من مواقف القيمة على ما سيأتى بيانها ويرد برهانها ثم الامام اوضح معنى التوحيد لظهور المرام حيث قال (والله تعالى واحد) اى فى ذاته (لا من طريق العدد) اى حتى يتوهم ان يكون بعلة واحد ولكن من طريق انه لا شريك له اى فى نعمة السرمدى لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا نظير له ولا شبيه له كما سيأتى فى كلام تنبيه على هذا التنزيه (وكانه استفاد هذا المعنى المراد من سورة الاخلاص على صورة الاختصاص * قل هو الله احد * اى متوحد فى ذاته متفرد فى صفاته * الله الصمد * اى المستغنى عن كل واحد والمحتاج اليه كل احد * لم يلد ولم يولد * اى ليس بمحل الحوادث والاحادث * ولم يكن له كفوا احد * اى ليس له احد مماثلا ومجانسا ومشابها ومونسا (وفيه رد على كفار مكة) حيث قالوا الملائكة بنات الله (وعلى اليهود) حيث قالوا عزير ابن الله (وعلى النصارى) حيث قالوا المسيح ابن الله وان امه صاحبة له (وفى التنزيل حكاية عن مؤمنى الجن (وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا اى بطريق المجاز اذ على سبيل الحقيقة محال ذلك على الملك المتعال (والحاصل ان صانع العالم واحد اذ لا يمكن ان يصدق مفهوم واجب الوجود الاعلى ذات واحدة متصفة بنعوت متعددة كما يستفاد من قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) بالبرهان التمانع (تقريره انه لو امكن الهان لامكن بينهما تمانع بان يريد احدهما سكون زيد والآخر حركته لان كلا منهما فى نفسه امر ممكن وكذا تعلق الارادة لكل منهما ممكن فى نفسها ايضا اذ لا تضاد بين الارادتين بل بين المرادتين فحينئذ اما ان يحصل الامران فيجتمع الضدان اولا فيلزم عجز احدهما وهو امارة الحدوث والامكان لما فيه من شايبة الاحتياج فالتعدد مستلزم لامكان التمانع المستلزم للمحال فيكون محالا (وهذا تفصيل مايقال ان احدهما ان لم يقدر على مخالفة الآخر لزم عجزه وان قدر لزم عجز الآخر * وبما ذكرنا يندفع ما يقال انه يجوز ان يتفقا من غير تمانع * واما قول العلامة التفتازانى الاية حجة اقناعية اى

يظن فى اوّل الامر انهـا حجة ونزول ذلك عنه تحقق المعرفة والملازمة عـادية على ماهو اللائق بالخطابيات فان العادة جارية بوجود التمانع والتغالب عند تعدد الحاكم على ماشير اليه بقوله تعالى (ولعلى بعضهم على بعض) فالمحققون كالغزالى وابن الهمام والبيضاوى وما قنعوا بالاقناعية وجعلوها من الحقايق القطعية بل قيل يكفر قائلها والمسئلة مستوفات فى الكتاب الكلامية ﴿ ثم اعلم ان *لو* فى هذه الاية ليست لانتفاء الثانى فى الماضى بسبب الانتفاء الاوّل كماهو اصل اللغة بل للاستدلال بانتفاء الجزاء على انتفاء الشرط من غير دلالة على تعيين زمان فانه قد يستعمل بهذا المعنى فى بعض المبنى *لايشبهه شىء من الاشياء من خلقه* اى من مخلوقاته (هذا) لانه تعالى واجب الوجود لذاته وماسواه ممكن الوجود فى حد ذاته فواجب الوجود هو الصمد الغنى الذى لايفتقر الى شىء ويحتاج كل ممكن اليه فى ايجاده وامداده قال تعالى (والله الغنى وانتم الفقراء) فاذا وجوده عين ذاته وصفاته ليست عين ذاته خلافا للفلاسفة (ولاغير ذاته) كما يقوله المعتزلة بخلاف المخلوقين فان صفاتهم غير ذاتهم عند الكل * والحاصل ان الفلاسفة والمعتزلة نفوا الصفات احترازا عن تعدد القدماء وكذا الاشاعرة حيث ذهبوا الى نفى غيريتها وعينيتها فى تحقيق الاسماء *ولايشبه شيئا من خلقه* تأكيد لماقبله وتقرير لماقدمه وهو مستفاد من قوله تعالى (ليس كمثله شىء) اى ليس كذاته وصفته اولان نفى مثل المثل يستلزم لنفى المثل بطريق البرهان كما حققه بعض الاعيان* ولانقول بزيادة الكاف والمثل لان المثل المطلق هو المساوى من جميع الوجوه * وفى شرح القونوى رحمه الله تعالى* قال نعيم بن حماد من شبه الله بشىء من خلقه فقد كفر ومن انكر ماوصف الله به نفسه فقد كفر* وقال اسحاق بن راهوية من وصف الله فشبه صفاته بصفات احد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم* وقال علامة جهم واصحابه دعواهم على اهل السنة والجماعة ماالزموا به من الكذب انهم مشبهة بل هم المطلعة * ولذا قال كثير من السلف علامة الجهمية تسميتهم اهل السنة مشبهة فانه مامن احد من نفاة شىء من الاسماء والصفات لايسمى المثبت لها مشبها * حتى بعض المفترين كعبد الجبار والزمخشرى وغيرهما من المعتزلة والرافضة يسمون كل من اثبت شيئا من الصفات اوقال برؤية الذات مشبها* والمشهور عند الجمهور من اهل السنة والجماعة انهم لايريدون بنفى التشبه نفى الصفات بل يريدون انه سبحانه لايشبه المخلوق فى اسمائه وصفاته وافعاله كما بينه الامام بيانا شافيا *لم يزل* اى فى مامضى *ولايزال* اى فيمايبقى *باسمائه* اى منعوتا باسمائه *وصفاته* الذاتية* كالعلم والحيوة والكلام وهى قديمة بالاتفاق *والفعلية* اى وموصوفا بصفاته الفعلية كالخلق والرزق ونحوهما * فمذهب الماتريدى انها قديمة * ومذهب الاشاعرة انها حادثة *والنزاع لفظى عند ارباب التدقيق كمايتبين عند التحقيق * وبيانه ان واجب الوجود

لذاته

لذاته واجب الوجود من جميع جهاته كاسمائه وصفاته * والمعنى انه ليست له صفة منتظرة ولامالة مستأخرة اذليست ذاته كافية فى حصول جميع ماله من الصفات والحالات التى به يتم الاعراض * ولانه لولم تكن ذاته كافية فى حصول ذلك لكانت محتاجة الى ظهور الغير هنالك * وكل محتاج الى الغير فهو ممكن الوجود وقد ثبت انه واجب الوجود * وقال الله تعالى (يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد) اى غنى بذاته وصفاته عن ظهور مصنوعاته وهو حميد بنعوته واسمائه سواء حمده اولم يحمده احد من سواه فهو منزه عن التغير والانتقال * بل لايزال فى نعوته الفعلية منزها عن الزوال وفى صفاته الذاتية مستغنيا عن الاستكمال * ولايلزم من حدوث متعلقات هذه الصفات حدوث الصفات كالمخلوق والمرزوق والمسموع والمبصر وسائر الكائنات وجميع المعلومات * واما الذاتية فالحيوة * وهو صفة ازلية يقتضى صفة العلم لموصوفها * والقدرة * وكذا القوة صفة ازلية تؤثر فى المقدورات عند تعلقها بها * والمعنى ان الله تعالى حى بحياته التى هى صفته الازلية الابدية وقادر بقدرته التى هى صفته الازلية السرمدية * والمعنى انه اذا قدر على شىء فانما يقدر عليه بقدرته لا بالقدرة الحادثة كما يوجد الاشياء الممكنة * فهو الحى القيوم اى القائم بذاته المقيم لموجوداته * وانه يحى الموتى من العدم بداءة ومن بعد اماتتهم اعادة وهو على كل شىء قدير * حيث خلق الخلق واعطاهم الحيوة والقدرة والرزق * ومعنى كونه قادرا ان يصح منه ايجاد العالم وتركه * العلم * اى من الصفات الذاتية وهى صفة ازلية تنكشف المعلومات عند تعلقها بها * فالله تعالى عالم بجميع الموجودات لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى العلويات والسفليات * وانه تعالى يعلم الجهر والسر وهو مايكون اخفى منه من المغيبات * بل احاط بكل شىء علما من الجزئيات والكليات الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات فهو بكل شىء عليم من الذوات والصفات بعلم قديم لم يزل موصوفا به على وجه الكمال * لابعلم حادث حاصل فى ذاته بالقبول والانفعال والتغير والانتقال * تعالى الله عن ذلك شأنه وتعظم عما هنالك برهانه * قال الامام عبد العزيز المكى صاحب الامام الشافعى رحمه الله تعالى وجليسه فى كتابه الذى حكى فيه مناظرة بشر المريسى عند المأمون حين سأله عن علمه تعالى * فقال بشرا قول لايجهل فجعل يكرر السؤال عن صفة العلم تقريرا له * فقال الامام عبد العزيز نفى الجهل لايكون صفة مدح فان هذه الاسطوانة لاتجهل * وقد مدح الله الانبياء والملائكة والمؤمنون بالعلم لابنفى الجهل فمن اثبت العلم فقد نفى الجهل * ومن نفى الجهل لم يثبت العلم وعلى الخلق ان يثبتوا ما اثبته الله تعالى لنفسه وينفوه مانفاه وتمسكوا عما امسك عنه * وقد قال تعالى (الايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير * وقال (وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الاهو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الايعلمها ولاحبة فى ظلمات الارض ولارطب ولايابس الافى كتاب مبين * وقال الله عز وجل

وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار * ثم فى قوله «الايعلم من خلق» ايماء الى ان من المخلوقات ماهو عالم والعلم صفة كمال ويمتنع ان لايكون الخالق عالما قال الطحاوى ولم يخف عليه شىء قبل ان يخلقهم وعلم ماهم عاملون قبل ان يخلقهم * بل كما قال بعض المحققين من انه سبحانه وتعالى يعلم ماكان من بدأ المخلوقات وما يكون من اواخر الموجودات لقوله تعالى (ان زلزلة الساعة شىء عظيم) ان كان ومالم يكن لوكان كيف كان كما قال الله تعالى (لوعلم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون (وكما قال) ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه) وان كان يعلم انهم لا يردون ولكن اخبر انهم لوردوا لعادوا (وفى ذلك رد على الرافيضة والقدرية الذين قالوا انه لايعلم الشىء قبل ان يخلقه ويوجده * والكلام * اى من الصفات الذاتية فانه سبحانه يتكلم بكلامه الذى هو صفة الازلية المعبر عنها بالنظم المسمى بالقرآن المركب من الحروف * وذلك ان كل من يأمر وينهى ويخبر يجد من نفسه معنى ثم يدل عليه بالعبارة والكتابة اوالاشارة * وهو غير العلم * اذ قد يخبر الانسان عما لايعلمه بل يعلم خلافه * وغير الارادة * لانه قد يأمر بما لايريده كمن امر عبده قصدا الى اظهار عصيانه وعدم امتثال لاوامره * ويسمى هذا الكلام نفسا كما اخبر الله عن هذا المرام بقوله ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول *

﴿ وفى شعر الاخطل ﴾ ان الكلام لفى الفوأد وانما * جعل اللسان على الفوآد دليلا * وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه انى زوّرت فى نفسى مقالة * والدليل على ثبوت الكلام اجماع الامة من ائمة الاعلام وتواتر النقل عن الانبياء عليهم السلام بان اوحى اليهم بيان الاحكام الا ان كلامه ليس من الحروف والاصوات * والله تعالى متكلم آمر ناه ومخبر بمعنى ان كلامه صفة واحدة وتكثره الى الامر والنهى والخبر باختلاف التعلقات كالعلم والقدرة وسائر الصفات فانها واحدة * والتكثر والحدوث انما هو فى الاضافات ويكفى وجود المأمور فى علم الامر * والحاصل ان هذا الكلام اللفظى الحادث المؤلف من الاصوات والحروف القائمة بمحالها يسمى كلام الله والقرآن على معنى انه عبارة عن ذلك المعنى القديم * كما وقع التصريح به فى التلويح * وقال القونوى رحمه الله تعالى فى شرح العهدة اهل السنة لايرون تعلق وجود الاشياء بقوله تعالى * كن * بل وجودها متعلقة بايجاده وتكوينه وهو صفته الازلية وهذا الكلام عبارة عن سرعة حصول المخلوق بايجاده وكمال قدرته على ذلك * وعند الاشعرى ومن تابعه وجود الاشياء متعلقة بكلامه الازلى * وهذه الكلمة دالة عليه كذا فى شرح التأويلات * وفى تفسير النيسير قوله (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) انه تعالى لم يرد انه خاطبه بكلمة * كن * فيكون بهذا الخطاب لانه لوجعل خطابا حقيقة * فاما ان يكون خطابا للمعدوم وبه يوجد اوخطابا للموجود بعد ما وجد (لاجائز ان يكون خطابا للمعدوم (لانه

لاشىء

لاشيء فكيف يخاطب به * ولا جائز ان يكون خطابا للموجود لانه قد كان فكيف يقال له كن وهو كائن * وانما هو بيان انه اذا شاء كونه فكان * فان قيل فاذا حصل الوجود بالايجاد فما فائدة هذا الامر * قلت اظهار العظمة والقدرة كما انه تعالى يبعث من في القبور ببعثه ولكن بواسطة نفخ الصور لاظهار العظمة * او يقال دلت الدلائل العقلية على ان الوجود بالايجاد ووردت النصوص القاطعة النقلية على انه بهذا الامر فوجب القول بموجبها من غير اشتغال بطلب الفائدة كما ان في الايات المتشابهة وجب الايمان بها من غير اشتغال بتأويلها * واشار فخر الاسلام البزدوي في اصوله * ان المراد بقوله تعالى * كن * حقيقة التكلم بهذه الكلمة لا المجاز عن الايجاد والتكوين موافقا لمذهب الاشعري ومخالفا لعامة اهل السنة لان التمسك بالاية في اثبات المطلوب على هذا القول اظهر لانها ادل على ان المراد حقيقة التكلم لان الامر فيها مكرر بخلاف سائر الايات فقال وهذا عندنا واراد به نفسه * واجيب بان مذهبه غير مذهب الاشعري فان عنده وجود الاشياء بخطاب كن لا غير كما ان عند اهل السنة بالايجاد لا غير (وعند البزدوي وجود الاشياء بالايجاد والخطاب فكان مذهبا ثالثا والله اعلم بالصواب * والمعنى اذا كلم احدا من خلقه فانما يكلمه بكلامه القديم الذي قد كتب الحروف والكلمات الدالة عليه في اللوح المحفوظ بامره لا بكلام حادث فانما الحادث ادلة كلامه وهي الحروف والكلمات لا حقيقة كلامه القائم بالذات فان كلام الحق لا يشبه كلام الخلق كسائر الصفات * وقد قال الله تعالى (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) اي بان يوحي اليه في الرؤيا كالانبياء * او بالالهام كالاولياء * ومنه الخبر ان الله تعالى ينطلق على لسان عمر او من وراء حجاب بان يسمع كلامه ولا يراه كما وقع لموسى عليه السلام او يرسل رسولا او ملكا كجبرائيل فيوحي اي الرسول الى المرسل اليه بمعنى انه يكلمه ويبلغه باذنه بامر ربه ما يشاء الله من اعلامه فكلامه قائم بذاته * خلافا للمعتزلة حيث ذهبوا الى انه متكلم بكلام هو قائم بغيره وليس صفة له حيث قالوا * كلامه حروف واصوات يخلقها في غيره كاللوح وجبرائيل الرسول * ومبتدعة الحنابلة * قالوا كلامه حروف واصوات يقوم بذاته وهو قديم وبالغ بعضهم جهلا حتى قالوا الجلد والقرطاس والغلاف قديمات فضلا عن المصحف وهذا قول باطل بالضرورة ومكابرة للحس كامساس عدم تقدم السين قبل الباء في بسم الله ونحوه * والسمع والبصر * اي انهما من الصفات الذاتية فانه تعالى سميع بالاصوات والحروف والكلمات بسمعه القديم الذي هو نعت في الازل وبصير بالاشكال والالوان بابصاره القديم الذي هو له صفة في الازل * فلا يحدث له سمع بحدوث مسموع * ولا بصر بحدوث مبصر فهو السميع البصير يسمع ويرى * لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي غاية السر * ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق في النظر بل يرى ذهب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء * فالسمع * صفة

يتعلق بالمسموعات والبصر صفة يتعلق بالمبصرات فيدرك ادراكا تاما لا على سبيل التخيل والتوهم ولا على طريق تأثير ماسة ووصول هواء * ولا يلزم من قدمهما قدم المسموعات والمبصرات كما لا يلزم من قدم العلم والقدرة قدم المعلومات والمقدورات لانها صفات قديمة تحدث لها تعلقات بالحوادث عند وجودها تعلقا ظاهريا كما كان لها تعلق بها في عالم شهودها تعلقا غيبيا فهما اخص من صفة العلم * واما قول السيوطي في النقاية من انهما صفتان يزيد الانكشاف بالعلم فانما يصح بالنسبة الينا حيث يزيد العلم بهما للدنيا واما بالنسبة اليه سبحانه فصفاته كلها كاملات كما انه كامل في الذات فلا يقبل الزيادة * والارادة * اي من الصفات الذاتية وهي كالمشية وهي عبارة عن صفة يتخصص احد طرفي الشيء من الفعل والترك بالوقوع في احد الاوقات مع استواء نسبة القدرة الى جميع الممكنات وفي ماذكر * تنبيه للرد * على من زعم ان المشية قديمة والارادة حادثة قائمة بذات الله تعالى سبحانه * وعلى من زعم * ان معنى ارادة الله فعله انه ليس بمكره ولا ساه ولا مغلوب * ومعنى ارادته فعل غيره انه آمر به فانه تعالى مريد بارادته القديمة ما كان ومايكون فلا يكون في الدنيا ولا في الاخرى صغيرا وكبيرا قليل او كثير خير او شر نفع او شر حلو او مر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او حسران زيادة او نقصان طاعة او عصيان الا بارادته وفق حكمته وطبق تقديره وقضائه في خليقته فما شاء الله كان ومالم يشاء لم يكن فهو الفعال لما يريد ولا معقب لحاكم في العبيد ولا مهرب عن معصيته الا بارادته ومعونته ولا مكسب يعبد في الطاعة الا بتوفيقه ومشيته ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولا منجا ولا ملجاء منه الا اليه * ولو اجتمع الخلق ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها مرة بدون ارادته لما قدروا على ذلك ولو ارادوا خلاف ماهنالك كما قال الله تعالى (وما تشاؤن الا ان يشاء الله) فهو سبحانه لم يزل موصوفا بارادته مريدا في الازل وجود الاشياء في اوقاتها التي قدرها فوجدت فيها كما علمها واراده وقدرها من غير تقدم وتأخر وتبدل وتغير * وهذا لاينافي ان يكون للعبد مشية لقوله تعالى (اعملوا ماشئتم * ثم من الدليل على صفة الارادة والمشية قوله تعالى (يفعل الله مايشاء) وفي آية اخرى (ويحكم مايريد) وهي والمشية واحدة عندنا في حق الله تعالى * اما في جانب العباد فيفترقان حتى لو قال لامرأته اردت طلاقك لاتطلق * ولو قال شئت طلاقك تقع * لان الارادة مشتقة من الرود وهو الطلب والمشية عبارة عن الايجاد فكانه قال اوجدت طلاقك وبه يقع الطلاق كذا ذكروه * وقال القونوي ره فيه نظر اذ لو كان كذلك لما احتج الى النية * والحاصل ان المشية عبارة عن الارادة التامة التي لا يتخلف عنها الفعل * والارادة تطلق على التامة وعلى غير التامة فالاولى هي المرادة في جانب الله تعالى والثانية في جانب العباد انتهى * وفيه انه على هذا كان ينبغي ان تذكر المشية في الصفات لا الارادة * فان قيل ان الله تعالى طلب الايمان من فرعون وابي جهل وامثالهما بالامر ولم يوجد منهم الايمان فلو كان الارادة والمشية واحدة كما زعمتهم لوجد ذلك منهم لان المشية هي الايجاد * قلنا الطلب

من الله تعالى على نوعين * طلب من المكلف * على وجه الاختيار وهو المسمى بالامر ولا يلزم منه الوجود لتعلقه باختيار المكلف * وطلب لا تعلق له باختيار المكلف * وهو المسمى بالمشية والارادة والوجود من لوازمهما اذ لو لم يكن يلزم العجز وهو سبحانه منزه عنه بخلاف العباد * ثم الحكمة سواء كان بمعنى العلم او احكام العمل فصفة ازلية عندنا خلافا للاشعرى حيث قال ان اريد بها العلم فهى ازلية وان اريد به الفعل فلا اذ التكوين حادث عنده * قال القونوى رضى الله عنه القدر هو علم المقصود * ثم اختلف عبارات اصحابنا فى هذه المسئلة * قال بعضهم نقول ان جميع الموجودات والافعال مراد الله ولا نقول على التفصيل ان القبايح والشرور والمعاصى من الله كما نقول على الاجمال انه خالق لجميع الموجودات ولا نقول على التفصيل انه خالق الجيفة والقاذورات * وقال بعضهم نقول على التفصيل ولكن مقرونا بقرينة يليق به * فنقول انه اراد الكفر من الكافر كسبا له شرا قبيحا منه كما اراد الايمان من المؤمن كسبا له خيرا حسنا مأمورا وهو اختيار الماتريدى * وبه قال الاشعرى هذا * والمحققون من اهل السنة يقولون الارادة فى كتاب الله نوعان * ارادة قدرية كونية خلقية وهى المشية الشاملة لجميع الحوادث بقوله سبحانه وتعالى (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء) وارادة دينية امرية شرعية وهى المتضمنة للمحبة والرضى لقوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وامثال ذلك * والامر يستلزم الارادة الثانية دون الاولى * فالامام ذكر هذه السبعة من الصفات الذاتية ومنها الاحدية فى الذات والواحدية فى الصفات والصمدية المستغنية عن المكنات والعظمة والكبرياء على ما ورد فى الصفات والاسماء * قال حجة الاسلام رحمه الله تعالى ينبغى ان نعتقد تفاوتا بين معنى اللفظين فانه يصعب علينا وجه الفرق بين معنيهما فى حق الله تعالى لكنا مع ذلك لا نشك فى اصل الافتراق ولذلك قال الله تعالى * الكبرياء ردائى والعظمة ازارى * ففرق بينهما فرقا يدل على التفاوت * فان كلا من الرداء والازار زينة * ولكن الرداء اشرف من الازار * ولذا جعل مفتاح الصلوة لفظ الله اكبر فهذه السبعة هى الصفات الذاتية الثبوتية * واختلف فى البقاء انه من الصفات الثبوتية او النعوت السلبية فبنى على الاوّل بعضهم وجمعها فى بيت واحد فقال

شعر

** حيوة علم وقدرة وارادة * كلام وبصر وسمع مع البقاء **

والاظهر انه من النعوت السلبية فان المراد به نفى العدم السابق والفناء اللاحق بناءً على ان ما ثبت قدمه استحال عدمه وما يجوز عدمه ممتنع قدمه * واما ما وقع فى متن العقايد لمولينا عمر النسفى رحمه الله تعالى من قوله الحى القادر العليم السميع البصير الشائى المريد * فقد يتوهم ان المشية والارادة متغايران وليس كذلك * لما سبق الكلام على هذا المقام * فان قيل

كيف صح اطلاق الموجود والواجب والقديم ونحو ذلك مما لم يرد به الشرع * قلنا بالاجماع وهو من الادلة الشرعية * واما الفعلية * اى الصفات الفعلية وهى التى يتوقف ظهورها على وجود الحق

(اعلم ان الحد بين صفات الذات وصفات الفعل مختلف فيه * فعند المعتزلة ماجرى فيه النفى والاثبات فهو من صفات الفعل كما يقال خلق لفلان ولد ولم يخلق لفلان * ورزق لزيد ولم يرزق لعمرو * وما لا يجرى فيه النفى فهو من صفات الذات كالعلم والقدرة (فلا يقال لم يعلم كذا ولم يقدر على كذا * فالارادة والكلام مما يجرى فيه النفى والاثبات قال الله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر * وكلم الله موسى تكليما * ولا يكلمهم الله يوم القيمة * فكانا من صفات الفعل وكانا حادثين * واما عند الاشعرى * فالفرق بينهما ان ما يلزم من نفيه نقيضه فهو من صفات الذات * فانك لو نفيت الحيوة يلزم الموت * ولو نفيت القدرة يلزم العجز * وكذا العلم مع الجهل * وما لا يلزم من نفيه نقيضه فهو من صفات الفعل فلو نفيت الاحياء او الاماتة او الخلق او الرزق لا يلزم منه نقيضه * فعلى هذا الحد لو نفيت الارادة لزم منه الجبر والاضطرار * ولو نفيت عنه بالكلام لزم الخرس والسكوت فثبت انهما من صفات الذات * وعندنا ان كل ما وصف به ولا يجوز ان يوصف به وبضده فهو من صفات الذات * كالقدرة والعلم والعزة والعظمة * وكل ما يجوز ان يوصف به وبضده فهو من صفات الفعل كالرأفة والرحمة والسخط والغضب (ثم شبهة الاشاعرة والمعتزلة فى ذلك ان التكوين لو كان ازليا لتعلق وجود المكون فى الازل * ولو تعلق وجوده فى الازل لوجب وجود المكون فى الازل لان القول بالتكوين ولا مكون كالقول بالضرب ولا مضروب وانه محال * فلابد ان يكون التكوين حادثا * والجواب ان التكوين ان حدث بالتكوين فهو محتاج الى تكوين فيؤدى الى التسلسل وهو باطل وينتهى الى تكوين قديم وهو الذى ندعيه او لا بتكوين آخر ففيه تعطيل الصانع * والحاصل انا نقول التكوين قديم والمتعلق به هو المكون وهو حادث كما ان العلم قديم وبعض المعلومات حادث على ان التكوين فى الازل لم يكن ليكون العالم به فى الازل بل ليكون وقت وجوده فتكوينه باق ابدا فيتعلق وجود كل موجود بتكوينه الازلى بخلاف الضرب لانه عرض فلا يتصور بقاؤه الى وقت وجود المضروب * ثم نقول لهم هل تعلق وجود العالم لذاته او بصفة من صفاته ام لا فان قالوا لا عطلوه * وان قالوا نعم قلنا فما تعلق به ازلى ام حادث * فان قالوا حادث * فهو من العالم وكان تعلق حدوث العالم ببعض منه لا به تعالى وفيه تعطيله وان قالوا ازلى (قلنا هل اقتضى ذلك ازلية العالم ام لا فان قالوا نعم كفروا (وان قالوا لا بطلت شبهتهم على ان تعلق وجود العالم بخطاب كن عند الاشعرى فكان تكوينا وهو ازلى فيكون مناقضا * فالتخليق والترزيق * وهو خلق الاشياء ورزق الاحياء * والانشاء * اى الابداء * والابداع * اى اختراع الاشياء * والصنع * اى اظهاره باظهاره المصنوعات فى حال الابتداء * وغير

ذلك

ذلك من صفات الفعل * كالاحياء والافناء والانبات والانماء وتصوير الاشياء والكل داخل تحت صفة التكوين (فالصفات الازلية عندنا ثمانية (لا كما زعم الاشعرى من ان الصفات الفعلية اضافات ولا تفرد به بعض علماء ماوراء النهر يكون كل من الصفات الفعلية صفة حقيقية ازلية فان فيه تكثير القدماء جدا وان لم يكن متغايرة (فالاولى ان مرجع الكل الى التكوين فانه ان تعلق بالحيوة يسمى احياء وبالموت اماتة وبالصورة تصويرا الى غير ذلك فكل تكوين (وانما الخصوص بخصوصية التعلقات (ثم المتبادر ان معنى التخليق والانشاء والفعل والصنع واحد وهو احداث الشيء بعد ان لم يكن سواء كان على نهج مثال سابق اولا (والصحيح ان لها معان متقاربة فان الابداع احداث الشئ بعد ان لم يكن لا على مثال سبق (بخلاف التخليق فانه اعم منه اومقابله فى التحقيق والانشاء مختص باول الاشياء * والفعل كناية عن كل عمل ٢ متعد ديكون فى الخير والشر * والصنع عمل فيه احكام وحسن نظام كما اشار اليه قوله سبحان الله صنع الذى اتقن كل شئ * واما الترزيق فهو احداث زرق الشئ وجعله قوتا له (ثم اعلم انه لا موجود فى عالم الملك والاشباح وعالم الملكوت والارواح الا وهو حادث احدثه الله تعالى بتخليقه وفعله وانشائه وصنعه وانه تعالى خلق الانس والجن وخلق رزقهما كما قال الله تعالى اخلقكم ثم رزقكم لما احب ان يظهر قدرته ورحمته ونعمته وحكمته وتبين الخلق معرفته كما قال الله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) اى ليعرفون * ولعل تخصيصهما بالذكر لانهم باعتبار جنسهم يعرفون الله بصفتى الجلال والجمال * وفى الحديث القدسى والكلام الانسى * كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف * يعنى ليترتب على المعرفة ما اراد لهم من المثوبة والقربة لانه مفتقر ومحتاج اليهم فى مقام اليقين فان الله غنى عن العالمين (التحقيق ان التكوين صفة ازلية لله تعالى لاطباق العقل والنقل على انه خالق العالم ومكون له وامتناع اطلاق اسم المشتق على الشئ من غير ان يكون مأخذ الاشتقاق وصفا له قائما به * فالتكوين * ثابت ازلا وابدا * والمكون * حادث بخلاف التعلق كما فى العلم والقدرة وغيرهما من الصفات القديمة التى لا يلزم من قدمها قدم متعلقاتها لكون تعلقاتها حادثة * ثم الامام * اتى ببعض الصفات الذاتية والفعلية دون غيرها من النعوت العلية لان معرفة هذه الصفات الشهيرة الجليلة تكفى المؤمن فى معرفة وجود الله وصفاته البهية * وقد قال فخر الاسلام على البزدوى فى اصول الفقه * واما الايمان والاسلام فان تفسيرهما التصديق والاقرار بالله سبحانه كما هو بصفاته واسمائه وقبول احكامه وشرايعه * وهو نوعان * ظاهر يفشيه بين المسلمين وثبوت حكم اسلامه تبعا لغيره من الابوين وغيرهما * وثابت بالبيان * بان يصف الله تعالى كما هو الان هذا مما يتعذر شرطه لان معرفة الخلق باوصاف الحق متفاوتة فى مقام التفسير ومال التعبير * وانما شرط الكمال بما لا خرج فيه ولا مجال وهو ان

٢ متعد

يثبت التصديق والاقرار بما قلنا اجمالا * وان عجز عن بيانه وتفسيره اكمالا * ولهذا قلنا * ان الواجب ان يستوصف المؤمن فيقال اهو كذا اى الله سبحانه بوصف كذا ونعت كذا من الصفات الثبوتية والسلبية والنعوت الذاتية والفعلية * فاذا قال نعم فقد ظهر كمال اسلامه وتبين غاية مرامه * واما من يستوصف به فجهل فليس بمؤمن * ولذا قال محمد رحمه الله تعالى فى الجامع الكبير * فى صغيرة بين ابوين مسلمين اذا لم تصف الاسلام حتى ادركت فلم تصف انها تبين من زوجها * لم يزل ولا يزال باسمائه وصفاته * اى موصوفا بنعوت الكمال ومعروفا باوصاف الجلال والجمال * لم يحدث له اسم ولا صفة * يعنى ان اسماء الله وصفاته كلها ازلية لا بداية لها * وابدية لا نهاية لها * لم تتجدد له تعالى صفة من صفاته * ولا اسم من اسمائه لانه سبحانه واجب الوجود لذاته الكامل فى ذاته وصفاته فلو حدث له صفة او زال عنه نعت لكان قبل حدوث تلك الصفة وبعد زوال ذلك النعت ناقصا عن مقام الكمال * وهو فى حقه سبحانه من المحال * فصفاته تعالى كلها ازلية ابدية * وههنا سؤال مشهور * وهو انه قد ورد الاخبار فى كلامه سبحانه بلفظ الماضى كثيرا نحو (انا ارسلنا نوحا) وقال موسى * فعصى فرعون) والاخبار بلفظ الماضى عما لم يوجد يعد كذبا والكذب عليه محال * وله جواب مسطور * وهو ان اخباره تعالى لا يتصف ازلا بالماضى والحال والاستقبال لعدم الزمان * وانما يتصف بذلك فيما لا يزال بحسب التعلقات * فيقال قام بذات الله تعالى اخبارا عن ارسال نوح مطلقا * وذلك الاخبار موجود ازلا باق ابدا * فقبل الارسال كان العبارة الدالة عليه انا نرسل * وبعد الارسال انا ارسلنا * فالتغير فى لفظ الاخبار لا فى الاخبار القايم * بالذات وهذا كما نقول فى علمه تعالى انه قايم بذاته سبحانه ازلا لانه يعلم بان نوحا مرسل وهذا العلم باق * فقبل وجوده علم انه سيوجد وبعد وجوده علم بذلك العلم انه وجد وارسل * والتغير فى لفظ العلم لا فى المعلوم * لم يزل عالما بعلمه * اى بعلمه الذى صفته الازلية لا بعلم لاحق يلزم منه جهل سابق وهذا معنى قوله * والعلم صفته فى الازل * يعنى وما ثبت قدمه استحال عدمه فعلمه ازلى ابدى منزه عن قبول الزيادة والنقصان بخلاف علوم ارباب العرفان * قادرا بقدرته * اى بقدرته التى هى صفته الازلية لا بقدرة حادثة فى الامور الكونية * والقدرة صفته فى الازل * وكذا نعته فى المستقبل * متكلما بكلامه * اى الذاتى القدسى * والكلام * اى النفسى * صفة فى الازل وخالقا بتخليقه والتخليق صفة فى الازل وفاعلا بفعله والفعل * ٢ اى فعله كما فى نسخة * صفة فى الازل * يعنى اذا خلق شيئا ابتداء وفعله فعلا انتهاء فانما يخلقه ويفعله فعله كما فى نسخة * صفة فى الازل * يعنى اذا خلق شيئا ابتداء وفعله فعلا انتهاء فانما يخلقه ويفعله بفعله الذى هو صفته الازلية لا بفعل حادث ووصف حادث عند خلقه وفعله * اذ لا يحدث له علم ولا قدرة ولا خلق بحدوث المعلوم والمقدور والمخلوق والمفعول وهذا معنى قوله

* والفاعل

٢ وفعله

* والفاعل هو الله تعالى * اى لا شريك له فى فعله وصنعه وحكمه وامره * والفعل صفة فى الازل والمفعول مخلوق * اى حادث عند تعلق فعله سبحانه به * وفعل الله تعالى غير مخلوق * اى ليس بحادث بل هو قديم كفاعله اذ لا يلزم من كون المفعول مخلوقا كون الفعل مخلوقا وفى كلام الامام ايماء الى انه لو كان فعل الله مخلوقا لزم شعدد الخالق * وقد ثبت ان الله سبحانه خالق كل شى فله سبحانه التوحيد الذاتى والصفاتى والفعلى * واغرب ابن الهمام رحمه الله حيث ذهل عن هذا الكلام * فقال وليس فى كلام ابى حنيفة رحمه الله تعالى تصريح بان صفة التكوين قديمة زائدة على الصفات المتقدمة سوى ما اخذه المتأخرون من قوله * كان تعالى خالقا قبل ان يخلق ورازقا قبل ان يرزق هذا * والاشاعرة يقولون ليست صفة التكوين سوى صفة القدرة باعتبار تعلقها بمتعلق خاص * والتخليق هو القدرة * باعتبار تعلقها بالمخلوق وكذا الترزيق صفات الافعال حادثة لانها عبارة عن تعلقات القدرة والتعلقات حادثة * قال ابن الهمام رحمه الله تعالى * وما ذكره المشايخ الحنفية رحمهم الله تعالى فى معنى التكوين من انها صفات تدل على تأثير * لا ينفى قول الاشاعرة ولا يوجب كون صفة التكوين على فصولها صفات اخرى لا ترجع الى القدرة المتعلقة والارادة المتعلقة بل فى كلام ابى حنيفة رحمه الله تعالى ما يفيد ان ذلك على فهم الاشاعرة من هذه الصفات على ما نقله الطحاوى عنه حيث قال * وكما كان تعالى بصفاته ازليا كذلك لا يزال عليها ابديا ليس منذ حال خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا باحداثه البرية استفاد اسم البارى بل له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالقية ولا مخلوق كما انه يحيى الموتى استحق هذا الاسم قبل احياء هم كذلك استحق اسم الخالق قبل انشائهم وذلك بانه على كل شىء قدير * انتهى فقوله (ذلك بانه على كل شىء قدير) تعليل وبيان لاستحقاق اسم الخالق قبل المخلوق فافاد ان معنى الخالق قبل الخلق واستحقاق اسم الخالق بسبب قيام قدرته تعالى على الخلق فاسم الخالق ولا مخلوق فى الازل لمن له قدرة الخالق فى الازل وهذا ما يقول الاشاعرة انتهى * وفيه ان المفهوم لا يعارض المنطوق المعلوم وصفاته فى الازل غير محدثة ولا مخلوقة تأكيد وتابيد او غير محدثة باحداثه ولا مخلوقة بخلق غيره * فمن قال انها مخلوقة او محدثة او وقف * اى بان لا يحكم بانها قديمة او حادثة ويؤخر طلب معرفتها ولا يقول آمنت بالله وبصفاته على وفق مراده * او شك فيها * اى تردد فى هذه المسئلة ونحوها سواء يستوى طرفاه او يترجح احدهما * فهو كافر بالله تعالى * اى ببعض صفاته وهو مكلف ان يكون عارفا بذاته وجميع صفاته الا ان الجهل والشك الموجبين للكفر مخصوصان بالصفات المذكورة من النعوت المسطورة المشهورة اعنى الحيوة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والارادة والتخليق والترزيق * والقرآن * اى النعوت بالفرقان المنزل على عين الاعيان وزين الانسان الا ان المراد به هنا كلامه النفسى ونعته الانسى وهذا الاطلاق لان معناه بفهم بواسطة مبناه فالمعنى ان كلامه

سبحانه الذى نعته المعظم شأنه *فى المصاحف مكتوب* اى بايدينا بواسطة نقوش الحروف واشكال الكلمات وفى القلوب محفوظ اى مستحضرة عند تصور المغيبات بالفاظ المتخيلات * وعلى الالسن مقروء * اى بحروفه الملفوظة المسموعة كما هو ظاهر فى المشاهدات وهذا من قولهم المقروء قديم والقراءة حادثة * فان قيل لو كان كلام الله تعالى حقيقة فى معنى القديم مجازا فى النظم المؤلف لصح نفيه عنه بان يقال ليس النظم المنزل * المعجز المفصل الى السور والآيات * كلام الله والاجماع على خلافه * قلنا التحقيق ان كلام الله تعالى اسم مشترك بين الكلام النفسى القديم ومعنى الاضافة كونه ٢ صفة له تعالى وبين اللفظى الحادث المؤلف من السور والآيات ومعنى الاضافة انه مخلوق الله تعالى ليس من تأليفات المخلوقين فلا يصح النفى اصلا ولا يكون الاعجاز والتحدى الا فى كلام الله ويتفرع عليه قولنا بحرم للمحدث مس القرآن وامثاله * وعلى النبى صلى الله عليه وسلم منزل * (بالتخفيف و) التشديد هو الاولى لنزوله مدرجا ومكررا * والمعنى انه انزل عليه بواسطة الحروف المفردات والمركبات فى الحالات المختلفات وهذا معنى قوله سبحانه (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون) اى محدث فى الانزال والا فكلامه النفسى منزه عن الانتقال * ولفظنا بالقرآن مخلوق وكتابتنا له وقراءتنا له مخلوق * وهذا كالتأكيد لقوله ولفظنا * ولا يبعد ان يراد بالقراءة تصور مبانيه وتقرر معانيه من غير التلفظ بما فيه * ولعل لهذا المعنى لم يقل وحفظنا له مخلوق وذلك لانها كلها من افعالنا وفعل المخلوق مخلوق * والقرآن * اى كلامه النفسى ونعته القدسى * غير مخلوق * اى ولا حال فى المصاحف وغيرها وذلك ان كل من يأمر وينهى ويخبر عن ماضى يجد فى نفسه معنى يدل عليه بالعبارة (ويشير اليه بالكتابة والاشارة * ثم اعلم ان مذهب الاشعرى انه يجوز ان يسمع الكلام النفسى اى بطريق خرق العادة كما نبه عليه الباقلانى * ومنعه الاستاذ ابو الاسحاق الاسفرائنى وهو اختيار الشيخ ابى منصور الماتريدى * فمعنى قوله تعالى * حتى يسمع كلام الله * يسمع ما يدل عليه فموسى عليه السلام سمع صوتا دالا على كلامه سبحانه لكن لما كان بلا واسطة الكتابة والملك بل على طريق خرق العادة * خص باسم الكليم كما يدل عليه قوله (نودى من شاطئ الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة) وسياتى زيادة تحقيق لهذا المرام فى كلام الامام فى كتاب الوصية نقر بان القرآن كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله وصفته لا هو ولا غيره بل هو صفة على التحقيق مكتوب فى المصاحف مقروء بالالسن محفوظ فى الصدور غير حال فيها والحروف والجلد والكاغد والكتابة كلها مخلوقة لانها افعال العباد وكلام الله سبحانه وتعالى غير مخلوق لان الكتاب والحروف والكلمات والآيات كلها آلة القرآن لحاجة العباد * اليها وكلام الله تعالى قائم بذاته ومعناه مفهوم بهذه الاشياء فمن قال بان كلام الله تعالى مخلوق فهو كافر بالله العظيم * والله تعالى معبود ولا يزال عما كان وكلام مقروء ومكتوب ومحفوظ

٢ مخلوق

من

من غير مزايلة عنه انتهى * وقال فخر الاسلام قد صح عن ابي يوسف رحمه الله تعالى انه قال ناظرت ابا حنيفة رحمه الله في مسئلة خلق القرآن واتفق رأيي ورأيه على ان من قال بخلق القرآن فهو كافر وصح هذا القول ايضا عن محمد رحمه الله * وقد ذكر المشايخ رحمهم الله انه يقال القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ولا يقال القرآن غير مخلوق لئلا يسبق الى الفهم ان المؤلف من الاصوات والحروف قديم كما ذهب اليه جهلة بعض الحنابلة * واما ما في شرح العقايد من انه عليه الصلوة والسلام قال القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم * فهو لا اصل له كما بينه في تخريج احاديثه * ثم تحقيق الخلاف بيننا وبين المعتزلة يرجع الى اثبات الكلام النفسي ونفيه والا فنحن لا نقول بقدم الالفاظ والحروف وهم لا يقولون بحدوث الكلام النفسي * ودليلنا ما مر من انه ثبت بالاجماع وتواتر النقل عن الانبياء انه متكلم ولا معنى له سوى انه متصف بالكلام ويمتنع قيام اللفظي الحادث بذاته الكريم فتعين النفسي القديم * واما استدلالهم بان القرآن متصف بما هو من صفات المخلوق وسمات الحدوث من التأليف والتنظيم والنزول والتنزيل وكونه عربيا مسموعا فصيحا معجزا الى غير ذلك فانما يقوم حجة على الحنابلة لا علينا لانا قائلون بحدوث النظم ايضا وانما الكلام في معنى القديم * والمعتزلة لما لم يمكنهم انكار كونه متكلما ذهبوا الى انه متكلم بمعنى موجد الاصوات والحروف في محالها واشكال الكتابة في اللوح المحفوظ وان لم يقرأ على اختلاف بينهم كقوله تعالى (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) وانت خبير بان المتحرك من قامت به الحركة لا من اوجدها والاصح اتصاف الباري تعالى بالاعراض المخلوق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا * واما اذا كان في الاية قرائتان فان كان لكل قراءة معنى غير معنى الاخرى فالله تعالى تكلم بهما جميعا وصارت القراءتان بمنزلة الايتين وان كان القراءتان معناهما واحد * فالله تعالى متكلم بامديهما ورخص بان يقرأ بهما جميعا كذا ذكر الفقيه ابو الليث * فاعلم ان الصحابة والتابعين وغيرهم من المجتهدين رضوان الله عليهم اجمعين قد اجمعوا على ان كل صفة من صفات الله تعالى لا هو ولا غيره كذا ذكره شارح * والمعنى انها لا هو بحسب المفهوم الذهني ولا غيره بحسب الوجود الخارجي فان مفهوم الصفات غير مفهوم الذات الا انها لا تغاير ها باعتبار ظهورها في الكائنات * والحاصل ان كلامه من صفاته وهو قديم بذاته وصفاته والقديمية مستلزمة للبقائية لان ما ثبت قدمه يستحيل عدمه كما هي مستفاد من قوله تعالى * هو الاول والاخر * اي بلا ابتداء ولا انتهاء * واما القديم فليس من الاسماء الحسنى وان اطلق عليه علماء الكلام مع انه انكر كثير من السلف الكرام وكذا بعض من الخلف الفخام * ومنهم ابن حزم ذهابا الى الحزم فان القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن هو المتقدم على غيره فيقال هذا قديم للعتيق وهذا حديث للجديد لا في القدم الذي لا يسبقه العدم ففي التنزيل قوله (حتى عاد كالعرجون القديم) وهو الذي يبقى الى حين وجود العرجون الثاني * فاذا وجد الجديد قيل الاول قديم وقوله (واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) متقدم في الزمان

ثم لاريب فيه انه اذا كان مستعملا بمعنى المتقدم فما تقدم على الحوادث كلها فهو احق بالتقدم من غيره * لكن اسماء الله تعالى هى الاسماء الحسنى التى تدل على خصوص يمدح به والتقدم فى اللغة مطلق لايختص بالتقدم على الحوادث كلها فلايكون من الاسماء الحسنى وجاء الشرع باسم الاوّل وهو احسن من القديم لانه يشعر بان مابعده ائل اليه متابع له بخلاف القديم الا انه ماكان الله سبحانه هو الفرد الاكمل فى معنى القديم المتناول للاوّل فاطلقه المتكلمون عليه فتأمل * ثم القيوم يدل على معنى الازلية والابدية مالا يدل عليه لفظ القديم ويدل ايضا على كونه موجودا بنفسه وهو معنى كونه واجب الوجود * ولهذ المبنى المشتمل على حقايق المعنى قيل الحى القيوم هو الاسم الاعظم * ويؤيده ماصح عنه صلى الله عليه وسلم ان قوله * الله لااله الاهو الحى القيوم * اعظم آية فى القرآن ويقويه ان هذين الاسمين مدار الاسماء الحسنى كلها واليهما يرجع جميع معانيها فان الحيوة مستلزمة لجميع صفاته الكمال فلايتخلف عنها صفة منها الالضعف الحيوة فاذا كانت حيوته اكمل حيوة واتمها استلزم اثباتها اثبات كل كمال يضاعيه كمال الحيوة * واما القيوم فهو متضمن كمال غنائه وكمال قدرته وافتقار غيره اليه فى ذاته وصفاته ايجادا وامدادا فانه القائم بنفسه فلايحتاج الى غيره بوجه من الوجوه المقيم لغيره فلا قيام لغيره الا باقامته فانتظم هذ ان الاسمان صفات الكمال على الوجه الاتم فلايبعد على الوجه الاتم ان يكون الاسم الاعظم والله سبحانه اعلم * وماذكر الله تعالى فى القرآن * اى المنزل والفرقان المكمل * عن موسى وغيره من الانبياء * اى اخبارا منهم اوحكاية عنهم * وعن فرعون وابليس * اى نحوهما من اعداء الانبياء وفى تخصيص موسى عليه السلام ايماء الى انه صاحب التكليم والكلام ❀ وفى تقديم فرعون اشعار بانه فى مقام التلبيس اقوى منه ابليس * وفيه رد على ابن العربى ومن تبعه كالجلال الدوانى * وقد الفت رسالة مستقلة فى تحقيق هذه المسئلة * وبينت ماوقع لهم من الوهم فى المواضع المشكلة * واتيت بموضوع الادلة المستجمعة من الكتاب والسنة ونصوص الائمة * فان ذلك * اى ماذكر من النوعين * كله * على مافى نسخة اى جميعه * كلام الله تعالى * اى القديم * اخبار اعنهم * اى وفق ماكتب الكلمات الدالة عليه فى اللوح قبل خلق السماء والارض والروح لا بكلام حادث حصل بعد علم حادث عند سمعه * من موسى * وعيسى وغيرهما من الانبياء * ومن فرعون * وابليس * وهامان * وقارون * وسائر الاعداء فاذا الفرق بين اخبار الله تعالى عن اخبارهم واحوالهم واسرارهم كسورة تبت وآية القتال ونحوهما وبين اظهار الله تعالى من صفات ذاته وافعاله وخلق مصنوعاته كآية الكرسى وسورة الاخلاص وامثالهما وبين الآيات الآفاقية والانفسية فى كون كل منها كلامه وصفته الاقدسية الانفسية ومجمل الكلام قوله على مافى نسخة * وكلام الله تعالى * اى ماينسب اليه * غير مخلوق * اى لاحادث * وكلام موسى * اى ولوكان مع ربه * وغيره * اى كذا كلام غيره * من المخلوقين * اى كسائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين

* مخلوق * اى حادث بعد كونهم مخلوقين * والقرآن كلام الله تعالى * اى بالحقيقة كما قاله الطحاوى ولا بالمجاز كما قال غيره لان ما كان مجازا يصح نفيه وههنا لا يصح * واجيب بان الشرع اذا ورد باطلاقه فيما يجب اعتقاده لا يصح نفيه * فهو قديم كذاته * لا كلامهم * فانه حادث مثلهم اذ النعت تابع لمنعوته * وانما يقال المنظوم العبرانى الذى هو التورية والمنظوم العربى الذى هو القرآن كلامه سبحانه لان كلماتهما وآياتهما ادلة كلامه وعلامات مرامه * ولان مبدأ نظمها من الله تعالى * الا ترى انك اذا قرأت حديثا من الاحاديث قلت هذا الذى قرأت وذكرت ليس قولى بل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لان مبدأ نظم ذلك القول من الرسول صلى الله عليه وسلم ومنه قوله تعالى (افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) وقوله عز وجل (وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) واعلم ان ما جاء فى كلام الامام وغيره من علماء الانام من تكفير القائل بخلق القرآن فمحمول على كفران النعمة لا كفر الخروج من الملة * بخلاف المعتزلة فى هذه المسئلة * بل التحقيق ان لا نزاع فى هذه القضية اذ لا خلاف لاهل السنة فى حدوث الكلام اللفظى * ولا نزاع للمعتزلة فى قدم الكلام النفسى لو ثبت عندهم بالدليل القطعى * واما حديث من قال ان القرآن مخلوق فقد كفر * فغير ثابت مع انه من الآحاد وقابل التأويل فى بيان المراد * والقول بان المراد بالمخلوق بالمختلق بمعنى المفترى ومع هذا لا يجوز لاحد ان يقال القرآن اللفظى مخلوق لما فيه من الايهام المؤدى الى الكفر وان كان صحيحا فى نفس الامر باعتبار بعض اطلاقات القرآن فانه يطلق على القرائة كقرآن الفجر ويطلق على المصحف كحديث * لا تسافروا بالقرآن فى ارض العدو * يطلق على المقروء خاصة وهو كقرآن كلامه القديم قال تعالى * فاذا قرأت القرآن اى كلام الله فاذا ذكر مع قرينة تدل على الحدوث ٢ كتحريم مس القرآن للمحدث فهو محمول على المصحف والقراءة فاذا ذكر مطلقا يحمل على الصفة الازلية فلا يجوز ان يقال القرآن مخلوق على الاطلاق

٢ الحادث

* وسمع موسى كلام الله تعالى قال الله تعالى وكلم الله موسى تكليما * اتى بالمصدر المؤكد لدفع حمل الكلام على المجاز اى كلمه الله تكليما محققا واوقع له سماعا مصدقا * والمعنى ان موسى سمع كلام رب الارباب بلا واسطة الا انه من وراء الحجاب ولذا قال رب ارنى انظر اليك فى هذا الباب * قال شارح عقيدة الطحاوى وكان يسمع كلام من باطن الغمام الذى كالعمود وقد يغشاه الغمام * وربما كان يسمع كلام الله تعالى من باطن النار او بارسال جبرائيل او غيره من الملائكة انتهى * وفى الاخرين نظر اذ لا يحصل بهما خصوصية له ولا مزية من غيره * واما ما قبله فلعله عليه الصلوة والسلام وقع له الكلام فى الاوقات المتعددة والاحوال المختلفة والافالكلام الذى وقع له اولا انما كان من الشجرة كما اخبر سبحانه بان نودى من الشجرة المباركة التى ظنها انها نار وانما كانت معدن انوار ومنبع اسرار ونتيجة اثمار فى اشجار * وقد كان الله تعالى متكلما *

اى فى الازل *ولم يكن كلم موسى* اى والحال انه لم يكن كلم موسى بل ولا خلق اصلا موسى وعيسى *وقد كان الله تعالى خالقا فى الازل ولم يخلق الخلق* جملة حالية * والمعنى ان الحق كان خالقا قبل خلق الخلق *وفى نسخة وكان الله تعالى خالقا قبل ان يخلق حقيقة بمعنى ان هذه النعت فيه محقق لا مجاز* كما قال ابن ابى شريف انه كان خالقا بالقوة * فانه يوهم انه تحت الامكان واحتمال الوقوع واللاوقوع فى الازمان وليس الامر كذلك فانه كان خالقا متحقق الوقوع فى وقت اراد فيه الشروع فتأخر متعلق الكلام والخلق من موسى عليه السلام وسائر الانام لا يوجب نفى صحة الكلام وتحقق الخلق عن الحق عند علماء الاعلام لان كل شىء يكون فى القوة ثم يصير الى الفعل فهو حادث اذ كل ممكن الوجود حادث كما مر جوابه * وايضا فرق واضح ولون لائح بين من هو قادر على الكتابة الا انه يؤخرها الى وقت الارادة وبين الكاتب بالقوة حديث انه عاجز فى الحالة اى الممسكة الراهنة وتحت الاحتمال فى الازمنة الآتية * والحاصل انه سبحانه كما قال الطحاوى *وليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا باحداثه البرية استفاد اسم البارى فله معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالقية ولا مخلوق وكما انه محى الموتى بعد ما احى استحق هذا الاسم قبل احيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل انشائهم ذلك بانه على كل شىء قدير واليه المصير وكل امر عليه يسير وليس كمثله شئ (اى كذاته وصفاته) وهو السميع البصير * فقوله ليس كمثله رد على المشبهة وقوله (وهو السميع البصير) رد على المعطلة * وقد قال نعيم ابن حماد الخزاعى شيخ البخارى من شبه الله بخلقه اى ذاتا وصفة فقد كفر *ومن جحد ما وصف الله به نفسه اى من الصفات الذاتية والفعلية فقد كفر * وقال الطحاوى من لم يتوق النفى والتشبيه زل ولم يصب التنزيه * ثم من جملة ما قالوا فى قوله ليس كمثله شىء ان اريد به المبالغة اى ليس كمثله مثل لو فرض المثل وكيف ولا مثل له *وقد علمت بالادلة الشرعية العقلية استحالة قيام الحوادث بذات الله الازلية الابدية فكلامه قديم وكذا صفة خلقه * واما متعلقاتهما فحادث فى وقت تعلق الارادة بوقوعه *وفى نسخة (كان الله متكلما) متأخرا عن قوله وكان الله خالقا وعلى كل شئ قدير فالجملة المتعلقة بالخلق اعتراضية للاشعار بان خلق موسى عليه السلام حادث فى اثناء خلق الانام فكيف مقامه فى مرام الكلام * **فلما كلم** * اى الله كما فى نسخة *موسى* والمعنى اراد تكليمه اياه * **كلمه الذى هو له صفة** * اى قديمة وفى نسخة هو صفة له وفى نسخة هو من صفاته *فى الازل *يعنى انه كلمه بمضمون كلام القديم الازلى الاقدس كما نقش الكلمات الدالة عليه فى اللوح المحفوظ الانقش قبل خلق السموات والارض وانقش فكلمه على وفق تلك الكلمات المسطورة فتلك الكلمات المزبورة والكلمات التى سمعها موسى عليه السلام من الشجرة المشهورة حادثة مخلوقة الا انها ادلة كلامه الذى هو صفته الازلية الحقيقية *وقال شارح عقيدة الطحاوى رحمه الله تعالى قول الامام (ولما كلم موسى كلم بكلامه الذى هو من صفاته) يعلم انه

حين جاء كلمه الا انه لم يزل ولا يزال ازلا وابدا يقول ياموسى كما يفهم ذلك من قوله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) ففهم منه الرد على من يقول من اصحابه انه معنى واحد قائم بالنفس لا يتصور ان يسمع * وانما يخلق الله الصوت فى الهواء كما قاله ابو منصور الماتريدى * وقول الامام «الذى هو من صفاته» رد على من يقول انه حدث له وصف الكلام بعد ان لم يكن متكلما * وبالجملة فكل ما يحتج به المعتزلة مما يدل على كلام متعلق بمشيته وقدرته وانه متكلم اذا شاء وانه يتكلم شيئا بعد شىء فهو حق يجب قبوله وما يقول به من يقول * ان كلام الله قائم بذاته وانه صفة له * والصفة لا يقوم الا بالموصوف * فهو حق يجب قبوله والقول به فيجب الاخذ بما فى قول كل من الطائفتين من الصواب والعدل عما يرده الشرع والعقل من قول منهما وهذا فصل الخطاب * وقد قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بكلمات الله وهو عليه السلام لا يتعوذ بمخلوق بل هو كقوله اعوذ برضاك وقوله (اعوذ بعزة الله تعالى وقدرته) كثير من متأخرى الحنفية ره على انه معنى واحد والتعدد والتكثر والتجزى والتبعض فى الحاصل فى الدلالات لا فى المدلول وهذه العبارات مخلوقة وسميت كلام الله لدلالتها عليه وتأديته فان عبر بالعربية فهو قرآن وان عبر بالعبرانية فهو توراة فاختلفت العبارات لا الكلام قالوا ويسمى هذه العبارات كلام الله مجازا * وهذا كلام فاسد فان لازمه ان معنى قوله ولا تقربوا الزنا هو معنى قوله واقيموا الصلوة ومعنى آية الكرسى هو معنى آية المداينة ومعنى سورة الاخلاص هو معنى سورة تبت * ثم قال ومن قال ان المكتوب فى المصاحف عبارة عن كلام الله او حكاية كلام الله وليس فيها كلام الله فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الامة وكلام الطحاوى ويرد قول من قال انه معنى واحد لا يتصور سماعه منه وان المسموع المنزل المقروء المكتوب ليس بكلام الله وانما هو عبارة * قال الطحاوى يقول كلام الله منه بدأ بلا كيفية اى لا نعرف كيفية تكلمه به وكذا قال غيره من السلف منه بدأ واليه يعود * وانما قالوا منه بدأ لان الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون انه خلق الكلام فى محل فقدر الكلام فى ذلك المحل فقال السلف منه بدأ † اى هو المتكلم به فمنه بدأ اى لا من بعض المخلوقات كما قال (تنزيل من الرحمن الرحيم) ومعنى قولهم واليه يعود انه يرفع من الصدور والمصاحف كما ورد فى الاحاديث انتهى * والاظهر عندى ان معنى واليه يعود يرجع عليه علم التفصيل وكيفية كلامه وكنه حقيقة مرامه فان سماع موسى عليه السلام كلامه لا يتصور ان يقال سمعه كله او بعضه ٢ (وصفاته) وفى نسخة لم يزل صفاته (كلها) اى ونعوت البارى جميعها واقعة فى الازل (بخلاف صفات المخلوقين) اى لا يشبه بفوتهم وان وقع الاشتراك الاسمى فى صفات الحق ونعت الخلق من * العلم * والقدرة * والرؤية * والكلام * والسمع ونحوه كما بينه بقوله (يعلم) اى الله تعالى كما فى نسخة (لا كعلمنا) اى يا معشر الخلق فانا نعلم الاشياء بالآلات وتصور صور حاصلات فى اذهاننا بقدر افهامنا واعلامنا والله تعالى يعلم حقايق الاشياء كلها وجزئها ظاهرها وخفيها بعلم ذاتى صمدى

ازلى ابدى (ويقدر) اى الله سبحانه (لا كقدرتنا) لان قدرته قديمة لا بآلة ولا بمشاركة وهو على كل شئ قدير ونحن لا نقدر الا على بعض الاشياء بالاقدار * وذلك المقدار ايضا بالآلات والاعوان والانصار واما هو سبحانه ففاعل مختار وقادر حكيم مدبر بقدرة واختيار (ويرى) اى هو سبحانه لقوله سبحانه الم يعلم بان الله يرى (لا كرؤيتنا ويسمع لا كسمعنا) فانا نرى الاشكال والالوان المختلفة ونسمع الاصوات والكلمات المؤتلفة بالآلات المخلوقة فى الاعضاء المركبة على وفق ابصاره لا بابصارنا واسماعه لا باسماعنا * كما ورد فى الدعاء اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا ما احييتنا * والله سبحانه يرى الاشكال والالوان والهيئات المختلفات بابصاره الذى هو صفته على نعت اقتداره * ويسمع له الاصوات والكلمات والمفردات والمركبات بسمعه الذى هو نعته لا بآلة من الآلات ولا بمشاركة غيره من الكائنات وان رؤيته للمرئيات وسمعه للمسموعات قديمة بالذات وان كان المرئى والمسموعات من الحادثات على ما سبق بيانه فى سائر الصفات من ان تأخر المتعلق الحادث لا ينافى تقدم المتعلق القديم * الا ترى انك ترى فى حالة نومك بقوى بطون دماغك فى حال رؤياك اشكالا والوانا تسمع اصواتا ٢ واتنانا ولا شكل ولا لون بحاضر ولا حاضر وبعد زمان غابر ترى تلك الالوان والاشكال وتسمع تلك الاصوات والاقوال فى حال يقظتك على منوال ما رأيتها وسمعتها فى تلك الحال بلا زيادة ولا نقصان فى المآل ومع هذا تتعجب من الله الملك المتعال الموصوف بنعوت الكمال انه كيف يرى الالوان والاشكال قبل وجودها وكيف يسمع الاصوات والكلمات قبل وقوعها وهو الذى يريك الاشكال والالوان فى حالة نومك بدون حضورها ويسمعك الاصوات والكلمات قبل صدورها (ويتكلم لا ككلامنا) كما بينه بقوله (نحن نتكلم بالآلات) اى من الحلق واللسان والشفة والاسنان (والحروف) اى الاصوات المتعمدة على المخارج المعهودات بالهيئات المعروفات (والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف) لكمالات الذات والصفات (والحروف مخلوقة) اى كالآلات (وكلام الله تعالى غير مخلوق) بل هو قديم بالذات * قال الطحاوى * فمن سمعه فزعم انه كلام البشر فقد كفر فقد ذمه الله واوعده بسقر حيث قال ساصليه سقر فلما اوعد الله بسقر لمن قال ان هذا الا قول البشر * علمنا وايقنا انه قول خالق البشر لا يشبه قول البشر انتهى * وقال شارحه قد افترق الناس * (فى مسئلة الكلام) على تسعة اقوال * احدها ان كلام الله هو ما يفيض على النفوس من المعانى اما من العقل الفعال عند بعضهم او من غيره وهذا قول الصابئية والمتفلسفة * وثانيها * انه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه (وهذا قول المعتزلة * وثالثها انه معنى واحد قائم بذات الله لكنه هو الامر والنهى والخبر والاستخبار ان عبر عنه بالعربية كان قرآنا وان عبر بالعبرانية كان توراة * وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالاشعرية وغيره * ورابعها انه حروف واصوات ازلية مجتمعة فى الازل * وهذا قول طائفة من اهل الكلام والحديث * وخامسها *

وافنانا

انه

انه مروف واصوات لكن تكلم الله بها بعد ان لم يكن متكلما * وهذا قول الكرامية وغيرهم * وسادسها * ان كلامه يرجع الى ما يحدث من علمه وارادته القائم بذاته * وهذا قول صاحب المعتبر ويميل اليه الرازى فى المطالب العالية * وسابعها * أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه فى غيره * وهذا قول ابى منصور الماتريدى * وثامنها * انه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه فى غيره من الاصوات * وهذا قول ابى المعالى ومن تبعه * قلت والاظهر ان المعنى الاول حقيقة والثانى مجاز * وتاسعها * انه تعالى لم يزل متكلما اذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصوت يسمع وان نوع الكلام قديم وان لم يكن صوت المعبر قديما * قلت فهذا يؤيد ما قدمناه وهذا المأثور عن ائمة الحديث والسنة ولعل تكرار هذه المسئلة فى تأليف الامام لكمال الاهتمام فى مقام المرام * ثم اعلم ان عباد العجل مع كفرهم بالله اعرف من المعتزلة لانه لما قال لهم موسى الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لم يجيبوا بان ربك لا يتكلم ايضا فعلم ان نفى التكلم نقص يستدل به على عدم الوهية العجل * وغاية شبهتهم انهم يقولون يلزم منه التشبيه والتجسيم فيقال لهم (اذا قلنا انه تعالى يتكلم كما يليق بجلاله انتفت شبهتهم * ولقد قال بعضهم لابى عمرو بن العلاء احد السبعة من القراء اريد ان يقرأ وكلم الله موسى بنصب اسم الله ليكون موسى هو المتكلم لا الله سبحانه وقال له ابو عمرو هب انى قرات هذه الاية كذا فكيف يصنع بقوله تعالى * ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه * فبهت المعتزلى ثم افضل نعم الجنة رؤية وجهه وسماع كلامه فانكار ذلك انكار لروح الجنة الذى ما طابت لاهلها الا به كما ان اشد العذاب للكفار عدم تكليمه لهم ووقوع الحجاب كما اخبره عنهم بقوله ولا يكلمهم الله يوم القيمة اى تكليم الكريم وقال فى آية اخرى (قال اخسؤا فيها ولا تكلمون (وبقوله) كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * واما استدلالهم بقوله تعالى (سبحان الله خالق كل شىء والقرآن شىء فيكون داخلا فى عموم كل شىء فيكون مخلوقا فمن اعجب العجائب * وذلك ان افعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله وانما يخلقها العباد جميعا لا يخلقها الله فاخرجوها من عموم كل شىء وادخلوا كلام الله فى عمومه مع انه صفة من صفات الله كيف يكون من الاشياء المخلوقة اذ بامره تكون المخلوقات * قال الله (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر) ففرق بين الخلق والامر وطرد باطلهم يقتضى ان يكون جميع صفاته تعالى مخلوقة كالعلم والقدرة وغيرهما فذلك صريح كفر فان علمه شىء وقدرته شىء وحياته شىء آخر فيدخل ذلك فى عموم كل شىء فيكون مخلوقا بعد ان لم يكن تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وكيف يصح ان يكون متكلما بكلام يقوم بغيره ولو صح ذلك للزم ان يكون ما احدثه من الكلام فى الجمادات والحيوانات كلامه * ولا يفرق حينئذ بين نَطَقَ وَأَنْطَقَ * وانما قالت الجلود انطقنا الله ولم تقل نطق الله * بل يلزم ان يكون متكلما بكل كلام خلقه فى غيره زورا كان او كذبا او كفرا او هذيانا تعالى الله عن ذلك * قال القونوى رحمه الله تعالى وقد طرد ذلك الاتحادية * فقال ابن عربى *

﴿ شعر ﴾ وكل كلام فى الوجود كلامه * سواء علينا نثره ونظامه

وبمثل ذلك الزم الامام عبد العزيز المكى بشر المريسى بين يدى المأمون بعد ان يتكلم معه ملتزما ان لايخرج عن نص التنزيل والزمه الحجة فقال بشر يا امير المؤمنين ليدع مطالبتى بنص التنزيل وان يناظرنى بغيره فان لم يدع قوله ويرجع عنه ٢ ويقول بخلق القرآن الساعة والافدمى هلال لك * قال عبد العزيز تسألنى ام اسألك فقال بشر انت وتطمع فى فقلت له يلزمك واحدة من ثلاث لابد منها * اما ان تقول ان الله خلق القرآن فى نفسه اوخلقه قائما بذاته ونفسه * اوخلقه فى غيره * قال * اقول خلقه كما خلق الاشياء كلها وحار عن الجواب فقال المأمون اشرح انت هذه المسئلة ودع بشرا فقد انقطع * فقال عبد العزيز ان قال خلق كلامه فى نفسه فهذا محال لان الله لايكون محلا للحوادث ولايكون منه شىء مخلوقا * وان قال خلقه فى غيره فيلزمه فى النظر والقياس ان كل كلام خلقه الله فى غيره فهو كلامه * وان قال خلقه قائما بنفسه وذاته فهو محال لان الكلام لايكون الامن متكلم كما لايكون الارادة الامن مريد ولا العلم الامن عالم ولايعقل كلام قائم بنفسه يتكلم بذاته * فلما استحال من هذه الجهات ان يكون مخلوقا علم انه صفة الله وهذا مختصر من كلام الامام عبد العزيز فى الحميدة * قال القونوى ره وما افسد استدلالهم بقوله * فى البقعة المباركة من الشجرة * على ان الكلام خلقه الله فى الشجرة فسمعه موسى عليه السلام منها وعموا عما قيل هذه الكلمة فانه تعالى قال * فلما اتاها نودى من شاطىء الوادى الايمن * والنداء هو الكلام من بعد فسمع موسى النداء من خافة الوادى * ثم قال فى البقعة المباركة من الشجرة * اى ان النداء كان فى البقعة المباركة من عند الشجرة كما تقول سمعت كلام زيد من البيت ويكون البيت لابتداء الغاية لان البيت هو المتكلم * ولو كان الكلام مخلوقا فى الشجر لكانت الشجرة هى القائلة * ان يا موسى انى انا الله * ولو كان هذا الكلام بدأ من غير الله لكان قول فرعون * انا ربكم الاعلى * صدقا اذ كل من الكلامين عندهم مخلوق وقد قاله غير الله وقد فرقوا بين الكلامين على اصلهم الفاسد ان ذلك كلام خلقه الله فى الشجرة وهذا كلام خلقه فرعون فحرفوا وبدلوا واعتقدوا خالقا غير الله * وقد قال الله تعالى * هل من خالق غير الله * فان قيل قد قال الله تعالى * انه لقول رسول كريم * وهذا يدل على ان الرسول احدثه اما جبرائيل عليه السلام او محمد صلى الله عليه وسلم * قيل ذكر الرسول ليعرف انه مبلغ عن مرسله لانه لم يقل انه قول ملك اونبى فعلم انه بلغه عمن ارسله به لا انه انشأه من جهة نفسه * وايضا فالرسول فى احدى الايتين جبرائيل وفى الاخرى محمد صلى الله عليه وسلم فاضافته الى كل منهما تبين ان الاضافة للتبليغ اذ لو احدثه احدهما امتنع ان يحدثه الآخر * وايضا فان الله تعالى قد كفر من جعله قول البشر فمن جعله قول محمد صلى الله عليه وسلم بمعنى انه انشأه فقد كفر * ولا فرق بين ان يقول انه قول بشر اوجن اوملك اذ الكلام كلام من قاله مبتدأ لا من قاله مبلغا * اما ترى ان من سمع قائلا يقول *

شعر

﴿ شعر ﴾ قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل * قال هذا شعر امرأ القيس * وان من سمع قائلا يقول * انما الاعمال بالنيات * قال هذا كلام الرسول عليه الصلوة والسلام * ومن سمع قائلا يقول الحمد لله رب العالمين وقل هو الله احد * قال هذا كلام الله * وبالجملة فاهل السنة والجماعة كلهم من اهل المذاهب الاربعة وغيرهم من السلف والخلف متفقون على ان القرآن غير مخلوق * ولكن بعد ذلك تنازع المتأخرون فى ان كلام الله هل هو معنى واحد قائم بالذات او انه حروف واصوات تكلم الله بها بعد ان لم يكن متكلما * او انه لم يزل متكلما اذا شاء ومتى شاء وكيف شاء * وان نوع الكلام قديم وهو مختار الامام الطحاوى * والنزاع بين اهل القبلة انما هو فى كونه مخلوقا خلقه الله او هو كلامه الذى تكلم به وقام بذاته (وهو شئ لا كالاشياء) هذا احد الكلام وجملة المرام فانه سبحانه شئ اى موجود بذاته وصفاته الا انه ليس كالاشياء المخلوقة ذاتا وصفة كما يشير اليه قوله سبحانه * ليس كمثله شئ * سواء نقول الكاف زائدة للتأكيد او المبالغة كقول العرب مثلك لا يبخل وهم يريدون نفيه عن نفسه فانهم اذا نفوه عن نفسه فقد نفوه عنه بابلغ وجه منه * فالكناية ابلغ فى باب الرعاية * والتلويح اوفى ٢ منه التصريح او نقول الكاف ثابتة * والمراد بمثله ذاته وصفاته * والحاصل كما قاله العارف الكامل ما خطر ببالك فالله سوى ذلك * وقد قال تعالى * ولا يحيطون به علما * والعجز عن درك الادراك ادراك * وقد صح عنه عليه الصلوة والسلام قوله لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك * ويعلم من قوله شئ لا كالاشياء انه سبحانه ليس فى مكان من الامكنة ولا فى زمان من الازمنة لان المكان والزمان من جملة المخلوقات وهو سبحانه كان موجودا فى الازل ولم يكن معه شئ من الموجودات * ثم اعلم ان الشئ فى اصله مصدر * مستعمل بمعنى المفعول كما فى قوله تعالى والله على كل شئ قدير * وبهذا المعنى لا يجوز اطلاقه على الله تعالى * وبمعنى الفاعل كقوله سبحانه (قل اى شئ اكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم) وحينئذ يجوز اطلاقه عليه * وقد يراد به مطلق الموجود الا انه فرق بين المعبود الموصوف بانه واجب الوجود وبين الممكن الموجودى الذى يستوى وجوده وعدمه فى مقام المقصود فبهذا الاعتبار اطلاق الشئ عليه سبحانه احق من اطلاقه على غيره (ومعنى الشئ) اى معنى كونه شيأ لا كالاشياء (اثباته) اى اثبات وجود ذاته (بلا جسم ولا جوهر ولا عرض) اى فى اعتبار صفاته لان الجسم مركب ومتحيز وذلك امارة الحدوث * والجوهر متحيز وجزء لا يتجزى من الجسم * والعرض كل موجود يحدث فى الجواهر والاجسام وهو قائم بغيره لا بذاته كالالوان والاكوان من الاجتماع والافتراق والحركة والسكون وكالطعوم والروايح والله سبحانه منزه عن ذلك * وماصله ان العالم اعيان واعراض فالاعيان ماله قيام بذاته وهو اما مركب وهو الجسم او غير مركب كالجوهر وهو الجزء الذى لا يتجزى والله سبحانه منزه عن ذلك كله * وما احسن قول الرازى المجسم ما عبد الله قط لانه يعبد ما تصوره فى وهمه من الصورة والله تعالى منزه عن ذلك

٢ اولى

*ونقل عن ابى حنيفة رحمه الله تعالى سئل عن الكلام فى الاعراض والاجسام وقال لعن الله عمر بن عبيد هو فتح على الناس بالكلام فى هذا (ولا حد له) اى ليس له حد ونهاية (ولا ضد له) اى وليس له منازع وممانع ابدا لا فى البداية ولا فى النهاية (ولا ند له) اى لا شبيه ولا شريك له كما قال الله تعالى (ولا تجعلوا لله اندادا) اى بالاصنام وغيرها من الانام (ولا مثل له) اى لا شبيه ولا كفو له ولا نوع له حيث لا جنس له واغتلت طائفتان فى باب الصفات * فطائفة غلت فى الاثبات * وطائفة قصرت فيه ونحن صرنا الى الطريقة المتوسطة بين الغلو والتقصير فاثبتنا صفات الكمال ونفينا المماثلة من جميع الاحوال * بقى انه يتوهم من قوله تعالى * ليس كمثله شئ * ان هذه الصفة لا تكون مخصوصة بحضرته تعالى لان الاختصاص ينتقض بالعدم اذ العدم من حيث هو عدم ليس كمثله شئ * فقوله تعالى * وهو السميع البصير * دفع لهذا الوهم والاشكال فان من المحال ان يكون العدم سميعا بصيرا ويسمى مثل ذلك الكلام ٢ اخراسا * ومجمل الكلام وزبدة المرام ان الواجب لا يشبه الممكن ولا الممكن يشبه الواجب فليس بمحدود ولا معدود ولا متصور ولا متبعض ولا متحيز ولا متركب ولا متناه * ولا يوصف بالماهية والمادية * ولا بالكيفية من اللون * والطعم * والرايحة * والحرارة * والبرودة * واليبوسة وغير ذلك مما هو من صفات الاجسام ولا متمكن فى مكان * ولا علو ولا سفل ولا غيرهما * ولا يجرى عليه زمان كما توهمه المشبهة والمجسمة والحلولية وليس حالا ولا محلا (وله) اى لله سبحانه (يد ونفس ووجه) اى كما يليق بذاته وصفاته (فما ذكر الله فى القرآن من ذكر الوجه) اى كقوله * كل شئ هالك الا وجهه * وقوله فاينما تولوا فثم وجه الله وقوله (ويبقى وجه ربك * وقوله لابتغاء وجه ربه الاعلى (واليد) اى كقوله تعالى * يد الله فوق ايديهم * وقوله * ما منعك الا تسجد لما خلقت بيدى * وقوله فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ (والنفس) كقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام * تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك * واما ما قيل من ان اطلاق النفس عليه مجاز من باب المشاكلة فمدفوع حيث ورد من غير المقابلة كما فى حديث * انت كما اثنيت على نفسك * والتحقيق ان النفس باعتبار مأخذه من النفس بالتحريك لا يصح اطلاقه عليه سبحانه واما باعتبار اخذه من النفس فيجوز اطلاقه عليه لانه سبحانه انفس الاشياء واعزها وكذلك العين فى قوله ولتصنع على عينى * وكذا بصيغة الجمع بقوله * واصبر لحكم ربك فانك باعيننا * وقوله تجرى باعيننا * وكذا قوله * وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه * وكذا قوله الرحمن على العرش استوى (فهو) اى جميع ما ذكر (له) اى للحق سبحانه (صفات) اى متشابهات (بلا كيف) اى مجهول الكيفيات وفى نسخة له يد ووجه ونفس كما ذكر الله فى القرآن (ولا يقال) اى فى مقام التأويل كما عليه بعض الخلف المخالفين للسلف (ان يده قدرته)

اى

اى بطريق الكناية (او نعمته) اى بناء على ان اليد تطلق على النعمة ومنه قول الشاطبى رحمه الله * اليك يدى منك الايادتمدها * وكذا لايقال ان وجهه ذاته وعينه بصره واستواءه على العرش استيلاءه (لان فيه) اى فى تأويله (ابطال الصفة) اى فى الجملة لانه تعالى حيث اطلق اليد ولم يذكر القدرة والنعمة بدلها فالظاهر انه ان اراد بها غير معنييها (وهو) اى ابطال الصفة من اصلها وباسرها (قول أهل القدر) اى عموما (والاعتزال) اى خصوصا بناء على توهم لزوم تعدد القدماء فان صفة القديم لايكون الاقديما والافيلزم ان يكون ذاته محلا للحوادث هنالك وهو منزه عن ذلك * وقد علمت ان صفاته سبحانه ليست عين ذاته ولاغيرها فلايلزم تعدد القدماء ثم اكد القضية بقوله (ولكن يده صفته بلا كيف) اى بلا معرفة كيفيته كعجزنا عن كنه معرفة بقية صفاته فضلا عن معرفة كنه ذاته (وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف) اى بلا تفصيل انهما من صفات افعاله او من نعوت ذاته والمعنى ان وصفى غضب الله ورضاه ليس كوصف ماسواه من الخلق فهما من الصفات المتشابهات فى حق الحق على ماذهب اليه الامام تبعا بجمهور السلف واقتدى به جمع من الخلف فلايؤول بان المراد بغضبه ورضائه ارادة الانتقام ومشية الانعام * او المراد بهما غايتهما من النقمة والنعمة * وقال فخر الاسلام رحمه الله تعالى اثبات اليد والوجه حق عندنا لكنه معلوم باصله متشابه بوصفه ولايجوز ابطال الاصل بالعجز عن درك الوصف بالكيف * وانما ضلت المعتزلة من هذا لوجه فانهم ردوا الاصول لجهلهم بالصفات على وجه المعقول فصاروا معطلة * وكذا ذكره شمس الائمة السرخسى رحمه الله * ثم قالوا اهل السنة والجماعة اثبتوا ماهو الاصل المعلوم بالنص اى بالايات القطعية والدلالات اليقينية وتوقفوا فيما هو المتشابه وهو الكيفية ولم يجوزوا الاشتغال بطلب ذلك كما وصف الله به الراسخين فى العلم * فقال * يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب * انتهى وكذا ماورد فى الاحاديث المرويات من العبارات المتشابهات كقوله صلى الله عليه وسلم * ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض الحديث * وقوله عليه الصاوة والسلام على ماروا مسلم * ان قلوب بنى آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء * وكقوله * لاتزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة قدمه الحديث * وكقوله ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها كما رواه مسلم * وكقوله الحجر الاسود يمين الله فى ارضه يصافح بها عباده * وروى ابن ماجة نحوه من حديث ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا ولفظه * من فاوض الحجر الاسود فانما يفاوض يد الرحمن * وقد سئل ابو حنيفة رحمه الله عما ورد من انه سبحانه ينزل من السماء فقال ينزل بلا كيف وكقوله صلى الله عليه وسلم * ان الله خلق آدم على صورته وفى رواية على

صورة الرحمن وامثاله * فيجب اى يجرى على ظاهره ويفوض امر علمه الى قائله وينزه البارى
عن الجارحة ومشابهة الصفات المحدثة * وقال فى الوصية ثم نقر بان الله على العرش استوى
من غير ان يكون له حاجة اليه واستقرار عليه وهو الحافظ للعرش وغير العرش فلو كان محتاجا
لما قدر على ايجاد ٢ العالم وتدبيره كالمخلوق ولو صار محتاجا الى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش
اين كان الله تعالى فهو منزه عن ذلك علوا كبيرا انتهى * ونعم ماقال الامام مالك رحمه الله حين
سئل عن ذلك * الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والايمان به واجب * وهذه
طريقة السلف وهو اسلم والله اعلم * وقد سبق تأويلات بعض الخلف وقد قيل انه احكم *
لكن نقل عن بعض الشافعية ان امام الحرمين كان يتأول اوّلا ثم فى آخر عمره وحرم التأويل * ونقل
اجماع السلف على منعه كما بين ذلك فى الرسالة النظامية وهو موافق لما عليه اصحابنا الماتريدية
وتوسط ابن دقيق العيد * فقال نقبل التأويل اذا كان المعنى الذى اوّله به قريبا مفهوما من تخاطب
العرب ونتوقف فيه اذا كان بعيدا * وجرى ابن الهمام ره على التوسط بين ان تدعو الحاجة الى التأويل
بخلل فى فهم العوام * وبين ان لا تدعو الحاجة لذلك المرام بحسب اختلاف المقام * قال شارح العقيدة
الطحاوية رحمه الله ولا يقال ان الرضى ارادة الاكرام والغضب ارادة الانتقام فان هذا نفى للصفة * وقد
اتفق اهل السنة على ان الله يأمر بما يحبه ويرضاه وان كان لا يريده ولا يشاءه وينهى عما يسخطه
ويكرهه ويبغضه ويغضب على فاعله وان كان قد شاءه واراده فقد يحب ويرضى مالا يريده ويكره
ويسخط ويغضب لما اراده * ويقال لمن تأول الغضب بارادة الانتقام والرضاء بارادة الانعام
والاكرام لم تأولت ذلك الكلام فلا بد ان يقول * لان الغضب غليان القلب والرضا الميل والشهوة
وذلك لا يليق بالله تعالى * فيقال له * وكذلك الارادة والمشية فيتناهى ميل الحى الى الشىء او
الى مايلايمه ويناسبه فان الحى منا مايل الى ماجلب له منفعة اويدفع عنه مضرة وهو محتاج
الى ماير يده ومفتقر اليه يزداد بوجود اوينقص بعدمه * فالمعنى الذى صرفت اليه اللفظ
كالمعنى الذى صرفت عنه سواء * فان جاز هذا جاز ذلك * فان قال الارادة التى يوصف الله
بها مخالفة للارادة التى يوصف بها العبد وان كان كل منهما حقيقة * قيل له ان الغضب والرضاء
الذى يوصف الله به مخالف لما يوصف به العبد وان كان كل منهما حقيقة فاذا كان ما يقول له
فى الارادة يمكن ان يقال فى هذه الصفات ولم يتعين التأويل بل يجب تركه لذلك لانك تسلم
من التناقض وتسلم ايضا من تعطيل معنى اسماء الله وصفاته بلا موجب فان صرف القرآن عن ظاهره
وحقيقته بغير موجب حرام * وهذا الكلام يقال الكل من نفى صفة من صفات الله لامتناع مسمى
ذلك فى المخلوق فانه لابد ان يثبت شيئا لله على خلاف ما يعهده حتى فى صفة الوجود فان
وجود العبد كما يليق به ووجود البارى كما يليق به فوجوده تعالى يستحيل عليه العدم
ووجود المخلوق لا يستحيل عليه العدم فما سمى به الرب نفسه وسمى به مخلوقاته مثل الحى

والعليم

والعليم والقدير اوسمى به بعض صفات عباده * فنحن ٢ نعلم بقلوبنا معانى هذه الاسماء فى حق الله تعالى * وانه حق ثابت موجود ونعقل ايضا معانى هذه الاسماء فى حق المخلوق ونعقل بين المعنيين قدرا مشتركا لكن هذا المعنى لا يوجد فى الخارج مشتركا اذ المعنى المشترك الكلى لا يوجد مشتركا الا فى الاذهان ولا يوجد فى الخارج الا معينا مختصا فيثبت فى كل منهما كما يليق به (خلق الله تعالى الاشياء) من الذوات والحالات كالسكون والحركات والانوار والظلمات والشرور والخيرات والعلويات والسفليات (لا من شىء) اى لا من مادة سابقة على المخلوقات لقوله تعالى * فاطر السموات والارض * اى مبدعهما ومخترعهما من غير مثال سبق له فيهما مال ابدائهما وانشائهما ولا ينافيه ان الله تعالى خلق بعض الاشياء من بعض المواد على وفق ما اراد فان اصول تلك المواد خلقت من غير وجود شىء فى عالم الكون والفساد ولو تصور وجود الشىء السابق فهو تحت خلق الخالق لقوله تعالى * خالق كل شىء * ولانه سبحانه كان ولم يكن معه شىء بل فى نظر العارفين هو الآن على ما كان فهو منزه عن ان يكون له شريك فى الخلق والفعل والمادة ولو فى ايجاد ذرة او امدادها بسكون او حركة (وكان الله عالما فى الازل بالاشياء قبل كونها) اى قبل وجود الاشياء وتحققها فى عالم الابداع وهذا معنى قوله وكان الله بكل شىء عليما وما ثبت قدمه استحال عدمه فلا يحتاج الى ان يقال كان زايدة او رابطة (وهو الذى قدر الاشياء وقضاها) اى والحال انه قدر الاشياء على طبق ارادته وحكم وفق حكمته فى الاشياء * وفيه ايماء الى مضمون قوله تعالى * الا يعلم من خلق * اى الا يعلم قبل الانشاء من خلق الاشياء فعلمه قديم وبعض متعلقاته حادث * وقد قال الله تعالى * وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين * وقد قال صلى الله عليه وسلم * اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال القلم ماذا اكتب يا رب فقال الله تعالى اكتب ما هو كاين الى يوم القيمة * وفى هذا التحقيق دلالة على ما قاله اهل الحق من ان حقايق الاشياء ثابتة * وقال فى الوصية ثم نقر بان تقدير الخير والشر كله من الله تعالى لقوله تعالى * قل كل من عند الله * ومن زعم ان تقدير الخير والشر من عند غير الله فكان كافرا بالله وبطل توحيده لو كان له التوحيد انتهى * وقد قال تعالى * انما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون * ورد فخر الاسلام رحمه الله فى اصوله قول من قال المراد بهذا القول سرعة الايجاد وتحقيق ما اراد حيث افاد ان هذا عندنا محمول على انه اريد به التكلم بهذه الكلمة على الحقيقة لا على المجاز عن سرعة الايجاد بل هو كلام وارد على حقيقة من غير تشبيه ولا تعطيل فى نعته * وكذا ذكره شمس الائمة السرخسى رحمه الله حيث قال ردا على من قال ان ذلك القول مجاز عن التكوين * كما فى الكتاب فقوله تعالى ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره * فالمراد حقيقة هذه الكلمات عندنا لا ان يكون مجازا عن التكوين كما زعم بعضهم * يعنى ابا منصور واكثر المفسرين * فانا نستدل به على ان كلام الله

٢ نعقل

غير محدث ولا مخلوق لانه سابق على المحدثات اجمع وحرف الفاء للتعقيب اى فى قوله كن فيكون وهو كلامه النفسى القديم ونعته القدسى الكريم فتحقق انه سبحانه خلق الاشياء لا من شىء حادث سبق عليها ولا من آلة فى عدة واهية حاصلة لديها وهو لا ينافى انه اوجدها بامر كن فانه ليس داخلا تحت الشىء لقوله تعالى * خالق كل شىء وكلامه سبحانه لا عينه ولا غيره * ثم فى تحقق الاشياء (كما هو مشاهد فى الارض والسماء رد على السوفسطائية ومن تبعهم من اهل الهوى حيث ينكرون حقايق الاشياء ويزعمون انهم اوهام وخيالات كاحلام وتقرب منهم الوجودية والاتحادية والحلولية وامثالهم من جهلة الصوفية * (ولا يكون فى الدنيا ولا فى الاخرة شىء) اى موجود حادث فى الاحوال جميعها (الا بمشيته) اى مقرونا بارادته (وعلمه وقضائه) اى حكمه وامره (وقدره) اى تقديره بقدر قدره (وكتبه) بفتح الكاف وسكون التاء اى وكتابته (فى اللوح المحفوظ) اى قبل ظهور امره * واغرب شارح حيث قال وكتبه عطف تفسير لقدره انتهى * ووجه الغرابة ان ثبوت تقديره وتقريره مقدم على تحريره وتصويره على ان التقدير صفة المنعوت بالقدم والكتابة حادثة بعد احداثه القلم (ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم) اى كتب الله فى حق كل شىء بانه سيكون كذا وكذا ولم يكتب بانه ليكن كذا وكذا * وتوضيحه ان وقت الكتابة لم تكن الاشياء موجودة فكتب فى اللوح على وجه الوصف انه سيكون الاشياء على وفق الرضاء لا على وجه الامر بانه ليكن لانه لو قال ليكن لكان الاشياء كلها موجودة حينئذ لعدم تصور تخلف المخلوق عن الامر الايجادى للخالق * وقال فى الوصية نقر بان الله تعالى امر القلم بان يكتب وفى نسخة بان اكتب فقال ماذا اكتب يارب فقال الله تعالى اكتب ما هو كائن الى يوم القيمة لقوله تعالى وكل شىء فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر معنى الحديث مقتبس من القرآن لانه صلى الله عليه وسلم كان فى معرض البيان * ومجمل الامر ان القدر وهو ما يقع من العبد المقدر فى الازل من خيره وشره وحلوه ومره كائن منه سبحانه بخلقه وارادته ما شاء كان وما لا فلا (والقضاء والقدر) المراد بهما هنا الحكم الاجمالى وبالاخر التفصيلى * واما قول المعتزلة لو كان الكفر بقضاء الله تعالى لوجب الرضاء به لان الرضاء بالقضاء واجب واللازم باطل لان الرضاء بالكفر كفر فثبت ان الكفر ليس بقضاء الله فلم يكن جميع افعال العباد بقضاء الله على ما ذهب اليه اهل السنة فمدفوع بان الكفر مقضى لا قضاء والرضاء انما يجب بالقضاء دون المقضى * وتوضيحه ان الكفر له نسبة اليه سبحانه وهو كون خلقه على مقتضى حكمته ولا اعتراض عليه فى مشيته فانه مالك الملك يتصرف فيه كيف يشاء لا يتضرر بشىء كما لا ينتفع بشىء وله نسبة اخرى الى المكلف وهى وقوعه صفة له بكسبه واختياره والاعتراض واقع عليه فى فعله لانه اسخط مولاه واستحق العقوبة الدايمة فى عقباه هذا * ومن رضى بكفر نفسه فقد كفر اتفاقا * ومن رضى بكفر غيره ففيه اختلاف المشايخ

* والاصح انه لايكفر بالرضاء بكفر الغير ان كان لالحب الكفر ولكن يتمنى ان يسلب الله عنه نعمة الايمان حتى ينتقم منه على ظلمه وايذائه كذا فى التاتارخانية ويؤيده قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام (ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم (والمشية) الارادة المتعلقة بها (صفات فى الازل بلا كيف) اى بلا وصف لذلك العمل * والمعنى ان هذه صفات ثابتة بالكتاب والسنة الا انها متشابهة الصفة ومجهولة الكيفية كسائر صفاته الفعلية ٢ حيث حقيقتها خفية عن البرية فيجب على المؤمن ان يؤمن لها ويعتقد ان موجب العقل باطل فى وصفها * اذليس من مجرد شأنه ان يدركها وكذلك يقول كل راسخ فى العلم عند حكمها * قال شمس الائمة السرخسى وهذا الان المؤمنين فريقان مبتلى بالامعان فى الطلب بضرب من الجهل به ومبتلى بالوقوف عن الطلب لكونه مكرما بنوع من العلم فيه ومعنى الابتلاء من هذا الوجه ربما يزيد على معنى الابتلاء فى الوجه الاول فان الابتلاء بمجرد الاعتقاد مع التوقف فى طلب المراد بيان ان العقل لايوجب شيأ ولايدفع شيئا فانه يلزم اعتقاد الحقيقة فيما الامجال للعقل فيه ليعرف ان الحكم لله يفعل مايشاء ويحكم مايريد انتهى * وحاصله ان الوجه الثانى هو الاقوى فانه ايمان بالامر الغيبى اللاريبى الذى لاحظ للعقل فيه ولالذة للطبع بل مجرد اتباع الحق على ماورد به السمع من جانب الشرع بخلاف الاول حيث اعتمد على عقله وعول على فهمه * وبهذا يظهر ان الانقياد فى العبادات التعبدية افضل واكمل من غيرها اذلاحظ للنفس فيها بل محض متابعة امر الحق فى تحصيلها * ومن ثمة قال تعالى * وما اوتيتم من العلم الاقليلا * وورد لا ادرى نصف العلم وقيل * العجز عن درك الادراك ادراك * وقد سئل على رضى الله عنه عن مسئلة فقال لا ادرى وهو على المنبر فقيل له كيف تطلع فوق هذا المقام الانور وتقول لا ادرى فى جواب السؤال الازهر فقال انى صعدت بقدر علمى بالاشياء ولو اطلعت بمقدار جهلى لبلغت السماء * وقد وقع لابى يوسف رحمه الله مثل هذه السؤال واجاب بذلك المقال فقيل له انك تأخذ كذا وكذا من بيت المال وتعجز عن تحقيق هذا الحال * قال نعم انا آخذ المال على قدر علمى ولو اخذت على قدر جهلى لاستوعبت جميع الاموال * وقد كرر الامام ذكر الارادة هنا تحقيقا لكونها صفة واحدة قديمة لله تعالى لتخصيص المكونات بوجه دون وجه فى وقت دون وقت * ورد على الكرامية وبعض المعتزلة من ان ارادته حادثة * واما جمهورهم فانكروا ارادته للشرور والقبايح حتى يقولوا انه سبحانه اراد من الكافر والفاسق ايمانه وطاعته لاكفره ومعصيته زعما منهم ان ارادة القبيح قبيحة كخلقه وايجاده وهو ممنوع ومدفوع بان القبيح هو كسبه والاتصاف به فعندهم يكون اكثر مايقع من افعال الخلق على خلاف ما اراد الله فى البلاد * وهذا شنيع جدا حيث لايصير على ذلك رئيس قرية من العباد (واذا عرفت هذا * (فللعباد افعال اختيارية * يثابون بها ان كانت طاعة ويعاقبون عليها ان كانت معصية * لاكما زعمت الجبرية ان لافعل للعبد اصلا

٢ العلينة

كسبا ولا خلقا وان حركاته بمنزلة حركات الجمادات لا قدرة له عليها مؤثرة ولا كاسبة في مقام الاعتبار ولا قصد ولا ارادة ولا اختيار * وهذا باطل لانا نفرق بين حركة البطش وحركة الرعش ونعلم ان الاول باختياره دون الثاني لاضطراره * فان قيل بعد تعلق علم الله وارادته الجبر لازم قطعا * لانهما اما ان يتعلقا بوجود الفعل فيجب او بعدمه فيمتنع لامتناع انقلاب علمه سبحانه جهلا وامتناع تخلف مراده عن ارادته اصلا وحينئذ لا اختيار مع الوجوب والامتناع قطعا * فالجواب انه سبحانه يعلم ويريد ان العبد يفعله او يتركه باختياره فلا اشكال في هذا المقال * وتحقيقه ان صرف العبد قدرته وارادته الى الفعل كسب وايجاد الله الفعل عقيب ذلك خلق فالله خالق والعبد كاسب ومن اضل ممن يزعم ان الله شاء الايمان من الكافر والطاعة من الفاجر والكافر شاء الكفر والفاجر شاء الفجور فغلبت مشيتهما مشية الله سبحانه * فان قيل يشكل على هذا قوله تعالى * سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا الآية * وقال الله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ الآية * وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون هم اى يكذبون او يظنون ويتوهمون فقد ذمهم الله حيث جعلوا الشرك كائنا منهم بمشية الله وكذلك ذم ابليس حيث اضاف الاغواء الى الله تعالى * اذ قال * رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض * والجواب انه انكر ذلك عليهم لانهم احتجوا بمشيته على رضاه ومحبته وقالوا لو كره ذلك وسخطه لما شاء فجعلوا مشية الله دليلا على رضاه فرد الله تعالى عليهم ذلك فلا ينافي قوله * ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم * وقوله تعالى (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) والحديث الصحيح الذي اتفق عليه السلف والخلف ان ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ولقد احسن القائل

﴿ شعر ﴾ فما شئت كان وان لم اشأ * وما شئت ان لم تشأ لم يكن

* وقد اجيب بانه انكر عليهم اعتقادهم ان مشية الله دليل على امره به او انكر عليهم معارضة لشرعه وامره الذي ارسل به رسله وانزل به كتبه بقضائه وقدره فجعلوا المشية العامة دافعة للامر فلم يذكروا المشية على جهة التوحيد * وانما ذكروها معارضين بها الامر دافعين بها الشرعة كفعل الزنادقة وجهال الملاحدة اذا امروا او نهوا واحتجوا بالقدر * وقد احتج سارق * على عمر رضي الله تعالى عنه بالقدر قال فانا اقطع يدك بقضاء الله وقدره ويشهد لذلك في الاية قوله تعالى * كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون * والحاصل ان قولهم كلمة حق اريد بها الباطل * واما قول ابليس رب بما اغويتني انما ذم على احتجاجه بالقدر لا لاعترافه بالقدر واثباته له ولهذا قالوا انه اعرف بالله من المعتزلي لمطابقة قوله سبحانه يضل من يشاء اى عدلا ويهدي من يشاء اى فضلا ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل الله فما له من هاد * واما قول آدم في جواب موسى عليه السلام

اتلومنى على امر قد كتبه الله على فمبنى على ان لا اعتراض على العاصى بعد توبته ورجوعه الى طاعته وان له حينئذ ان يتعلق بالقضاء والقدر بل يجب ان يعتقد ان معصيته كانت مقدرة قبل خلقته وليس له حين مباشرته قبل تحقق توبته ان يتشبث بالقضاء والقدر فى قضيته فانه حينئذ كالمعارض لنهيه سبحانه عن معصية وامره بطاعة ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لامره * وعن وهب بن منبه انه قال نظرت فى القدر فتحيرت ووجدت اعلم الناس بالقدر اكفهم عنه واجهل الناس بالقدر انطقهم فيه * ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام واذا ذكر القدر فامسكوا يعنى عن بيان حقيقته لا عن الايمان به وحقيقته * واما قوله تعالى * ان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله الآية ٢ * فالاصح ان المراد بالحسنة هنا النعمة وبالسيئة البلية فلا حجة لنا ولا علينا * وقيل الحسنة الطاعة والسيئة المعصية ومع هذا فليس للقدرية ان يحتجوا بقوله فمن نفسك فانهم يقولون ان فعل العبد حسنة كان او سيئة فهو من العبد والقرآن قد فرق بينهما وهم لا يفرقون ولانه قال قل كل من عند الله فجعل الحسنات من عند الله كما جعل السيئات من عنده وهم لا يقولون بذلك فى الاعمال بل فى الجزاء * واما على المعنى الاوّل ففرق سبحانه بين الحسنات التى هى النعوم وبين السيئات التى هى المصائب والنقم فجعل هذه من عند الله وهذه من نفس الانسان لان الحسنة مضافة الى الله تعالى اذ هو احسن بها من كل وجه * واما السيئة فهو انما خلقها لحكمة وهى باعتبار تلك الحكمة من احسانه فان الرب سبحانه لا يفعل سيئة قط بل فعله كله حسن وخير * ولهذا ورد حديث * الخير كله بيدك والشر ليس اليك * اى فانك لا تخلق شرا محضا بل كل ما تخلقه ففيه حكمة باعتبارها خير ولكن قد يكون شرا لبعض الناس فهذا شر جزئى اضافى فاما شر كلى او شر مطلق فالرب تعالى منزه عن ذلك * ومن ههنا قال ابو مدين المغربى *

شعر لا تنكر الباطل فى طوره * فانه من بعض ظهوراته

* ولهذا لا يضاف الشر اليه مفردا قط بل اما ان يدخل فى عموم المخلوقات لقوله تعالى * خالق كل شىء وقل كل من عند الله * واما ان يضاف الى السبب كقوله من شر ما خلق واما ان يحذف فاعله كقوله * وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض ام اراد بهم ربهم رشدا * فان قيل كيف وجه الجمع بين قوله قل كل من عند الله وقوله فمن نفسك * اجيب بان الخصب والجدب والنصرة والهزيمة كلها من عند الله وما اصابك من سيئة اى محنة وبلية فبذنب عن نفسك عقوبة لك وكفارة كما قال الله تعالى (وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير) وهذا على المعنى الاول الذى هو المعول عليه واما على المعنى الثانى فالطاعة تنسب الى الله تعالى لانها خير محض والسيئة لا تنسب اليه تأدبا لكونها فى صورة شر والكل من عند الله خلقا فخلق الطاعة فضل وخلق المعصية عدل لا يسئل عما يفعل * ثم فى قوله فمن نفسك من الفوايد ان العبد لا

٢ كلام

يطمئن الى نفسه ولا يسكن اليها فان الشر كامن فيها لا يجئ الا منها ولا يشتغل ٢ بملام الناس ولا ذمهم اذا اساؤا اليه فان ذلك من السيآت التى اصابته وهى انما اصابته بذنوبه فيرجع الى الله ويستعيذ بالله من شر نفسه وسيآت عمله ويسأل الله ان يعينه على طاعته فبذلك يحصل له خير ويندفع عنه كل شر ولهذا كان انفع الدعاء طلب الهداية فانها الاعانة على الطاعة وترك المعصية هذا * وقد قيل كل عام يخص كما خص قوله والله على كل شئ قدير بما شاء ليخرج ذاته وصفاته ومالم يشأ من مخلوقاته ومايكون من المحال وقوعه فى كائناته * والحاصل ان كل شئ تعلقت به مشيته تعلقت به قدرته والا فلا * فلا يقال هو قادر على المحال لعدم وقوعه ولزوم كذبه ولا يقال غير قادر عليه تعظيما لادبه * ثم هذا العام مخصوص بقوله والله على كل شئ عليم فانه باق على العموم شامل للموجود والمعدوم والمحال والموهوم كما بينه الامام بقوله (يعلم الله تعالى المعدوم فى حال عدمه معدوما) اى بوصف المعدومية (ويعلم انه كيف يكون اذا اوجده) اى فى عالم الربوبية بل ويعلم ان شيئا لا يكون ولو كان كيف يكون (ويعلم الله تعالى الموجود فى حال وجوده موجودا) اى بعد ان علمه فى حال عدمه معدوما (ويعلم انه كيف يكون فناءه ويعلم الله تعالى القائم فى حال قيامه قائما) اى مثلا والا فكذا فى حال ميوته وصلوته وصيامه وسائر مقاماته (فاذا قعد) اى تغير عن حاله الاول (علمه قاعدا فى حالة قعوده) اى انتقاله من حالة الى حالة علما تنجز يا ظاهريا بعد ما كان يعلم انه سيقعد الا ان ذلك العلم كان ذهنيا وباطنيا كما حقق فى تفسير قوله تعالى (الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه (من غير ان يتغير علمه) وزيد فى نسخة اوصفته * والظاهر ان الثانى وجد فى نسخة بدل علمه فالحقه به وما ذكره بدله فحصل بسبب الجمع بعض خلله (ويحدث له علم) اى فى الثانى حاله الم يكن فى ازله (ولكن التغير) اى الانتقال (واختلاف الاحوال) اى من القيام والقعود وامثالهما من الافعال (يحدث فى المخلوقين) مع تنزه الملك المتعال عن قبول الانفعال وحصول التغير والانتقال فان علمه قديم بالاشياء فاذا اوجد شيأ او افناه فانما بوجه او يفنيه على وفق ما علمه وطبق ما قدره وقضاه فاذا لا يتغير علمه ولا يتخلف حكمه ولا يحدث له علم يتغير الموجود والمعدوم واختلافه وحدوثه (خلق) اى الله كما فى نسخة (الخلق) اى المخلوقين (سليما من الكفر والايمان) اى سالما من آثار الكفران وانوار الايمان بان جعلهم قابلين لان يقع منهم العصيان والاحسان كما قال الله تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن اى فى عالم الظهور والبيان (ثم خاطبهم) اى وقت التكليف بالعبادة على لسان ارباب الرسالة واصحاب السعادة (وامرهم) بالايمان والطاعة (ونهاهم) اى عن الكفر والمعصية (فكفر

من

من كفر بفعله) اى باختياره (وانكاره) اى مع جهله واصراره (وجحوده) اى مع عناده واستكباره (بخذلان الله تعالى) اى بترك نصرته سبحانه اياه وعدم توفيقه لما يرضاه وهو مقتضى عدله كما قال الله تعالى * ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس انفسهم يظلمون (ومن آمن آمن بفعله) اى بانقياده واذعانه (واقراره) اى * بلسانه (وتصديقه) اى * بجنانه على وفق امر الله ومراده (بتوفيق الله اياه ونصرته له) اى * فيما قدره وقضاه بمقتضى فضله كما قال الله تعالى * ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون * وهذا لا ينافى كونهما كافرا ومؤمنا فى علم الله لحديث * خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالى وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالى * وحديث فرغ ربكم من العباد فريق فى الجنة وفريق فى السعير فان الحديث الجامع المانع قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له (اخرج ذرية آدم) اى طبقه بعد طبقة الى يوم القيمة (من صلبه) اى اولائم من اصلاب ابنائه وترائب بناته على صورة الذر بعضها بيض وبعضها سود وانتشروا الى يمين آدم ويساره فجعلهم عقلاء (فخاطبهم) اى حين اشهدهم على انفسهم بقوله الست بربكم (وامرهم) اى بالايمان والاحسان (ونهاهم) اى عن الكفر والكفران (فاقروا له بالربوبية) اى ولانفسهم بالعبودية حيث قالوا بلى * وكان ذلك منهم * اى قولهم بلى الذى صدر عنهم * ايمانا * اى حقيقيا اوحكميا (فهم يولدون على تلك الفطرة) يعنى كما قال سبحانه فطرة الله التى فطر الناس عليها * وكما قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه اوينصرانه اويمجسانه حتى يعرب عنه بلسانه اما شاكرا واما كفورا * وهذا معنى قوله تعالى * انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا * والحاصل ان عهد الميثاق ثابت بالكتاب وهو قوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم * وبالسنة * وهو الحديث الثابت المروى فى المصابيح وغيره وتحقيقها فى كتب التفسير وشروح الحديث المنير على ما بيناه فى محلها * خلافا للمعتزلة حيث حملوا الآية والحديث على المعنى المجازى كما دفعناه فى موضعنا هذا * وقال شارح ظهر من هذه المسئلة وما يتعلق بها من الادلة ان القول بان اطفال المشركين فى النار متروك وكيف لا وقد جعل الشرع البالغ الجاهل بالله ممن لم تبلغه الدعوة معذورا يعنى لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * واما الاحاديث فمتعارضة فى هذا الباب * وقد جمعنا بينها فى شرح المشكوة على ما ظهر لنا من طريق الثواب الصواب * وقد قال فخر الاسلام ره * وكذا نقول فى الذى لم تبلغه الدعوة انه غير مكلف بمجرد العقل وانه اذا لم يصف ايمانا ولا كفرا ولم يعتقد على شىء اى مما يكون منافيا للايمان ولا موافقا للعصيان كان معذورا * واذا وصف الكفر وعقله ولم يعتقده ولم يصفه لم يكن معذورا وكان من اهل النار مخلدا (ومن كفر

بعد ذلك) اى الايمان الميثاقى (فقد بدل وغير) اى ايمانه الفطرى الموهوبى بالكفر الطارى الكسبى (ومن آمن) اى اظهر ايمانه (وصدق) اى فى اظهاره بان يكون ايمانه اللسانى مطابقا لتصديقه الجنانى (ثبت عليه) اى على دينه كما فى نسخة * والمعنى على دينه الاصلى وفطرته الاولى (ودام) اى على الاسلام وهو تأكيد لما قبله وفى نسخة وداوم اى واستمر عليه ولم يتزلزل لديه * قال القونوى فى تفسير الاية الكريمة قولان احدهما قول اهل التفسير وعليه جمع من اكابر الائمة واكثر اهل السنة والجماعة وهو ماروى ان عمر رضى الله تعالى عنه سئل عن هذه الاية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق آدم على صورته ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله فبأى العمل فقال صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يعمل عمل اهل الجنة فيدخل الجنة وكذلك اذا خلق العبد للنار استعمله * واخذوا بظاهره الجبرية قالوا ان الله تعالى خلق المؤمنين مؤمنين والكافرين كافرين وابليس لم يزل كافرا وابو بكر وعمر رضى الله عنهما كانا مؤمنين قبل الاسلام والانبياء كانوا انبياء قبل الوحى وكذا اخوة يوسف كانوا انبياء وقت الكبائر * وقال اهل السنة والجماعة صاروا انبياء بعد ذلك وابليس صار كافرا وهذا لا ينافى كونه كافرا عند الله باعتبار تعلق علمه بانه سيصر كافرا بعلمه وكان جبرا محضا لما صدر من ابليس طاعة ولا من ابى بكر وعمر رضى الله عنهما معصية * نبطل قولهم ان الكفار مجبورون على الكفر والمعصية والمؤمنين مجبورون على الايمان والطاعة * بل نقول ان العبد مختار مستطيع على الطاعة والمعصية وليس بمجبور والتوفيق من الله كما يدل عليه قوله سبحانه آمنوا بالله ورسوله فلو كانوا مؤمنين لما امرهم بالايمان ولما خاطبهم بقوله الست بربكم قالوا بلى * وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رض عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى تفسير هذه الاية اخذ الله تعالى الميثاق من ظهر آدم عليه السلام فاخرج من ظهره كل ذرية فنشرها بين يديه ثم كلمهم قبالا اى عيانا يعاينهم آدم وقال الست بربكم قالوا بلى شهدنا وتلاها الى قوله مبطلون * فان قيل فما وجه الزام الحجة بهذه الآية ونحن لا نذكر هذا الميثاق ولا نفكر ٢ فى ذلك بالاتفاق * اجيب بان الله سبحانه انسانا ذلك ابتلاء لان الدنيا دار ابتلاء وعلينا الايمان بالغيب ابتلاء ولو تذكرنا ذلك لزال الابتلاء وما احتجنا الى تذكير الانبياء وليس كل ما ينسى بالمرة تزول به الحجة وتثبت به المعذرة قال الله تعالى فى حق اعمالنا احصاه الله ونسوه فاخبر بانه سيثيبنا ويجازينا * والثانى قول ارباب النظر واصحاب العقول وهو

٢ جهلنا

انه

انه اخرج الذرية وهم الاولاد من اصلاب آبائهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة فاخرجها الله تعالى الى ارحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة حتى جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا اشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من دلائل الوحدانية فبالاشهاد بالدلالة صاروا كانهم قالوا بلى قيل وهذا القول لا ينا فى الاول اذ الجمع بينهما ممكن فتأمل * واما المعتزلة فقد اطبقوا على انه لايجوز تفسير الاية بالوجه الاول وقالوا الى الوجه الثانى وجعلوه من باب التمثيل * وهذا منهم بنأ على ان كل مالا يدركه العقل لايجوز القول به لما عرف من اصلهم من تقديم العقل على النقل ثم الاية تدل على ان الله خلق الارواح مع الاجساد او قبلها وهو الصحيح لخبر ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد بخمسة آلاف سنة وان الخطاب والجواب كان للارواح والاجساد كما يبعثون بهما فى المعاد (ولم يجبر) بضم الياء وكسر الباء ولم يقهر الله (احدا من خلقه على الكفر وعلى الايمان) وفى نسخة ولا على الايمان * والمعنى ان الله تعالى لايخلق الطاعة والمعصية فى قلب العبد بطريق الجبر والغلبة بل يخلقهما فى قلبه مقرونا باختيار العبد وحبه فان المكره على عمل هو الذى اذا عمل ذلك يكرهه فى الاصل * ولو كان المختار عنده ان لايعمله فانه عنده كالذليل كالمؤمن اذا اكره على اجراء كلمة الكفر فاجراها بظاهر البيان وقلبه مطمئن بالايمان وكالمنافق حيث يجرى الايمان على اللسان وقلبه مشحون بالكفر والكفران فليس الكافر فى كفره معذورا ولا المؤمن فى ايمانه مجبورا بل الايمان محبوب للمؤمنين كما ان الكفر مطلوب للكافرين * وهذا معنى قوله كل حزب بما لديهم فرحون غاية الامر ان الله تعالى بفضله حبب الينا الايمان وزين فى قلوبنا الاحسان * وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله * وبعدله ترك هداية اهل الكفر والكفران وحبب اليهم العصيان وكره لديهم الايمان فسبحانه يضل من يشاء ويهدى من يشاء من يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل وهذا من اسرار القضاء والقدر بحكم الازل ولايسئل عما يفعل (ولا خلقهم مؤمنا ولا كافرا) اى بالجبر والاكراه (ولكن خلقهم اشخاصا) اى قابلة لقبول الايمان اخلاصا ولاختيار الكفر على توهم كونه لهم خلاصا (والايمان والكفر فعل العباد) اى بحسب اختيارهم لا على وجه اضطرارهم وسبحانه من اقام العباد فيما اراد (يعلم الله تعالى من يكفر فى حال كفره كافرا) اى * وابغضه كما فى نسخة (فاذا آمن بعد ذلك) اى بعد ارتكاب كفره (علمه مؤمنا فى حال ايمانه) اى واحبه كما فى نسخة (من غير ان يتغير علمه) اى بتغير كفره عنده وايمانه (وصفته) اى من غير ان يتغير نعته الازلى من الغضب والرضاء المتعلقين بالكفر والايمان * وانما التغير فى متعلقهما باختلاف الزمان بل وقد علمه بايمان بعض وكفر آخر من قبل وجودهم فى عالم شهودهم

الا انه سبحانه من فضله وكرمه لا يعمل بمجرد تعلق علم بل لابد من اظهار اختيار العبد وحصول عمله ليترتب عليه الحساب ويتفرع عليه الثواب والعقاب والله اعلم بالصواب (وجميع افعال العباد من الحركة والسكون) اى على اى وجه يكون من الكفر والايمان والطاعة والعصيان (كسبهم على الحقيقة) اى لا على طريق المجاز فى النسبة ولا على سبيل الاكراه والغلبة بل اختيارهم فى فعلهم بحسب اختلاف هوائهم وميل انفسهم فلها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * لا كما زعمت المعتزلة ان العبد خالق لافعاله الاختيارى من الضرب والشتم وغير ذلك ولا كما زعمت الجبرية القائلون بنفى الكسب والاختيار بالكلية ففى قوله تعالى * اياك نعبد واياك نستعين * رد على الطائفتين فى هذه القضية * والحاصل ان الفرق بين الكسب والخلق هو ان الكسب امر لا يستقل به الكاسب والخلق امر يستقل به الخالق وقيل ما وقع بآلة فهو كسب وما وقع لا بآلة فهو خلق * ثم ما اوجده سبحانه من غير اقتران قدر بقدرة العبد وارادته يكون صفة له ولا يكون فعلا له كحركة المرتعش وما اوجده مقارنا لايجاد قدرته واختياره فيوصف بكونه صفة وفعلا وكسبا للعبد كالحركات الاختيارية * ثم المتولدات كالالم فى المضروب والانكسار فى الزجاج بخلق الله وعند المعتزلة بخلق العبد (والله تعالى خلقها) اى موجد افعال العباد وفق ما اراد لقوله * تعالى الله خالق شىء * اى ممكن بدلالة العقل وفعل العبد شىء لقوله تعالى * افمن يخلق كمن لا يخلق * اى الذى يصدر عنه حقيقة الخلق ليس كمن لا يصدر منه ذلك فى شىء وهذا فى مقام التمدح بالخالقية وكونها سببا لاستحقاق العبادة وقوله تعالى * والله خلقكم وما تعملون * اى عملكم او معمولكم وبه احتج ابو حنيفة رحمه الله على عمر بن عبيد وفى الحديث رواه الحاكم * وصححه البيهقى من حديث حذيفة مرفوعا ان الله صانع كل صانع وصنعته * ولذا وبخهم سبحانه بقوله * اتعبدون ما تنحتون * اى ما تعملون من الاصنام * ولقوله تعالى * افمن يخلق كمن لا يخلق * ولان العبد لو كان خالقا لافعاله لكان عالما بتفاصيلها كما يشير اليه سبحانه بقوله الا يعلم من خلق * وقول على رضى الله عنه عرفت الله بفسخ العزايم * ولقد اغرب المعتزلة حيث صرفوا قوله الله خالق كل شىء الى صفة الله حتى قالوا ان كلامه مخلوق ولم يصرفوه الى صفات الخلق حتى قالوا ان افعال العباد غير مخلوقة * واما قوله تعالى * وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى * فمعناه ما رميت خلقا اذ رميت كسبا ولكن الله رمى بخلق * كسب الرمى فى المصطفى صلى الله عليه وسلم * قال فى الوصية نقر بان العبد مع اعماله واقراره ومعرفته مخلوق فلما كان الفاعل مخلوقا فافعاله اولى ان تكون مخلوقة انتهى * وبيانه على وجه يظهر برهانه هو ان علة افتقار الاشياء فى وجودها الى الخالق هى امكانها وكل ما يدخل فى الوجود جوهرا كان او عرضا فهو ممكن فى عالم الشهود فاذا كان العبد القائم بذاته لامكانه يستفيد الوجود فى شأنه من الخالق عز شأنه فافعاله القائمة به

اولى ان تستفيد الوجود من خالقه * وهذا معنى قوله تعالى * والله الغنى * اى بذاته وصفاته من جميع مصنوعاته * وانتم الفقراء * اى المحتاجون بذواتكم وصفاتكم واعمالكم واحوالكم الى الله تعالى اى ايجاده فى الابتداء او امداده فى الاثناء قبل الانتهاء * ثم اعلم ان ارادة العبد التى تقارن فعله وقدرته عليه حال صنعه مخلوقتان مع الفعل * لا قبله ولا بعده * ففى الوصية نقر بان الاستطاعة مع الفعل لا قبل الفعل ولا بعد الفعل لانه لو كان قبل الفعل كان العبد مستغنيا عن الله سبحانه وقت الفعل * وهذا خلاف النص اى خلاف حكم النص كما فى نسخة لقوله تعالى * والله الغنى وانتم الفقراء * ولو كان بعد الفعل لكان من المحال حصول الفعل بلا استطاعة ولا طاقة انتهى * والمعنى ان حصول الفعل بالاستطاعة من قبل الله تعالى * ولا طاقة لمخلوق فيما لم تقرن الاستطاعة الالهية بفعله بناء على مقتضى ضعف البشرية وقوة الربوبية * وهذا معنى قوله لا حول ولا قوة الا بالله * اى لا حول عن معصيته الا بعصمته ولا قوة على طاعته الا ٢ باعانته * وقال فى الوصية ثم نقر بان الله تعالى خالق الخلق ورازقهم ولم يكن لهم طاقة لانهم ضعفاء عاجزون محدثون والله تعالى خالقهم ورازقهم قوله سبحانه * الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم * والكسب من الحلال حلال وجمع المال من الحرام حرام * والخلق على ثلثة اصناف * المؤمن المخلص فى ايمانه * والكافر الجاحد فى كفره * والمنافق المداهن فى نفاقه * والله تعالى فرض على المؤمن العمل وعلى الكافر الايمان وعلى المنافق الاخلاص لقوله تعالى * يا ايها الناس اعبدوا ربكم * معناه ايها المؤمنون اطيعوا وايها الكافرون آمنوا وايها المنافقون اخلصوا انتهى * واذا تحقق ان الله خالق الخلق * علم انه لا يجب لهم شىء على الحق فانه سبحانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * وكان القياس ان يقال القائل * بكون العبد خالقا لافعاله يكون من المشركين دون الموحدين كما يشير اليه حديث * القدرية مجوس هذه الامة * حيث ذهبوا الى ان للعالم فاعلين * احدهما ان الله تعالى وهو فاعل الخير * والثانى الشيطان وهو فاعل الشر ولذا بالغ مشايخ ماوراء النهر مبالغة فى تضليل المعتزلة * حتى قالوا * انهم اقبح من المجوس حيث لم يثبتوا الا شريكا واحدا * والمعتزلة اثبتوا شركاء لا تحصى لكن المحققون على ان المعتزلة من طوايف الاسلام وعملوا ماذكر على الزجر للانام لانهم لم يجعلوا العبد خالقا بالاستقلال بل يقولون انه سبحانه خالق بالذات والعبد خالق بواسطة الاسباب والآلات التى خلقها الله تعالى فى العبد ولم يثبتوا الاشراك بالحقيقة * وهو اثبات الشريك فى الالوهية كالمجوس ولا بمعنى استحقاق العبادة كعبدة الاصنام * واما قول المعتزلة لو كان الله خالقا لافعال العباد كان هو القائم والقاعد والآكل والشارب والزانى والسارق وهذا جهل عظيم فمدفوع بان المتصف بالشىء من قام به الشىء لا من اوجده اولا يرون بان الله تعالى هو الخالق للسواد والبياض وسائر الصفات فى الاجسام فالايجاد هو فعل الله تعالى والموجود (وهو الحركة) فعل العبد

٢ بتوفيقه

وهو موصوف به حتى يشتق له منه اسم المتحرك ولا يتصف الله بذلك * واما قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين * بصيغة الجمع وقوله * واذ تخلق من الطين * باضافة الخلق الى عيسى * فجوابه ان الخلق هنا بمعنى التقدير والتصوير فان العبد بقدر طاقته البشرية له بعض التدبير ان وافق التقدير * ثم اعلم ان تحقيق المرام ما ذكره ابن الهمام فى هذا المقام حيث قال * فان قيل لا شك انه تعالى خلق للعبد قدرة على الافعال ولذا ندرك تفرقة بين الحركة المقدورة (وهى الاختيارية) وبين ٢ الرعدة الضرورية * والقدرة ليس خاصيتها الا التأثير اى ايجاد المقدور فان القدرة صفة تؤثر على وفق الارادة ويستحيل اجتماع مؤثرين مستقلين على اثر واحد فوجب تخصيص عمومات النصوص السابقة بما سوى افعال العباد الاختيارية فيكونون مستقلين بايجاد افعالهم الاختيارية بقدرتهم الحادثة بخلق الله تعالى كما هو رأى المعتزلة والا لكان جبرا محضا فيبطل الامر والنهى * فالجواب * ان الحركة مثلا كما انها وصف للعبد ومخلوق للرب لها نسبة الى قدرة العبد فسميت تلك الحركة باعتبار تلك النسبة كسبا بمعنى انها مكسوبة للعبد ولم يلزم الجبر المحض اذا كانت متعلق قدرة العبد داخلة فى اختياره * وهذا التعلق هو المسمى عندنا بالكسب انتهى * واما ما سبق من استحالة اجتماع مؤثرين على اثر واحد * فالجواب عنه ان دخول مقدور تحت قدرتين (احديهما قدرة الاختراع والاخرى قدرة الاكتساب) جائز وانما المحال اجتماع مؤثرين مستقلين على اثر واحد * وفى شرح العقايد * تعريف القدرة الحادثة فى العبد بانها صفة يخلقها الله تعالى فى العبد عند قصده اكتساب الفعل مع سلامة الاسباب والآلات * وبهذا الطريق يظهر ان مناط التكليف بعد خلق الاختيار للعبد هو قصده الفعل قصد ٢ مخصصا طاعة كان او معصية وان لم تؤثر قدرته وجود الفعل المانع هو تعلق قدرة الله التى لا يقاومها شئ وبايجاد ذلك * ومن هنا قال ابن الهمام ان لزوم الجبر يندفع بتخصيص النصوص باخراج فعل واحد قبلى وهو العزم ٣ المخصص لكن يقول فيه ان ذلك العزم المخصص داخل تحت الحكم المعمم والله اعلم * ثم ما اختاره هو قول الباقلانى من ائمة اهل السنة ان قدرة الله تعالى يتعلق باصل الفعل وقدرة العبد يتعلق بوصفه من كونه طاعة او معصية فمتعلق تأثير القدرتين مختلف كما فى لطم اليتيم تأديبا وايذاء فان ذات اللطم واقعة بقدرة الله تعالى وتأثيره وكونه طاعة (على الاول) ومعصية (على الثانى) بقدرة العبد وتأثيره لتعلق ذلك بعزمه المخصص * ولقد انصف الامام الرازى فى تفسيره الكبير حيث قال الانسان مجبور فى صورة مختار وهو ٣ الذى ما يمكن ان ينتهى اليه فهم البشر * قلت * ذلك لوقوع فعل العبد على وفق اختياره من غير تأثير القدرة المقارنة له * ويؤيده قوله تعالى * وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحانه وتعالى عما يشركون * ولذا قال بعض العارفين * لا تختر فان كنت لا بد ان تختار فاختر ان لا تختار (وهى) اى افعال العباد (كلها) اى جميعها من خيرها وشرها وان كانت مكاسب لهم (بمشيته) اى بارادته (وعلمه) اى بتعلق علمه (وقضائه

٢ السرعون

٢ مخصصا

٢ انتهى

(وقدرته)

(و قدرته) اى قدره على وفق حكمه وطبق قدر تقديره فهو مريد لما نسميه شرا من كفر ومعصية كما هو مريد للخير من ايمان وطاعة (و الطاعة كلها) اى جنسها بجميع افرادها الشامل لواجبها وندبها (ماكانت) اى قليلة اوكثيرة (واجبة) اى ثابتة (بامر الله تعالى) اى باقامتها فى الجملة حيث قال اطيعوا الله واطيعوا الرسول (و بمحبته) اى لقوله تعالى * فان الله يحب المتقين ويحب المحسنين ويحب المؤمنين * (و برضائه) لقوله تعالى فى حق المؤمنين رضى الله عنهم (و علمه) اى بتعلق علمه سابقا فى عالم الشهود وتحققه لاحقا فى عالم الوجود (و مشيته) اى ارادته (و قضائه) اى حكمه (و تقديره) اى بمقدار قدره اوّلا وكتبه فى اللوح المحفوظ وحرره ثانيا * واظهره فى عالم الكون وقرره ثالثا * ثم يجزيه جزاء وافيا فى عالم العقبى رابعا (والمعاصى كلها) اى صغيرها وكبيرها (بعلمه وقضائه وتقديره) (و مشيته) اذ لو لم يردها لما وقعت (لا بمحبته) لقوله تعالى ان الله لا يحب الظالمين (ولا برضائه) لقوله تعالى * ولا يرضى لعباده الكفر * ولان الكفر يوجب المقت الذى اشد الغضب وهو ينافى رضى الرب المتعلق بالايمان وحسن الادب (و لا بامره) لقوله تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء * وقوله * ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى * ضد الامر فلا يتصور ان يكون الكفر بالامر * وهذا القول هو المعروف عن السلف * وقد اتفقوا على جواز اسناد الكل اليه سبحانه جملة فيقال جميع الكائنات مراده الله * ومنهم من منع التفصيل فقال * لا يقال انه يريد الكفر والظلم والفسق لايهام الكفر ولرعاية الادب معه سبحانه كما يقال خالق الاشياء ولا يقال خالق القاذورات * ثم اعلم ان شارحا حمل عبارة الامام على ان الطاعة والمعاصى مفعولان (ليخلق) وان قوله واجبة (خبر ما كانت) وهو خلاف الظاهر مع انه يلزم منه عدم بيان ما كانت مندوبة * فالاولى ما قررنا وعلى عموم معنى الامر حررنا * والمسئلة مبسوطة فى الوصية حيث قال * نقر بان الاعمال ثلثة فريضة اى اعتقادا اوعملا او اعتقادا يشمل الواجب * وفضيلة * اى سنة اومستحبة اونافلة * ومعصية * اى حراما اومكروها * فالفريضة بامر الله تعالى ومشيته ومحبته ورضائه وقضائه وتقديره وارادته وتوفيقه وتخليقه اى خلق فعله وفق حكمه فهو تفسير لما قبله * واما قوله وحكمه وعلمه وكتابته فى اللوح المحفوظ * فظاهر العبارة هو التفرقة بين المشية والارادة * فالمشية ازلية فى المرتبة الشهودية * والارادة تعلقها بالفعل فى حالة الوجودية هذا ما سنح لى فى هذا المقام والله اعلم بمرام الامام * وكذا الحكم يظهر انه مستدرك لانه اما ان يراد به الحكم الاولى فهو بمعنى القضاء الاولى ويرادبه امر الكونى فى عالم الظهور الخلقى فقد تقدم ذكر الامر بهذا المعنى * اللهم الا ان يقال انهما كالتأكيد والتأبيد فى المبنى * ثم اعلم قوله وفضيلة ليست بامر الله اى بالامر الموجب قطعا وظنا والا فهى داخلة تحت الامر

المقتضى استحسانا * وكذا مندرج فى قوله ولكن بمشيته ومحبته ورضائه وتقديره وتوفيقه وتخليقه وارادته وحكمه وعلمه وكتابته فى اللوح المحفوظ فنؤمن باللوح والقلم وبجميع مافيه قدرتم * والمعصية ليست بامر الله ولكن بمشيته لابمحبته وبقضائه ولابرضائه وتقديره وتخليقه لابتوفيقه وبخذلانه وعلمه وكتابته فى اللوح المحفوظ انتهى * واما ماذكره ابن الهمام رحمه الله فى المسايرة من انه نقل عن ابى حنيفة رحمه الله مايدل على جعل الارادة من جنس الرضى والمحبة لاالمشية لما روى عنه من قال لامرأته شئت طلاقك ونواه طلقت ولو قال اردته اواحببته اورضيته ونوى لايقع * فمحمول على تفرقة هذه الصفات فى العباد فليس كما قال انه مخالف لما عليه اكثر اهل السنة * وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم وآله ما اجمع عليه السلف من قوله ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن * وقد خالفت المعتزلة فى هذين الاصلين فانكروا ارادة الله للشر مستدلين على زعمهم بقوله تعالى * وما الله يريد ظلما للعباد * وان الله لايرضى لعباده الكفر * وان الله لا يأمر بالفحشاء * والله لايحب الفساد * وهذا منهم بناء على تلازم الارادة والمحبة والرضى والامر عندهم * وقالوا انه سبحانه اراد من الكافر الايمان لا الكفر ومن المعاصى الطاعة لا المعصية زعما منهم ان ارادة القبيح قبيحة * فعندهم يكون اكثر مايقع من افعال العباد على خلاف ارادة الله سبحانه وقد دلت الآيات الواضحات على خلاف قولهم كقوله تعالى * فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا * وقوله تعالى * ان لو يشأ الله لهدى الناس جميعا * ولو نشاء لاتينا كل نفس هداها * وماتشاؤن الا ان يشاء الله * وروى البيهقى بسنده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر رضى الله عنه * لو اراد الله ان لايعصى ماخلق ابليس * ثم قول المعتزلة ارادة القبيح قبيحة هو بالنسبة الينا * واما بالنسبة اليه سبحانه فليست كذلك فانها قد تكون مقرونة بحكمة تقتضى ذلك * مع انه مالك الامور على الاطلاق يفعل مايشاء ويحكم مايريد لايسئل عما يفعل وهم يسألون * وحكى * ان القاضى عبد الجبار الهمدانى * احد شيوخ المعتزلة دخل على الصاحب ابن عباد * وعنده * الاستاذ ابو اسحق الاسفرائنى احد ائمة اهل السنة * فلما راى الاستاذ * قال سبحان من تنزه عن الفحشاء * فقال الاستاذ فورا * سبحان من لايقع فى ملكه الامايشاء * فقال القاضى * أيشاء ربنا ان يعصى * قال الاستاذ * ايعصى ربنا قهرا * فقال القاضى * ارايت ان منعنى الهدى وقضى على بالردى احسن الى ام اساء * فقال الاستاذ ان منعك ماهو عليك فقد اساء ان منعك ماهو لك فيختص برحمته من يشاء فبهت القاضى * ومجمل الكلام ٢ ومحصل المرام ان الحسن من افعال العباد وهو مايكون متعلق المدحة فى الدنيا والمثوبة فى العقبى برضاء الله وارادته وقضائه * والقبيح منها وهو مايكون متعلق المذمة فى العاجل والعقوبة فى الآجل ليس برضائه بل بارادته وقضائه لقوله سبحانه * ولايرضى لعباده الكفر * فالارادة والمشية والتقدير يتعلق بالكل * والرضاء والمحبة والامر لايتعلق الابالحسن دون القبيح من الفعل * ثم اعلم ان الطاعة بحسب الطاقة قال

الله

الله تعالى * لا يكلف الله نفسا الا وسعها * اى قدرتها وقدرة العبد التى يصير بها اهلا للتكليف الطاعة هى سلامة الآلة التى بها يؤدى ما يجب عليه من المعرفة والعبادة * فلذا لا تكليف للصبى والمجنون بالايمان * ولا الاخرس بالاقرار باللسان ولا المريض العاجز عن القيام بالقيام فى مقام الاحسان فكان ابو جهل غير مسلوب العقل ولم يكن له ان يقول لا اقدر ان اصدق واعترف * وكذا المؤمن الصحيح التارك للصلوة ليس له ان يقول لا اقدر على ان اصلى * والحاصل ان العبد ليس له ان يتعذر ويتعلق بالقضاء والقدر * وفيه اشكال مشهور ذكرناه فى تفسير قوله تعالى * ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون * حيث نزلت الآية فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون * ووجه الاشكال ظاهر حيث امرهم بالايمان مع تقرر علمه بانهم يموتون على الكفران * والجواب ان ايمانهم ليس محالا لذاته بل لغيره حيث تعلق علم الله بعدمه فهم فى عدم ايمانهم عاصون من وجه وطائعون من وجه * ولعل هذا المعنى يستفاد من قوله تعالى * وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها * اى انقاد فيما اراد رب العباد * وسر القدر مخفى على البشر فى الدنيا بل فى العقبى * فقد قال الله تعالى * فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين * والحاصل ان الاستطاعة صفة يخلقها الله تعالى عند اكتساب الفعل بعد سلامة الاسباب والآلات فان قصد العبد فعل الخير خلق الله تعالى قدرة فعل الخير وان قصد فعل الشر خلق الله قدرة فعل الشر فكان العبد هو المضيع لقدرة فعل الخير فيستحق الذم والعقاب * ولذا ذم الله الكافرين بانهم لا يستطيعون السمع * اى لا يقصدون سماع كلام الرسول على وجه التأمل وطلب الحق حتى يعلموا به بل يسمعون على وجه الانكار وقد يقع لفظ الاستطاعة على سلامة الاسباب والآلات والجوارح كما فى قوله تعالى * من استطاع اليه سبيلا * وصحة التكليف يعتمد على هذه الاستطاعة التى هى سلامة الاسباب والآلات لا الاستطاعة بالمعنى الاوّل فتأمل * مع ان القدرة صالحة للضدين عند ابى حنيفة رحمه الله * حتى ان القدرة المصروفة الى الكفر هى بعينها القدرة التى تصرف الى الايمان لاختلاف الاثر لا التعلق وهو لا يوجب الاختلاف فى نفس القدرة * فالكافر قادر على الايمان المكلف به لانه صرف قدرته الى الكفر وضيع باختياره صرفها الى الايمان فاستحق الذم والعقاب من هذا الباب * واما ما يمتنع بالغير بناء على ان الله تعالى علم خلافه واراد خلافه كايمان الكافر وطاعة العاصى * فلا نزاع فى وقوع التكليف به لكونه مقدورا للمكلف بالنظر الى نفسه فليس التكليف به تكليفا بما ليس فى وسع البشر نظرا الى ذاته * ومن قال انه تكليف بما ليس فى الوسع فقد نظر الى ما عرض له من تعلق علمه تعالى وارادته سبحانه بخلافه * وبالجملة لو لم يكن العبد به لم يكن تارك المأمور عاصيا * فلذا عد مثل ايمان الكافر وطاعة الفاسق من قبيل المحال بناء على تعلق علمه وارادته بخلافه وهو عندنا من قبيل (مايطاق) بناء على صحة تعلق القدرة اى الحادثة فى نفسه والا لم يوجد عقيبه *

وهذا نزاع لفظى عند ارباب التحقيق والله ولى التوفيق * **ثم اعلم ان مراتب ما ليس فى وسع البشر اتيانه** * ثلث * اقصاها * ان يمتنع بنفس مفهومه كجمع الضدين وقلب الحقايق واعدام القديم وهذا لا يدخل تحت القدرة القديمة فضلا عن الحادثة * واوسطها * ان لا يتعلق بها القدرة الحادثة (اصلا) كخلق الاجسام (او عادة) كحمل الجبل والصعود الى السماء * وادناها * ان يمتنع لتعلق علمه سبحانه او ارادته لعدم وقوعه * وفى جواز التكليف بالمرتبة الاولى تردد * ولا نزاع فى عدم الوقوع * وجواز الثانية * مختلف فيه ولا خلاف فى عدم الوقوع * ووقوع الثالثة متفق عليه فضلا عن جوازها (**و الانبياء عليهم السلام كلهم**) اى جميعهم الشامل لرسلهم ومشاهرهم وغيرهم * اولهم آدم * على ما ثبت بالكتاب والسنة واجماع الامة * فما نقل عن بعض من انكار نبوته يكون كفرا وقد وردانه عليه الصلوة والسلام سئل عن عدد الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا * وفى رواية ماءتا الف واربعة وعشرون الفا * الا ان الاولى ان لا يقتصر على عدد فيهم (**منزهون**) اى معصومون (**عن الصغائر و الكبائر**) اى من جميع المعاصى (**و الكفر**) خص لانه اكبر الكبائر ولكونه سبحانه لا يغفران يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (**و القبايح**) * وفى نسخة الفواحش وهى اخص من الكبائر فى مقام التغاير * كما يدل عليه قوله سبحانه * الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش * والمراد بها * نحو القتل * والزنا * واللواطة * والسرقة * وقذف المحصنات * والفرار من الزحف * والنميمة واكل الربوا * ومال اليتيم * وظلم العباد * وقصد الفساد فى البلاد * وقال سعيد بن جبيران رجلا قال لابن عباس رض * **كم الكبائر** اسبع هى قال الى سبعمائة اقرب منها الى سبع غير انه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار * واختلفوا فى حد الكبيرة فقال ابن سيرين كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة * ويؤيده ظاهر قوله سبحانه * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه * * وقال الحسن وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم * كل ما جاء فى القرآن مقرونا بذكر الوعيد فهو كبيرة وهذا هو الاظهر فتدبر * ثم اعلم ان ترك الفرض او الواجب ولو مرة بلا عذر كبيرة * وكذا ارتكاب الحرام وترك السنة مرة بلا عذر تساهلا او تكاسلا لها صغيرة * وكذا ارتكاب الكراهة والاصرار على ترك السنة وارتكاب الكراهة كبيرة الا انها كبيرة دون كبيرة لان الكبر والصغر من الامور الاضافية والاحوال النسبية * ولذا قيل حسنات الابرار سيآت المقربين * قال شارح عقيدة الطحاوى * وثم امر ينبغى التفطن له * وهو ان الكبيرة قد يقترن بها من الحياء والخوف والاستعظام لها ما يلحقها بالصغاير * وقد يقترن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالات وترك الخوف والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر * وهذا امر مرجعه الى ما يقوم بالقلب وهو قدر زايد على مجرد الفعل والانسان يعرف ذلك من نفسه وغيره ايضا فانه ٢ قد يعصى لصاحب الاحسان

٢ ق يعصى

العظيم

العظيم مالا يعصى لغيره من الذنب الجسيم * ثم هذه العصمة ثابتة للانبياء قبل النبوة وبعدها على الاصح وهم مؤيدون بالمعجزات الباهرات والآيات الظاهرات * وورد فى مسند احمد انه عليه الصلوة والسلام سئل عن * عدد الانبياء * فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا * والرسل منهم ثلث مائة وثلثة عشر * اوّلهم آدم عليه السلام * وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم * وهو لاينافى قوله تعالى * ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك * وان ثبوت الاجمال لاينافى تفصيل الاحوال * نعم الاولى ان لانقتصر على الاعداد فان الآحاد لايفيد الاعتماد فى الاعتقاد بل يجب كما قال تعالى * كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله * ان نؤمن ايمانا اجماليا من غير تعرض تعداد الصفات وعدد الملائكة والكتب والانبياء * وارباب الرسالة من الاصفياء (وقد كانت منهم) اى من بعض الانبياء قبل ظهور مراتب النبوة او بعد مناقب الرسالة (زلات) اى تقصيرات (وخطيات) اى عثرات بالنسبة الى عالهم على المقامات وسنى الحالات كما وقع لآدم عليه السلام فى اكله من الشجرة على وجه النسيان او ترك العزيمة واختيار الرخصة ظنا منه * ان المراد بالشجرة المنهية المشار اليها بقوله * لاتقربا هذه الشجرة * هى الشخصية لا الجنسية فاكل من الجنس لامن الشخص بناء على الحكمة الالهية ليظهر ضعف قوة البشرية وقوة اقتضاء مغفرة الربوبية * ولذا ورد * لولم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم * وبسط هذا يطول فتعطف عن هذا المقول * وهذا اما عليه اكثر العلماء * خلافا لجماعة من الصوفية وطائفة من المتكلمين حيث منعوا السهو والنسيان والغفلة * واما قوله صلى الله عليه وسلم * انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة * فقال الرازى فى التفسير الكبير * اعلم ان الغين يغشى القلب فيغطيه بعض المغطية وهو كالغيم الرقيق الذى يعرض فى الهواء فلا يحجب عين الشمس ولكن يمنع كمال ضوءها * ذكروا لهذا الحديث تاؤيلات * اولها * ان الله تعالى اطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على مايكون فى امته من بعده من الخلاف ومايصيبهم فكان اذا ذكر ذلك وجد غينا فى قلبه فاستغفر لامته * قلت وفيه بعد ظاهر فى الافهام من جهة دوام تذكر تلك المقام مع انه عليه الصلوة والسلام فى مرتبة عالية من المرام * وثانيها * انه عليه الصلوة والسلام كان ينتقل من حالة الى اخرى ارفع من الاولى فكان الاستغفار لذلك يعنى لتوقفه وظنه انه الحالة الاعلى وهذا المعنى هو الاولى لمطابقته قوله تعالى * وللاخرة خير لك من الاولى * وثالثها * ان الغين عبارة عن السكر الذى كان يلحقه فى طريق المحبة حتى يصير فانيا عن نفسه بالكلية فاذا عاد الى الصحو كان الاستغفار من ذلك الصحو وهو تاؤيل ارباب الحقيقة * قلت ويؤيده حديث * لى مع الله وقت لايسعنى فيه ملك مقرب * اى جبرائيل المقدس * ولانبى مرسل * اى نفسه الانفس الا انه قد يقال

الاستغفار ليس من الصحو بل من المحو لظاهر قوله * وانه ليغان على قلبى حتى يمنعنى عن شهود ربى فى مقام جمع الجمع الذى لايحجب الكثرة عن الوحدة ولايمنع الوحدة عن الكثرة لاسيما وهو فى منصب الرسالة وفى مقام تبليغ الدعوة والدلالة فكل مايمنعه عن المقام الاكمل فنسبة الاستغفار اليه امثل * وقد يقال الغين كناية ١ من ملاحظة الخلايق ومرابطة العلايق ومضايقة العوايق * كما ان الغين كناية عن مراقبة الذات ومشاهدة الصفات وهو عين العلم والايمان وزين العمل والاحسان كمايشير اليه حديث * الاحسان ان تعبد الله كانك تراه * اى ان تكون فى مقام العبودية لله بحيث لايخطر ببالك ماسواه والخواطر لاتنفك عن السرايز فكل ماخطر ببالك سوى الله قال استغفر الله كما اشار شيخ مشايخنا ابو الحسن ٢ الكبرى فى ضربه الى هذا المقام السرى والحال السرى * واومى اليه العارف ابن الفارض ايضا بقوله *

شعر

* ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا حكمت بردتى *

وفى هذه العبارات مضمون كلام من قال من اهل الاشارة * حسنات الابرار سيآت الاحرار * * ورابعها * هو تاويل اهل الظاهر ان القلب لاينفك عن الخطرات وخواطر الشهوات وانواع الميل والارادات وكان يستعين بالرب فى دفع تلك الخواطر * قلت وخامسها موافقا لارباب الظاهر * انه كان استغفاره من رؤية العبادات اومن تقصيره فى الطاعات اوعجزه عن شكر المنعم فى الحالات ولذا كان يستغفر اذا فرغ عن الصلوات * وكذا اذا خرج من قضاء الحاجات ومن هذا القبيل قول رابعة العدوية * استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير * وله معنيان * احدهما ادق من الآخر فتأمل وتدبر * فلنعطف من هذا المقام الى ما كنا فى صدده من الكلام * فذكر القاضى ابو زيد فى اصول الفقه * ان افعال النبى صلى الله عليه وسلم على اربعة اقسام * سنة * ومستحب * ومباح * وزلة * فان كان يقع من غير قصد كمايكون من النائم والمخطى اونحوهما فلاعبرة بها لانها غير داخلة تحت الخطاب * ثم ان الزلة لاتخلو عن اقتران بيان انها زلة اما من الفاعل فى نفسه * كقول موسى عليه السلام حين قتل القبطى بوكزه * هذا من عمل الشيطان * واما من الله سبحانه كما قال آدم عليه السلام * وعصى آدم ربه فغوى * مع انه قيل زلته كان قبل النبوة لقوله * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى * واذا لم تخلو الزلة عن البيان لم يشكل على احد انها غير صالح للاقتداء بها فتبقى العبرة للانواع الثلثة وقد ذكر شمس الائمة ايضا نحوه * وفى شرح العقايد * ان الانبياء معصومون * عن الكذب خصوصا فيما يتعلق بامر الشرع وتبليغ الاحكام وارشاد الامة * اما عمدا فبالاجماع * واما سهوا فعند الاكثرين وفى عصمتهم عن سائر الذنوب تفصيل * وهو انهم معصومون عن الكفر قبل الوحى وبعده بالاجماع * وكذا من تعمد الكبائر عند الجمهور خلافا للحشويه * واما سهوا فجوزه الاكثرون * واما الصغائر فيجوز عمدا عند الجمهور خلافا للجبائى واتباعه * ويجوز

سهوا

١ من الغين
٢ الكبرى

سهوا بالاتفاق الامايدل على الخسة كسرقة لقمة وتطفيف حبة * لكن المحققين اشترطوا ان ينبهوا عليه فينتهوا عنه هذا كله بعد الوحى * واما قبله فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة خلافا للمعتزلة ومنع الشيعة صدور الصغيرة والكبيرة قبل الوحى وبعده * لكنهم جوزوا اظهار الكفر تقية * اذا تقرر هذا فما نقل عن الانبياء مما يشعر بكذب او بمعصية وما كان منقولا بطريق الآحاد فمردود * وما كان منقولا بطريق ثابتة فمصروف عن ظاهره ان امكن والا فمحمول على ترك الاولى او كونه قبل البعثة * وقال ابن الهمام ره والمختار عند جمهور اهل السنة العصمة عنهما اى ٢ عن الصغائر والكبائر لان الصغائر غير الخطاء والسهو ومن اهل السنة من منع السهو عليه والاصح جواز السهو فى الافعال والحاصل ان احدا من اهل السنة لم يجوز ارتكاب المنهى منهم عن قصد ولكن بطريق السهو والنسيان ويسمى ذلك زلة * قال القونوى * واختلف ٢ المذاهب فى كيفية العصمة فقال بعضهم * هى محض فضل الله تعالى بحيث لا اختيار للعبد فيه وذلك اما بان يخلقهم على طبع يخالف غيرهم بحيث لا يميلون الى المعصية ولا ينفرون عن الطاعة كطبع الملائكة * واما بصرف همتهم عن السيئات وجذبهم الى الطاعات جبرا من الله بعد ان اودع فى طبايعهم ما فى طبايع البشر * وقال بعضهم العصمة فضل من الله ولطفه ولكن على وجه يبقى اختيارهم بعد العصمة فى الاقدام على الطاعة والامتناع عن المعصية * واليه مال الشيخ ابو منصور الماتريدى حيث قال * العصمة لا تزيل المحنة * اى الابتلاء والامتحان يعنى لا تجبره على الطاعة ولا تعجزه عن المعصية بل هى لطف من الله يحمله على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء والاختيار

(ومحمد صلى الله تعالى عليه و آله وسلم) اى ابن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن نزار بن معد بن عدنان هذا القدر فى نسبه عليه الصلوة والسلام لم يختلف فيه احد من علماء الاعلام * وقد روى من الاخبار الآحاد عنه عليه الصلوة والسلام انه نسب نفسه بذلك الى نزار بن معد بن عدنان (نبيه) وفى نسخة حبيبه (وعبده) اى المختص به لانه الفرد الاكمل عند اطلاقه (ورسوله) وناسخ اديان من قبله * فقد قال عليه الصلوة والسلام * لا تطرونى كما اطرئ عيسى عليه السلام وقولوا عبد الله ورسوله * وقدم العبودية لتقدمها وجودا على الرسالة والدلالة على عدم استنكافه من ذلك المقام بل للاشارة الى انه مفتخر بذلك المرام ولله در القائل هذا النظام *

شعر
يا قومى قلبى عند زهراء * يعرفها السامع والرائى
لا تدعنى الا بيا عبدها * فانه من اشراف اسمائى

* وفى تقديم النبوة على الرسالة اشعار بما هو مطابق فى الوجود من عالم الشهود وايماء الى ما هو الاشهر فى الفرق بينهما من القول بان النبى عليه السلام من الرسول لان الرسول من امر بالتبليغ والنبى من اوحى اليه اعم من ان يؤمر بالتبليغ ام لا قال القاضى عياض والصحيح الذى عليه الجمهور ان كل رسول نبى من غير عكس وهو اقرب من نقل غيره الاجماع عليه لنقل غير واحد الخلاف فيه * وقيل النبى مختص بمن لا يؤمر وقيل هما مترادفان واختاره ابن الهمام والاظهر انهما متغايران لقوله تعالى * وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى * ولبعض الاحاديث الواردة فى عدد الانبياء والرسل * واما هو صلى الله عليه وسلم فمخوطب بيا ايها النبى وايها الرسول * لكونه موصوفا بجميع اوصاف المرسلين * وفى قوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين * ايماء الى ما ورد فى بعض احاديث الاسرار جعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا * كما رواه البزاز من حديث ابى هريرة رضى الله عنه * قال الامام فخر الدين الرازى * الحق ان محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قبل الرسالة ما كان على شرع نبى من الانبياء عليهم السلام وهو المختار عند المحققين من الحنفية لانه لم يكن امة لنبى قط لكن ٢ قام فى مقام النبوة قبل الرسالة وكان يعمل بما هو الحق الذى ظهر عليه فى مقام نبوته بالوحى الخفى والكشوف الصادقة من شريعة ابراهيم عليه السلام وغيرها كذا نقله القونوى فى شرح عمدة النسفى وفيه دلالة على ان نبوته لم تكن منحصرة فيما بعد الاربعين كما قاله جماعة ٣ * بل اشارة الى انه من يوم ولادته متصف بنعت نبوته بل يدل حديث * كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد انه متصف بوصف النبوة فى عالم الارواح قبل خلق الاشباح وهذا وصف خاص له لا انه محمول على خلقه النبوة واستعداده للرسالة كما يفهم من كلام الامام حجة الاسلام فانه ح لا يتميز عن غيره متى يصلح ان يكون متمدحا بهذا النعت بين الانام ثم نبوته ورسالته ثابتة بالمعجزات بل هو معجزة فى حد الذات والصفات كما قال صاحب البردة *

﴿شعر﴾ كفاك بالعلم فى الامى معجزة * فى الجاهلية والتأديب فى اليتم
وما احسن قول حسان * لو لم يكن آيات مبينة * كانت بديهة تأتيك بالخبر

٢ كان
٣ المختار انه صلى الله عليه وسلم واصحابه متعبد بشرع قبل بعثته فقيل آدم وقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى والاشبه ما بلغه ونفاه المالكية وجمهور المتكلمين فالمعتزلة مستحيل واهل الحق غير واقع عليه وتوقف الامام والغزالى والآمدى والنزاع فى الفروع واما العقائد فاتفاق لنا ان الناس لم يتركوا شرعا من بعثة آدم فلزم التعبد بكل من بلغ الى ان ينسخ مسلم

والحق ان محمدا صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة ما كان على شرع نبى من الانبياء

وبيانه ان ما من احد ادعى النبوة من الكذابين الا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب لمن له ادنى تمييز * بل وقد قيل ما اسر احد سريرة الا اظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه * ويؤيد قوله تعالى * والله مخرج ما كنتم تكتمون (وصفيه) اى مصطفاه بانواع من الكرامات وحقايق المقامات الدنيوية والاخروية وفى نسخة بزيادة ومنتقاه اى مختاره ومجتباه من بين مخلوقاته كما يشير اليه حديث لولاه (لم يعبد الصنم) اى ولاغيره لقوله (ولم يشرك بالله طرفة عين قط) اى لاقبل النبوة ولابعدها فان الانبياء معصومون عن الكفر مطلقا بالاجماع وان جوز بعضهم صدور الصغيرة بل الكبيرة قبل النبوة بل وبعدها ايضا فى مقام النزاع واما هو صلى الله عليه وسلم فكما قال الامام (ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط) واما قوله تعالى * عفا الله عنك * الآية وكذا قوله ما كان لنبى ان يكون له اسرى فمحمول على ترك الاولى بالنسبة الى مقامه الاعلى (وافضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى بعد وجوده لانه خاتم النبيين حال شهوده * واما عيسى عليه السلام فقد وجد قبله وان كان يقع نزوله بعده * ولايبعد ان يقال اراد الامام العبدية الزمانية ففى شرح المقاصد ذهب العظماء من العلماء الى ان اربعة من الانبياء فى زمرة الاحياء الخضر والياس فى الارض وعيسى وادريس فى السماء * والحاصل ان افضل الناس بعد الانبياء عليهم الصلوة والسلام (ابو بكر رضى الله عنه) وكان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله * وقيل عتيق واسم ابيه ابو قحافة عثمان بن عامر ابن عمر بن كعب بن سعد بن يتيم بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب القريشى اليتيمى (وهو الصديق) لكثرة صدقه وتحقيقه وقوة تصديقه وسبق توفيقه فهو افضل بعد الانبياء من الاوّلين والآخرين وقد حكى الاجماع على ذلك ولاعبرة بمخالفة الروافض هنالك * وقد استخلفه عليه الصلوة والسلام فى الصلوة فكان هو الخليفة حقا وصدقا * وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى بدى فيه مرضه فقال ادعى لى اباك واخاك حتى اكتب لابى بكر كتابا * ثم قال يابى الله والمسلمون الا ابابكر واما قول عمر رضى الله عنه ان استخلف فقد استخلف من هو خير منى يعنى ابابكر وان لم يستخلف فلم يستخلف من هو خير منى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم * فلعل مراده لم يستخلف بعهد مكتوب ولو كتب عهدا لكتبه لابى بكر بل قد اراد كتابته ثم تركه وقال يابى الله والمسلمون الا ابابكر وكان هذا ابلغ من مجرد العهد فانه عليه الصلوة والسلام دل المسلمين على استخلاف ابى بكر بالفعل والقول واختاره لخلافته اختيارا رضى بذلك وعزم على ان يكتب بذلك عهدا هنالك ثم علم ان المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتابة اكتفاء بارادة الله واختيارا لامته ثم عزم على ذلك فى مرضه يوم الخميس فلما

حصل لبعضهم شك (هل ذلك من جهة المرض او هو قول يجب اتباعه) ترك الكتابة اكتفاء بما سبق فلو كان ٢ التعليق مما يشتبه على الامة لبينه بيانا قاطعا للمعذرة * لكن لما دلهم دلالات متعددة على ان ابابكر هو المتعين وفهموا ذلك وحصل المقصود هنالك ثم الانصار كلهم بايعوا ابابكر الا سعد بن عبادة لكونه هو الذى كان يطلب الولاية ولذا لما بايع عمر وابو عبيدة ومن حضر من الانصار قال قائل * قتلتم سعدا فقال عمر رضى الله عنه قد قتله الله ولم يقل احد من الصحابة ان النبى صلى الله عليه وسلم نص على غير ابى بكر رضى الله عنه من على رضى الله عنه والعباس رضى الله عنه وغيرهما * ولو كان نص لاظهره * وروى عن ابى بطاة باسناده ان عمر بن عبد العزيز بعث محمد بن الزبير الحنظلى الى الحسن البصرى فقال هل كان النبى صلى الله عليه وسلم استخلف ابابكر * فقال * اوفى شك ٣ امامك * قال نعم والله الذى لا اله الا هو استخلفه لو كان اتقى الله من ان يتوقف عليها * والتقييد بالناس لان خواص الملائكة كجبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكروبيين من الملائكة المقربين افضل من عوام المؤمنين وان كانوا دون مرتبة الانبياء والمرسلين على الاصح من اقوال المجتهدين مع انه لا ضرورة الى هذه المسئلة فى امر الدين على وجه اليقين (ثم عمر بن الخطاب رضى الله عنه) اى ابن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لوى القرشى العدى وهو الفاروق كما فى نسخة اى البالغ فى الفرق بين الحق والباطل لقوله عليه الصلوة والسلام ان الله ينطق على لسان عمر * او بين المنافق والموافق لما نزل فى حقه قوله تعالى * الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك الآية * وقد اجمعوا على فضيلته وحقية خلافته وقصة قتل عمر وامر الشورى والمبايعة لعثمان مذكورة فى صحيح البخارى بطولها (ثم عثمان رضى الله عنه) بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى القرشى الاموى ذى النورين كما فى نسخة لانه تزوج بنتى النبى صلى الله عليه وسلم * وقال لو كانت الى اخرى لزوجتها اياه * ويقال لم يجمع بين بنتى نبى من لدن آدم الى قيام الساعة الا عثمان * وقيل انما لقب به لانه عليه الصلوة والسلام دعا لابى بكر بدعوة ولعمر بدعوة ولعثمان بدعوتين (ثم على ابن ابى طالب رضى الله تعالى عنه) اى ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى القريشى الهاشمى وهو المرتضى زوج فاطمة الزهرى * هو ابن عم المصطفى * والعالم فى الدرجة العليا * والمفضلات التى يسأله كبار الصحابة رجعوا الى فتواه فيها كثيرة شهيرة تحقق قوله عليه الصلوة والسلام انا مدينة العلم وعلى بابها وقوله اقضاكم على (رضوان الله عليهم اجمعين) وفضائلهم فى كتاب الحديث مسطورة وشمايلهم على السنة العلماء مشهورة * وقد بينا طرفا منها

فى المرقاة شرح المشكوة * واولى مايستدل به على افضلية الصديق فى مقام التحقيق نصبه عليه الصلوة والسلام لامامة الانام * مدة مرضه فى الليالى والايام * ولذا قال اكابر الصحابة رضيه (صلى الله عليه وسلم) لديننا افلا نرضاه لدنيانا * ثم ادنى مايستدل به عليه اجماع جمهورهم على نصبه للخلافة ومتابعة غيرهم ايضا فى آخر امرهم * ففى الخلاصة رجلان فى الفقه والصلاح سواء الا ان احدهما اقرأ فقدم اهل المسجد الآخر فقد اساؤا * وكذا الوقف القضاء رجلا وهو من اهله وغيره افضل منه وكذا الوالى * واما الخليفة فليس لهم ان يولوا الخلافة الا افضلهم وهذا فى الخلفاء خاصة وعليه اجماع الامة انتهى * وهذا الترتيب بين عثمان وعلى رضى الله عنهما هو ماعليه اكثر اهل السنة خلافا لما روى عن بعض اهل الكوفة والبصرة من عكس القضية * ثم اعلم ان جميع الروافض واكثر المعتزلة يفضلون عليا على ابى بكر رضى الله عنهما * وروى عن ابى حنيفة رحمه الله تفضيل علىّ على عثمان * والصحيح ماعليه جمهور اهل السنة وهو الظاهر من قول ابى حنيفة رحمه الله على مارتبه هنا وفق مراتب الخلافة * وفى شرح العقايد على هذا الترتيب وجدنا السلف * والظاهر انه لو لم يكن لهم دليل هنالك لما مكموا بذلك * وكان السلف متوقفين فى تفضيل عثمان على على رضى الله عنهما حيث جعلوا من علامات اهل السنة والجماعة * تفضيل الشيخين * ومحبة الختنين * والانصاف انه ان اريد بالافضلية كثرة الثواب فللتوقف جهة وان اريد كثرة مايعده ذوى العقول من الفضائل فلا * انتهى * ومراده بالافضلية افضلية عثمان على علىّ رضى الله عنهما بقرينة ماقبله من ذكر التوقف فيما بينهما لا الافضلية بين الاربعة كما فهم اكثر المحشين حيث قال بعضهم بعد قوله فلا * لان فضائل كل واحد منهم معلومة لاهل زمانه وقد نقل الينا سيرهم وكمالاتهم فلم يكن للتوقف بعد ذلك وجه سوى المكابرة وتكذيب العقل فيما يحكم ببداهته * قال والمنقول عن بعض المتأخرين انه لا جزم بالافضلية بهذا المعنى ايضا اذ ما من فضيلة تروى لاحدهم الا ولغيره مشاركة فيها وبتقدير اختصاصها به حقيقة فقد يوجد لغيره ايضا اختصاصه لغيرها على انه يمكن ان تكون فضيلة واحدة ارجح من فضائل كثيرة اما لشرفها فى نفسها اولزيادة كميتها * وقال محشى آخر اى فلا جهة للتوقف بل يجب ان يجزم بافضيلة علىّ رضى الله عنه اذ قد تواتر فى حقه مايدل على عموم مناقبه ووفور فضائله واتصافه بالكمالات واختصاصه بالكرامات هذا هو المفهوم من سوق كلامه * ولذا قيل فيه رائحة من الرفض لكنه فرية بلا مرية اذ كثرة فضائل علىّ رضى الله تعالى عنه وكمالاته العلية وتواتر النقل فيه معنى بحيث لا يمكن لاحد انكاره ولو كان هذا رفضا وتركا للسنة لم يوجد من اهل الرواية والدراية سنى اصلا فاياك والتعصب فى الدين والتجنب عن الحق واليقين انتهى * ولا يخفى ان تقديم علىّ على الشيخين رضى الله عنهما مخالف لمذهب اهل السنة والجماعة على ماعليه جميع اهل السلف وانما ذهب بعض الخلف على تفضيل على على عثمان رضى الله عنهما * ومنهم ابو الطفيل من الصحابة هذا والذى اعتقده

وفى دين الله اعتمده ان تفضيل ابى بكر رضى الله عنه قطعى حيث امره صلى الله تعالى عليه وسلم بالامامة على طريق النيابة مع ان المعلوم من الدين ان الاولى بالامامة افضل * وقد كان على كرم الله تعالى وجهه حاضرا فى المدينة وكذا غيره من اكابر الصحابة * وعينه عليه الصلوة والسلام لما علم انه افضل الانام فى تلك الايام * حتى انه تأخر مرة فتقدم عمر فقال عليه الصلوة والسلام ابى الله والمؤمنون الا ابا بكر وقصته معارضة لقصة عايشة رضى الله عنها فى حق ابيها معروفة * وهذه الامامة كانت اشارة الى نصب الخلافة * ولذا قالت الصحابة رضى (صلى الله تعالى عليه وسلم) لديننا اوما نرضى فى امر دنيانا * وذلك حين اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة واستقر رأيهم بعد المشاورة والمنازعة على خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه * واجماع الصحابة رضى الله تعالى عنهم حجة قاطعة لقوله عليه الصلوة والسلام * لا تجتمع امتى على الضلالة * وقد بايعه على رضى الله عنه على رؤس الاشهاد بعد توقف كان منه * لعدم تفرغه قبل ذلك للنظر والاجتهاد لما غشيه من الحزن والكابة ولما تعلق به امر التجهيز والتكفين وامضاء الوصية * فلما فرغ وتأمل فى القضية دخل فيما دخل فيه الجماعة وحمل الشيعة فعله على التقية مردود بان التقية لم يطلع عليها احد الا اصاحب البلية على ان مخالفة واحدة ولو كانت ظاهرة لم تخرق اجماع الجماعة * اذ غايته انه يدعى المثلية او يزعم الاحقية من غير دليل اورده فى القضية ثم وقع الاتفاق على خلافة عمر رضى الله عنه لكن تفضيله فى زعمى انه ظنى الا انه قوى لم يختلف فيه سنى ويدل عليه كتابة الصديق رضى عنه على ماذكر فى شرح المواقف * بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد ابو بكر بن ابى قحافة فى آخر عهده من الدنيا واول ما عهده بالعقبى حالة يبر فيها الفاجر ويؤمن فيها الكافر انى استخلف عليكم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه احسن السيرة فذاك ظنى به ٢ والخير اردت وان تكن الاخرى فسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون * ثم استشهد عمر رضى الله عنه وترك الخلافة شورى بين ستة * عثمان * وعلى * وعبد الرحمن بن عوف * وطلحة * والزبير * وسعد بن ابى وقاص * رضوان الله تعالى عليهم اجمعين بمعنى انهم يتشاورون فيما بينهم ويعينون من هو احق بها منهم بحسب رأيهم وانما جعلهم كذلك لانه رآهم افضل مما عداهم واحق بالخلافة مما سواهم كما قال مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم الا انه لم يترجح فى نظر عمر واحد منهم * فاراد ان يستظهر برأى غيره فى التعيين * ولذا قال ان انقسموا اثنين او اربعة فكونوا فى الحرب الذى فيه عبد الرحمن * ثم فوض الامر خمستهم الى عبد الرحمن ورضوا بحكمه فاختار هو عثمان رضى الله عنه وبايعه بمحضر من الصحابة رضى الله عنهم فبايعوه وانقادوا لامره ٣ وصلوا معه الجمع والاعياد فكان اجماعا * ثم استشهد عثمان رضى الله عنه وترك الامر مهملا ومجملا فاجتمع اكابر المهاجرين والانصار على علىّ كرم الله تعالى وجهه * والتمسوا منه قبول الخلافة وبايعوه لما كان افضل اهل عصره واولاهم بالخلافة فى دهره بلا خلاف فى حقيقة امره * واما ما وقع من امتناع جماعة من الصحابة عن نصرة علىّ رضى الله عنه

٢ وان جار فلكل امرئ ما اكتسب.

٣ وبيعه

والخروج

والخروج معه الى المحاربة ومن يحاربه طائفة منهم كما فى حرب الجمل والصفين فلا يدل على عدم صحة خلافته ولا على تضليل مخالفيه فى ولايته اذ لم يكن ذلك عن نزاع فى حقية امارته بل كان عن خطأ فى اجتهادهم حيث انكروا عليه لتركه قود من قتل عثمان رضى الله عنه * بل زعم بعضهم انه كان مايلا الى قتله والمخطئ فى الاجتهاد لا يضلل ولا يفسق على ما عليه الاعتماد * ومما يدل على صحة خلافته دون خلافة غيره الحديث المشهور * الخلافة من بعدى ثلثون سنة ثم يصير ملكا عضوضا * وقد استشهد على رضى الله عنه على رأس ثلثين سنة من وفات رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومما يدل على صحة اجتهاده وخطأ معاوية رضى الله عنه فى مراده ما صح عنه صلى الله عليه وسلم فى حق عمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية * واما ما نقل ان معاوية او احدا من اشياعه قال ما قتله الا على رضى الله عنه حيث حمله على المقاتلة فروى عن على رضى الله عنه انه قال فى المقاتلة * فيلزم ان النبى صلى الله عليه وسلم قتل عمه حمزة * فتبين ان معاوية ومن بعده لم يكونوا خلفاء بل ملوكا وامراء * ولا يستشكل) بان اهل الحل والعقد من الامة قد كانوا متفقين على خلافة الخلفاء العباسية وبعض المروانية كعمر بن عبد العزيز فان المراد بالخلافة الخلفاء العباسية وبعض المروانية كعمر بن عبد العزيز) فان المراد بالخلافة المذكورة فى الحديث الخلافة الكاملة التى لا يشوبها شئ من المخالفة وميل من المتابعة تكون ثلثين سنة وبعدها قد تكون وقد لا تكون اذ انه قد ورد فى حق المهدى انه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاظهر ان اطلاق الخلافة على الخلفاء العباسية كان على المعنى اللغوية المجازية العرفية دون الحقيقة الشريعة * ثم اعلم ان العارف السهروردى قال فى رسالته المسماة * باعلام الهدى وعقيدة ارباب التقى * واما اصحابه فابو بكر رضى الله عنه وفضايله لا تحصى وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم اجمعين * ثم قال ومما ظفر به الشيطان من هذه الامة وخامر العقايد منه وانس منه وصار فى الضماير حيث ما ظهر من المشاجرة بينهم فاورث ذلك احقادا وضغاين فى البواطن ثم استحكمت تلك الصفات وتوارثها الناس فكثفت وتجسدت وجذبت الى اهواء استحكمت اصولها وتشعبت فروعها * فيا أيها البرئ عن الهواء والمعصية * اعلم ان الصحابة مع نزاهة بواطنهم وطهارة قلوبهم كانوا بشرا وكانت لهم نفوس وللنفوس صفات تظهر فقد كانت نفوسهم تظهر بصفة وقلوبهم منكرة لذلك فيرجعون الى حكم قلوبهم وينكرون ما كان من نفوسهم فانتقل السير الى ارباب نفوس عدموا القلوب فما ادركوا انه قضاها قلوبهم وصارت صفات نفوسهم مدركة عندهم للخمسة النفسية فبنوا تصرف النفوس على الظاهر المفهوم عندهم ووقعوا فى بدع وشبه اوردتهم كل مورد ردئ وجرعتهم كل مشرب ربى واستعجم عليهم صفاء قلوبهم ورجوع كل احد الى الانصاف واذعانه مما يجب من الاعتراف وكان عندهم السير من صفات نفوسهم لان نفوسهم كانت محفوفة بانوار القلوب فلما توارث ذلك ارباب النفوس المستطيلة الامارة بالسوء القاهرة للقلوب المحرومة انوارها احدث عندهم العداوة والبغضاء * فان قبلت النصح فامسك من التصرف

في امرهم واجعل محبتك للكل على السواء وامسك عن التفضيل * وان ٢ قام باطنك فضل احدهم على الآخر فاجعل ذلك من جملة اسرارك فما يلزمك اظهاره ولا يلزمك ان تحب احدهم اكثر من الآخر بل يلزمك محبة الجميع والاعتراف بفضل الجميع ويكفيك في العقيدة السليمة ان تعتقد صحة خلافة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم انتهى * ولا يخفى ان هذا من الشيخ ارخاء العنان مع الخصم في ميدان البيان لان معتقده تساوي اهل هذا الشأن فانه بين اعتقاده اولا ثم تنزل الى ما يجب في الجملة آخرا ولان اعتقاد صحة خلافة الاربعة مما يوجب ترتيب فضائلهم في مقام العلم والثقة ثم الظاهر ان المحبة تتبع الفضيلة قلة وكثرة وتسوية فتعين اجمالا في مقام الاجمال كما قال سبحانه (رضي الله عنهم) وتفضيلا في مقام التفضيل الذي تقدم من التفضيل والله الهادي الى سواء السبيل ثم رأيت الكردري ذكر في المناقب ما نصه من اعترف بالخلافة والفضيلة للخلفاء * وقال من احب عليا رضي الله عنه اكثر لا يؤاخذ به انشاء الله لقوله عليه الصلوة والسلام * هذا قسمي في ما املك فلا تؤاخذني فيما لا املك * قال القونوي * وانما اجمعوا على امامة عثمان لوجود شرايط الامامة فيه * وقد روي ان عمر ترك امر الامامة بين ستة انفس * عثمان * وعلي * وطلحة * والزبير * وعبد الرحمن بن عوف * وسعد بن ابي وقاص * رضي الله عنهم اجمعين * وقال لا تخرج الامامة منهم فجعلوا الاختيار الى عبد الرحمن بن عوف ورضوا بحكمه يعني حين امتنع لنفسه من قبول هذا الامر من اصله فاخذ بيد علي رضي الله عنه وقال * عليك ان تحكم بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين * فقال علي رضي الله عنه * احكم بكتاب الله وسنة رسوله واجتهد رأيي ثم قال لعثمان رضي الله عنه مثل ذلك فاجابه وعرض عليهما ثلث مرات وكان علي رضي الله عنه يجب بالجواب الاول وعثمان يجيبه الى ما يدعوه ثم بايع عثمان فبايعه الناس ورضوا بامامته وفي هذا دليل واضح على صحة خلافة الشيخين واعتقاد الصحابة امامتهما وطريقتهما وقول علي رضي الله عنه * واجتهد رأيي لا يدل على مجانبته اياهما * وانما قال ذلك لان مذهبه ان المجتهد يجب عليه اتباع اجتهاده ولا يجوز تقليده غيره من المجتهدين * ومذهب عثمان وعبد الرحمن بن عوف ان المجتهد يجوز له ان يقلد غيره اذا كان افقه منه واعلم بطريق الدين * وان يترك اجتهاد نفسه ويتبع اجتهاد غيره انتهى وهو المروي عن ابي حنيفة رحمه الله * لا سيما * وقد ورد في الصحيحين اقتدوا بالذين من بعد ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فاخذ عثمان وعبد الرحمن رضي الله عنهم بعموم هذا الحديث وظاهره * ولعل عليا رضي الله عنه اوله بان الخطاب لمن لا يصلح للاجتهاد او خصص نفسه لما قام عنده من دليل كقوله عليه الصلوة والسلام * عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين فانه لا شك انه داخل فيمن يتعين تقليده ولا يتصور ان يكون شخص واحد مقلدا ومقلدا واما بيعة علي رضي الله عنه فكما روي انه لما استشهد عثمان رضي الله عنه هاجت الفتنة بالمدينة ٢ قصد قتلة عثمان رضي الله عنه واهل الفتنة الاستيلاء عليها والقتل باهلها فارادت الصحابة تسكين هذه الفتنة ودفع هذه

١ حام

٢ طالب طهر وا

المحنة فعرضوا الخلافة على علي رضى الله عنه فامتنع عليهم واعظم قتل عثمان رضى الله عنه
ولزم بليته ثم عرضوها بعده على طلحة رضى الله عنه فابى ذلك وكرهه ثم عرضوها على الزبير رضى الله
عنه فامتنع ايضا اعظاما لقتل عثمان رضى الله عنه * فلما مضت ثلثة ايام من قتله اجتمع المهاجرون
والانصار وسألوا عليا رضى الله عنه ١ وانشدوه بالله فى حفظه الاسلام وصيانته دار الهجرة للنبى
صلى الله عليه وسلم فقبلها بعد شدة وبعد ان رآه مصلحة لعلمهم وعلمه انه اعلم من بقى من الصحابة
وافضلهم واولاهم بها فيما يعلوه * وليس من شرط ثبوت الخلافة اجماع الامة على ذلك بل حتى عقد
بعض صالحى الامة لمن هو صالح لذلك انعقدت وليس لغيره بعد ذلك ان يخالفه * ولا وجه
الى اشتراط الاجماع لما فيه من تأخير الامامة عن وقت الحاجة اليها على ان الصحابة رضى الله عنهم
لم يشترطوا فيها الاجماع عند الاختيار والمبايعة ثم الاجماع اذا خرج من ان يكون شرطا لم يكن
عدد اولى من عدد فيسقط اعتباره وينعقد الامامة بعقد واحد * وبهذا يبطل قول من قال ان
طلحة وزبير بايعاه كرها وقالا بايعته ايدينا ولم تبايعه قلوبنا وكذا قولهم ان سعد بن ابى وقاص وسعد
بن زيد وغيرهم ممن يكثر عددهم قعدوا عن نصرته والدخول فى طاعته لان امامته كانت صحيحة
بدون بيعة هؤلاء * وانما لم يقتل على قتلة عثمان لانهم كانوا بغاة اذ الباغى له منعة وتاويل
وكانوا فى قتله متأولين وكان لهم منعة فانهم كانوا مستحلين ذلك مما فقهوا منه من الامور والحكم
فى الباغى اذا انقاد الامام اهل العدل ان لا يؤاخذ بما سبق منه من اتلاف اموال اهل العدل
وسفك دمائهم وجرح ابدانهم فلم يجب عليه قتلهم ولا دفعهم الى الطالب او من يرى الباغى
مؤاخذا بذلك فانما يجب على الامام استيفاء ذلك منهم عند انكسار شوكتهم وتفرق منعتهم ووقوع الامن
على اثارة الفتنة ولم يكن شىء من هذه المعانى حاصلا بل كانت الشوكة لهم باقية بادية والمنعة قائمة
جارية وعزيم القوم على الخروج من طالبهم بدمه دائمة ماضية * وعند تحقق هذه الاسباب يقتضى
التدبير الصايب الاعماض منهم والاعراض عنهم * وقد كان امر طلحة والزبير خطاء غير انهما فعلا
ما فعلا عن اجتهاد وكانا من اهل الاجتهاد * فظاهر الدلايل توجب القصاص على قتل العمد واستيصال
شأن من قصد دم امام المسلمين ٢ بالاراقة على وجه الفساد * فاما الوقوف على الحاق التأويل الفاسد
بالصحيح فى حق ابطال المؤاخذة فهو علم خفى فاز به على رضى كما ورد عن النبى صلى الا عليه وسلم انه
قال له انك تقاتل على التأويل كما تقاتل على التنزيل ثم كان قتاله على التنزيل حقا فكذا كان قتاله على
التأويل حقا * وقد ندما على ما فعلا * وكذا عايشة رضى الله عنها ندمت على ما فعلت وكانت تبكى حتى
تبل خمارها * ثم كان معاوية مخطيا الا انه فعل عن تأويل فلم يصر به فاسقا * واختلف اهل السنة
فى تسميته باغيا * فمنهم من امتنع ذلك والصحيح من اطلق لقوله عليه الصلوة والسلام لعمار بن
ياسر تقتلك الفئة الباغية * وكان على رضى الله عنه مصيبا فى التحكيم * وزعمت الخوارج انه كان
مخطئا فيه وقد كفر اذا الواجب فى اهل البغى المحاربة لقوله تعالى فان بغت احديهما على الاخرى

١ وناشدوه

٢ بالاقامة

فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله) ولكنا نقول المقصود ارادة دفع الشر وتأليف القلوب
وذا فيما فعل على ثم مما يتعلق بهذا المقام حديث الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى * قال كان
بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف لشىء فسبه خالد فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لاتسبوا احدا من اصحابى فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا
نصيفه لكن انفرد مسلم بذكر سب خالد لعبد الرحمن دون البخارى * فان النبى صلى الله عليه
وسلم يقول لخالد ونحوه * لاتسبوا اصحابى * يعنى عبد الرحمن وامثاله لان عبد الرحمن كان من
السابقين الاولين وهم الذين اسلموا من قبل الفتح وقاتلوا وهم اهل بيعة الرضوان فهم افضل
واخص بصحبته ممن اسلم بعد بيعة الرضوان والذين اسلموا بعد الحديبية وبعد مصالحة النبى
صلى الله عليه وسلم اهل مكة ومنهم خالد بن الوليد وهؤلاء اسبق ممن تأخر اسلامهم الى فتح مكة
وسموا الطلقاء منهم ابو سفيان وابناه يزيد ومعاوية * ومن ههنا لما سئل ابو الطفيل ان عليا
افضل ام معاوية فضحك وقال اما يرضى معاوية ان يكون مساويا لعلى حتى يطمع فى ان يكون افضل
منه * والحاصل انه اذا كان هذا حال الذين اسلموا بعد الحديبية (وان كان قبل الفتح) فكيف حال
من ليس من الصحابة (بحال) مع الصحابة رضى الله عنهم * وفى صحيح مسلم عن جابر قال قيل لعائشة
(رضى الله عنها) ان ناسا يتنا ولون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابابكر وعمر رضى الله
عنهما فقالت اتعجبون فى هذا * انقطع عنهم العمل فاحب الله تعالى ان لاينقطع عنهم الاجر * وروى
ابن بطة باسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لاتسبوا اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم فلمقام احدهم ساعة يعنى مع النبى (صلى الله عليه وسلم) خير من عمل احدكم اربعين سنة * وفى
رواية وكيع خير من عبادة احدكم عمره هذا * (وخلافة النبوة ثلثون سنة) * منها خلافة
الصديق رضى الله عنه سنتان وتسعة اشهر * وخلافة عمر رضى الله عنه عشر سنين ونصف * وخلافة
عثمان رضى الله عنه اثنا عشر سنة * وخلافة على كرم الله وجهه اربع سنين وتسعة اشهر * وخلافة
الحسن انه ستة اشهر * (واول ملوك المسلمين) معاوية وهو افضلهم لكنه انما صار اماما حقا لما
فوض اليه الحسن ابن على رضى الله عنهما الخلافة فان الحسن بايعه اهل العراق بعد موت ابيه ثم
بعد ستة اشهر فوض الامر الى معاوية رضى الله عنه * والقصة مشهورة وفى الكتب المبسوطة مسطورة
والخلافة تثبت لعلى بعد عثمان (رضى الله عنهما) بمبايعة الصحابة سوى معاوية مع اهل الشام
وقضيتهما ايضا معروفة * قال (شارح العقيدة الطحاوية) ان ترتيب الخلفاء الراشدين فى الفضيلة
كترتيبهم فى الخلافة الا ان لابى بكر وعمر مزية وهى ان النبى صلى الله عليه وسلم امرنا باتباع سنة
الخلفاء الراشدين ولم يأمرنا فى الاقتداء بالافعال الا لابى بكر وعمر فقال * اقتدوا بالذين من بعدى
ابى بكر وعمر * وفرق بين اتباعهم سنتهم والاقتداء بهم فحال ابى بكر وعمر فوق حال عثمان وعلى
رضى الله تعالى عنهم انتهى * ولعل هذا وجه قول عبد الرحمن بن عوف لكل منهما اوليك على

ان تعمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الشيخين) فابى على ان يقلدهما ورضى عثمان رضى الله عنه قال وقد روى عن ابى حنيفة رحمه الله تقديم على على عثمان ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان وعلى هذا عامة اهل السنة انتهى * والحاصل ان الجمهور من السلف ذهبوا الى تقديم عثمان على على * وكان سفيان الثورى يقول بتقديم على ثم رجع وقال بتقديم عثمان على مانقل عنه ابو سليمان الخطابى * وقال ابو سفيان ايضا ان المتاخرين فى هذا مذاهب منهم من قال بتقديم ابى بكر من جهة الصحابة وتقديم على من جهة القرابة * وقال قوم لايقدم بعضهم على بعض وكان بعض مشايخنا يقول ابو بكر خير وعلى افضل فباب الخيرية (وهى الطاعة للحق والمنفعة للخلق) متعد وباب الفضيلة لازم انتهى * وفيه بحث لا يخفى * والحاصل ان ما ذكره بعضهم من ان الاجماع على افضلية الصديق محمول على اجماع من يعتد به من اهل السنة اذ لا يصح حمله على اجماع الامة لمخالفة بعض اهل البدعة * وقال سعيد بن زيد لمشهد رجل من العشرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغبر منه وجه خير من عمل احدكم ولو عمر نوح رواه ابو داود وابن ماجة والترمذى وصححه * فمن اجهل ممن يكره التكلم بلفظة العشرة او فعل شئ يكون عشرة لكونهم يبغضون خيار الصحابة وهم العشرة المشهود لهم بالجنة وهم يستثنون منهم عليا * ومن العجب انهم يوالون لفظة التسعة وهم يبغضون التسعة من العشرة ويبغضون سائر الصحابة من المهاجرين والانصار الذين قال الله تعالى فى حقهم * رضى الله عنهم ورضوا عنه * الا من نفر قليل نحو بضعة عشر نفرا * ومعلوم انه لو فرض فى العالم عشرة من اكفر الناس لم يجب هجر هذا الاسم لذلك كما انه سبحانه لما قال * وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون * لم يجب هجر اسم التسعة مطلقا بل اسم العشرة قد مدح الله مسماه فى مواضع من القرآن كقوله * تلك عشرة كاملة * واتممناها بعشر * والفجر وليال عشر وكان صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاول من رمضان * وقال فى ليلة القدر والتمسوها فى العشر الآخر * وقال عليه السلام ما من ايام العمل الصالح فيهن احب الى الله من الايام العشرة يعنى عشر ذى الحجة * قال والرافضية يوالى بدل العشرة المبشرة بالجنة اثنى عشر اماما * ولم يأت ذكر الائمة الاثنى عشر الا على صفة ترد قولهم وتبطله وهو ما اخرجاه فى الصحيحين عن جابر بن سمرة * قال دخلت مع ابى على النبى صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول * لا يزال امر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا كلهم من قريش * وفى لفظ (لا يزال الامر عزيزا الى اثنا عشر خليفة) وكان الامر كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فان اثنا عشر هم الخلفاء الراشدون الاربعة ومعاوية وابنه يزيد وعبد الملك بن مروان واولاده الاربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز ثم اخذ الامر فى الانتعال * وعند الرافضة ان امر الامامة لم يزل فى ايام هؤلاء فاسدا ٢ منقضا (يتولى عليهم الظالمون ٣ المقلدون بل المنافقون الكافرون) واهل الحق اذل من اليهود وقولهم هذا ظاهر البطلان والله المستعان * ثم قال واصل الرافض انما احدثه منافق

٢ المعتدون ٣ منقضا

زنديق قصده ابطال دين الاسلام والقدح فى الرسول عليه الصلوة والسلام كما ذكر ذلك العلماء الاعلام فان عبد الله بن سنان لما اظهر الاسلام اراد ان يفسد دين الاسلام بمكره وخبثه كما فعل ١ بولص بدين النصارى فاظهر التنسك * ثم اظهر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى سعى فى فتنته عثمان رضى الله عنه وقتله ثم لما قدم على الكوفة اظهر الغلو فى على * وفى النقص عليه ليتمكن بذلك من اعتراضه وبلغ ذلك عليا فطلب قتله فهرب منه الى فرقيا وخبره معروف فى التاريخ وثبت عن على * ان من فضله على ابى بكر وعمر جلده جلد المفترى (عابدين على الحق) وزيد فى نسخة ومع الحق اى باقين عليه ومعه دائمين كما كانوا فى الماضين من غير تغير حالهم ونقصان كمالهم * وفيه رد (على الروافض) حيث يقولون فى حق الثلثة انهم تغيروا عما كانوا عليه فى زمنه صلى الله عليه وسلم * حيث نزلت فى حقهم الآيات الدالة على فضايلهم ووردفى شأنهم الاحاديث المشعرة على حسن شمايلهم (وعلى الخوارج) حيث يقولون بكفر على رضى الله عنه ومن تابعه وكفر معاوية ومن شايعه حيث ارتكبوا قتل المؤمن وهو عندهم كبيرة مخرجة عن حد الايمان (نتولهم) اى نحبهم (جميعا) اى ولانسب منهم احدا لقوله صلى الله عليه وسلم * لاتسبوا اصحابى * ولورود قوله تعالى والسابقون الاوّلون من المهاجرين الى ان قال رضى الله عنهم ورضوا عنه * وبالاجماع ان هذه الاربعة من سابقى المهاجرة فيدخلون فى رضى الله (سبحانه) دخولا اوّليا * وهذه الآية قطعة الدلالة على تعيين ايمانهم وتحسين مقامهم وعلو شأنهم فلا يعارضه الادليل قطعى نقلا او عقلا * ولا يوجد قطعا عند من يخطئ عليهم ويسئ الادب اليهم ولا يحفظ حرمة الصحة الثابتة لديهم * فقد اجمعوا على ان انكر صحبة الصديق كفر بخلاف انكار صحبة لورود النص فى حقه حيث قال * الاتنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا * فاتفق المفسرون على ان المراد بصاحبه هو ابوبكر الصديق رضى الله عنه * وفيه ايماء الى انه الفرد الاكمل من اصحابه حيث يحمل الاطلاق على بابه (ولا نذكر الصحابة) اى مجتمعين ومنفردين لما فى نسخة ولانذكر احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا بخير) يعنى وان صدر من بعضهم بعض مافيه صورة شر فانه انما كان عن اجتهاد ولم يكن على وجه فساد من اصرار وعناد بل كان رجوعهم الى خير معاد بناء على حسن الظن بهم * ولقوله عليه الصلوة والسلام خير القرون قرنى * ولقوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابى فامسكوا * ولذا ذهب جمهور العلماء الى ان الصحابة كلهم عدول قبل فتنة عثمان وعلى رضى الله عنهما وكذا مابعدهما * لقوله عليه الصلوة والسلام * اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم رواه الدارمى وابن عدى وغيرهما

وقال

وقال ابن دقيق العيد فى عقيدته * ومانقل فيما شجر بينهم واختلفوا فيه فمنه ماهو باطل وكذب فلايلتفت اليه وماكان صحيحا اوّلناه تأويلا حسنا لان الثناء عليهم من الله سابق * ومانقل من الكلام اللاحق محتمل للتأويل والمشكوك والموهوم لايبطل المحقق والمعلوم هذا * وقال الشافعى رحمه الله * تلك دماء طهر الله ايدينا منها * فلانلوث السنتنا بها * وسئل احمد عن امر على وعايشة رضى الله تعالى عنهما فقال * تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولاتسئلون عما كانوا يعملون * وقال ابو حنيفة رضى الله عنه * لولا على لم نعرف السيرة فى الخوارج (ولا نكفر) بضم النون وكسر الفاء مخففا ومشددا اى لانتسب الى الكفر (مسلما بذنب من الذنوب) اى بارتكاب معصية كثيرة (وانكانت كبيرة) اى كما يكفر الخوارج مرتكب الكبيرة (اذا لم يستحلها) اى لكن اذا لم يعتقد حليتها لان من استحل معصية قد ثبتت حرمتها بدليل قطعى فهو كافر (ولا نزيل عنه اسم الايمان) اى ولانسقط عن المسلم بسبب ارتكاب كبيرة وصف الايمان كما يقوله المعتزلة حيث ذهبوا الى ان مرتكب الكبيرة يخرج عن ايمان ولايدخل فى الكفر فيثبتون المنزلة بين الكفر والايمان مع اتفاقهم على ان صاحب الكبيرة مخلد فى النار * واما ماروى عن ابى حنيفة رضى الله عنه انه قال لجهم اخرج عنى يا كافر * فمحمول على التشبيه ثم فى بسط الامام الكلام فى نفى تكفير ارباب الآثام من اهل القبلة ولو من اهل البدعة دلالة على ان سب الشيخين رضى الله عنهما ليس بكفر كما صححه ابو شكور السالمى ٢ فى تمهيده وذلك لعدم ثبوت مبناه وعدم تحقق معناه فان سب المسلم فسق كما فى حديث ثابت وحينئذ يستوى (الشيخان رضى الله عنهما) وغيرهما فى هذا الحكم ولانه لو فرض ان احد اقتل الشيخين بل والختنين (رضى الله عنهم) بوصف الجمع لايخرج عن كونه مسلما عند اهل السنة * ومن المعلوم ان السب دون القتل نعم لو استحل السب والقتل فهو كافر لامحالة وعلى تقدير ثبوت الحديث فيجب ان يؤل كما اوّل حديث * من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر * والحاصل ان الفسق والعصيان لايزيل الايمان ولايصير كافرا ولاواسطة * وكذا البدعة لاتزيل الايمان والمعرفة كانكار المعتزلة صفات الله وخلق افعال العباد وجواز رؤيته سبحانه فى المعاد * لانه مبنى على تاؤيل ولوكان على وجه الفساد الا التجسيم وانكار علم الله سبحانه بالجزئيات فانه يكفر بهما بالاجماع من غير النزاع * ففى شرح العقايد سب الصحابة والظن فيهم ان كان مما يخالف الادلة القطعية فكفر كقذف عائشة رضى الله عنها والا فبدعة وفسق * وهذا تصريح من العلامة ان سب الشيخين رضى الله عنهما ليس بكفر عند العامة * ثم قال وبالجملة لم ينقل عن السلف المجتهدين والعلماء الصالحين اللعن على معاوية واحزابه لان غاية امرهم البغى والخروج على الامام الحق وهو لايوجب اللعن * وانما اختلفوا فى يزيد بن معاوية حتى ذكر فى الخلاصة وغيره انه

٢ محمد ابن عبد السيد بن شعيب الكشى

لاينبغى اللعن عليه ولا على الحجاج لان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن لعن المصلين ومن كان من اهل القبلة ومانقل من لعنه عليه الصلوة والسلام لبعض اهل القبلة فلما انه علم من احوال الناس مالايعلمه غيره يعنى فلعله كان منافقا اوعلم انه يموت كافرا * وقال بعضهم اطلق اللعن عليه لما انه كفر حين امر بقتل الحسين رضى الله عنه انتهى * ولايخفى ما فى نقله حيث ابهم فى قاتله وتعليله ماياتى الى اثبات امره بقتل الحسين رضى الله عنه اولا ثم ترتب كفره عليه ثانيا وكلاهما ممنوع فقد قال حجة الاسلام فى الاحياء * فان قيل هل يجوز لعن يزيد لكونه قاتل الحسين رضى الله عنه او آمرا به * قلنا هذا امالا يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال قتله وامر به فضلا عن لعنه ولانه لايجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق بل لايجوز ان يقال ان ابن ملجم قتل عليا رضى الله عنه ولا ابو لولوة قتل عمر رضى الله عنه فان ذلك لم يثبت متواترا * ولايجوز ان يرمى مسلما بفسق وكفر من غير تحقيق وعلى الجملة ففى لعن الاشخاص خطر فليجتنب ولاخطر فى السكوت عن لعن ابليس فضلا عن غيره انتهى ولان الامر بقتل الحسين رضى الله عنه لايوجب الكفر فان قتل غير الانبياء كبيرة عند اهل السنة والجماعة الا ان يكون مستحلا وهو غير مختص بالحسين رضى الله عنه ونحوه مع ان الاستحلال امر لايطلع عليه الا ذو الجلال * وانما كان قتله نظير قتل عمار بن ياسر * واما مانفوه بعض الجهلة (من ان الحسين رضى الله عنه كان باغيا) فباطل عند اهل السنة والجماعة * ولعل هذا من هذيانات الخوارج عن الجادة ثم قال واتفقوا على جواز اللعن على من قتله او امر به او جازاه او رضى به ففيه بحث لانه مع كونه بظاهره مناقضا لما قدمه من بيان الخلاف ان اراد جواز اللعن الاجمالى بان يقال لعنة الله على قاتل الحسين رضى الله عنه او الراضى به فلا كلام فيه لقوله تعالى * الا لعنة الله على الظالمين * ولقول عليه الصلوة والسلام لعن الله آكل الربوا وموكله * والسر فيه ان ذلك ليس لعنا على احد فى الحقيقة * بل هو نهى عن القتل الذى يترتب اللعن عليه وبيان لقبحه ٢ وابعاد فاعله من رحمة الله وشفاعة رسوله وان اراد جواز اللعن الشخصى فقد تقدم عدم جوازه بلا اختلاف فيه فضلا عن اتفاقه * ثم قال بطريق المحاكمة فى المقال والحق ان رضى يزيد بقتل الحسين رضى الله عنه واستبشاره بذلك اهانة اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم مما تواتر معناه وان كان تفاصيلها آحادا فنحن لانتوقف فى شأنه بل فى ايمانه لعنة الله عليه وعلى انصاره وعلى اعوانه * ولايخفى * ان قوله والحق بعد نقله الاتفاق ليس فى محله مع ان الرضى بقتل الحسين رضى الله عنه ليس بكفر كما سبق من ان قتله لايوجب الخروج من الايمان بل هو فسق وخروج عن الطاعة الى العصيان * ثم دعواه انه مما تواتر معناه فقد سبق انه لايثبت اصلا فضلا عن التواتر قطعا * ثم قوله لانتوقف فى شأنه بل فى ايمانه * فقد علم مما تقدم انه كان مسلما ولم يثبت عنه مايخرجه عن كونه مؤمنا مع ان الاستحلال الموجب للكفر امر باطنى لايعلمه الا الله فعدم توقفه ووجود جرأته خارج عن مقتضى عقله وعدالته

٢ واجاب بعض

والعليم

وكمال علمه وجمال ديانته على ان العبرة بالخواتيم * قال ابن الهمام * واختلف فى اكفار يزيد قيل نعم * يعنى لما روى عنه ما يدل على كفره من تحليل الخمر ومن تفوهه بعد قتل الحسين رضى الله عنه واصحابه انى جازيتهم بما فعلوا باشياخ قريش وصناديدهم فى بدر وامثال ذلك * ولعله وجه ما قال الامام احمد بتكفيره لما ثبت عنده نقل تقريره * لالما وقع منه عن الاجتراء على الذرية الطاهرة كالامر بقتل الحسين رضى الله عنه وما جرى مما ينبو عن سماعه الطبع ويصم مما ذكره السمع كما علله به شارح كلامه فانه ليس على وقف مرامه كما قدمناه فى لعنه * وقيل لا * اذ لم يثبت لنا عنه تلك الاسباب الموجبة اى لكفره وحقيقة الامر التوقف فيه وارجاع امره الى الله سبحانه * وقال القونوى رحمه الله فى شرح عمدة النسفى ولا يلعن صاحب الكبيرة لان ايمانه معه ولم ينقص بارتكابه الكبيرة والمؤمن لا يجوز لعنه انتهى * ولا يخفى ان ايمان يزيد تحقق ولا يثبت كفره بدليل ظنى فضلا عن قطعى فلا يجوز لعنه بخصوصه واما ما نقل القونوى ره حيث قال * قد ذكر ابو حنيفة ره فى الفقه الاكبر ان اباحنيفة ره سئل عن الخوارج المحكم فقال هم اخبث الخوارج فقيل اتكفرهم فقال لا ولكن نقاتلهم على ما قاتلهم الائمة من اهل الخير كعلى ابن ابى طالب رضى الله عنه وعمر بن عبد العزيز فما وجدناه فى النسخ المصححة والاصول المعتبرة * ثم قال القونوى ره وفى قوله بذنب اشارة الى تكفيره بفساد اعتقاده كفساد اعتقاد المجسمة والمشبهة والقدرية ونحوهم لان ذلك لا يسمى ذنبا والكلام فى الذنب انتهى * ولا يخفى ان اعتقاد القدرية لا يعد من الامور الكفرية بل يعد من كبائر الذنوب واقبحها حيث لا توبة للمبتدع (ونسميه) اى مرتكب الكبيرة (مؤمنا حقيقة) اى لا مجازا لان الايمان هو التصديق بالجنان والاقرار باللسان * واما العمل بالاركان فهو من كمال الايمان وجمال الاحسان عند اهل السنة والجماعة وشرط اوشطر عند الخوارج والمعتزلة فهذا منشاء الخلاف فى المسئلة (ويجوز ان يكون) اى الشخص (مؤمنا) اى بتصديقه واقراره (فاسقا) اى بعصيانه واصراره (غير كافر) اى لثباته فى مقام اعتباره واصل هذه المنازعة (ان رئيس المعتزلة واصل ابن عطا اعتزل) عن مجلس الحسن البصرى فقرر ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر ويثبت المنزلة بين المنزلتين فقال الحسن البصرى قد اعتزل عنا فسموا المعتزلة وهم سموا انفسهم اصحاب العدل والتوحيد لقولهم بوجوب ثواب المطيع وعقاب العاصى على الله سبحانه ونفى الصفات القديمة عنه ثم انهم توغلوا فى علم الكلام وتشبثوا باذيال الفلاسفة فى كثير من الاصول وشاع مذهبهم فيما بين الناس الى ان قال الشيخ ابو الحسن الاشعرى لاستاذه ابى على الجبائى (ما تقول فى حق ثلثة اخوة) مات احدهم مطيعا * والآخر عاصيا * والثالث صغيرا * فقال الاول يثاب بالجنة * والثانى يعاقب بالنار والثالث * لا يعاقب ولا يثاب * قالا الاشعرى * فان قال الثالث يا رب لم امتنى

صغيرا وما ابقيتنى الى ان اكبر فاؤمن بك واطيعك فادخل الجنة * فقال يقول الرب انى كنت اعلم منك انك لو كبرت لعصيت فدخلت النار فكان الاصلح لك ان تموت صغيرا * قال الاشعرى فان قال الثانى * يارب لم لم تمتنى صغيرا لئلا اعصى فلا ادخل النار ماذا يقول الرب * فبهت الجبائى فترك الاشعرى مذهبه واشتغل هو ومن تبعه بابطال رأى المعتزلة واثبات ما ورد به السنة ومضى عليه الجماعة فسموا اهل السنة والجماعة * ثم لما نقلت الفلسفة الى العربية وخاض فيها الطبقة الاسلامية حاولوا الرد على الفلاسفة والحكماء الطبيعية فيما خالفوا فيها الشريعة الحنيفية فخلطوا بعلم الكلام كثيرا من الفلسفة فى مقام المرام ليتحققوا مقاصدها فيتمكنوا من ابطالها وردها وهلم جرا الى ان ادرجوا فيه معظم الطبيعيات والالهيات والرياضيات حتى كاد لا يتميز عن الفلسفيات لولا اشتماله على السمعيات * فصار بهذا الاعتبار مذموما عند العلماء بالكتاب والسنة اللذين يكتفى بهما فى امر الدين من النقليات والعقليات * ثم اعلم ان القونوى ره ذكر ان ابا حنيفة ره كان يسمى مرجيا لتأخيره امر صاحب الكبيرة الى مشية الله تعالى والارجاء التأخير وكان يقول انى ارجو لصاحب الذنب الكبير والصغير واخاف على الذنب الكبير انتهى * واما ما وقع فى الغنية للشيخ عبد القادر الجيلانى رحمه الله من ذكر الفرق الغير الناجية حيث قال ومنهم القدرية وذكر اصنافا منهم ثم قال ومنهم الحنفية وهم اصحاب ابى حنيفة (رحمه الله) نعمان بن ثابت زعموا ان الايمان هو المعرفة والاقرار بالله ورسوله وبما جاء من عنده وهى جملة ما ذكر البرهونى فى كتاب الشجرة فهو اعتقاد فاسد وقول كاسد مخالف لاعتقاده فى الفقه الاكبر * وما نقله اصحابه انه يقول الايمان هو مجرد التصديق دون الاقرار فانه شرط عنده لاجراء احكام الاسلام مناقض لسائر كتب العقايد الموضوعة للخلائق بين اهل السنة والجماعة وبين المعتزلة واهل البدعة مع ان الايمان هو المعرفة والاقرار هو المذهب المختار بل هو اولى من ان يقال الايمان هو التصديق والاقرار لان التصديق الناشى من التقليد دون التحقيق مختلف فى قبوله بخلاف المعرفة الناشية عن الدلالة مع الاقرار او بالاقرار دون المعرفة فهو فى محل النزاع كما قاله بعض اهل الابتداع ثم المرجية المذمومة من المبتدعة ليسوا من القدرية بل هم طائفة قالوا لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة فزعموا ان احدا من المسلمين لا يعاقب على شئ من الكبائر فاين هذا الارجاء من ذلك الارجاء * ثم قول ابى حنيفة رحمه الله مطابق لنص القرآن * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * بخلاف المرجيه حيث لا يجعلون الذنوب مما عدا الكفر تحت المشية (وبخلاف المعتزلة) حيث يوجبون العقوبة على الكبيرة (وبخلاف الخوارج) حيث يخرجون صاحب الكبيرة والصغيرة من الايمان * ثم اعلم (ان مذهب المرجية) ان اهل النار اذا دخلوا النار فانهم يكونون فى النار بلا عذاب كالحوت فى الماء الا ان الفرق بين الكافر والمؤمن ان للمؤمن استمتاعا فى الجنة يأكل ويشرب واهل النار فى النار ليس لهم

استمتاع

استمتاع اكل وشرب وهذا القول باطل بالكتاب والسنة واجماع الائمة من اهل السنة والجماعة وسائر المبتدعة كما يدل عليه قوله تعالى وهم يصطرخون فيها * وقوله كلما نضجت جلودهم * وقوله لا يخفف عنهم العذاب * وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وغير ذلك من الآيات والاحاديث البينات * واما ما روى عنه صلى الله عليه وسلم من انه سيأتى على جهنم يوم تصفق الريح ابوابها وليس فيها احد * واستدل به الجهمية وهى المرجية الصرفة على فناء اهل النار ففيه ان الحديث على تقدير صحته لا يعارض النصوص القاطعة مع انه مؤول بان المراد بجهنم طبقة من طبقاتها المختصة بعصاة المؤمنين فانهم اذا خرجوا منها وذهبوا الى الجنة تبقى صحراء ليس احد فيها (والمسح على الخفين) اى للمقيم يوما وليلة وللمسافر ثلثة ايام ولياليها (سنة) اى ثابت بالسنة التى كادت ان تكون متواترة * ولا يبعد ان يؤخذ ثبوته من الكتاب ايضا لان قوله تعالى وارجلكم الى الكعبين قرئ بالنصب الاظهر فى الغسل (والجر) الاظهر فى المسح وهما متعارضان وبحسب الحكم بهما فبينهما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث مسحهما حال لبس الخفين وغسلهما عند كشف الرجلين (والتراويح) اى صلوتها (فى شهر رمضان) اى باصلها الماثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه صلاها فى ليال ثم تركها شفقة على الامة ان لا تجب على العامة او يحسبوها انها واجبة * واما قول عمر رضى الله عنه فى حقها نعمت البدعة فانما هو باعتبار احيائها او بسبب الاجتماع عليها بعد ما كان الناس يتفردون بها مع انه صلى الله عليه وسلم قال عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين ثم خص ابا بكر وعمر رضى الله عنهما بقوله * اقتدوا بالذين من بعدى * وفيه وفيما قبله رد على الروافض وكذا فى قوله (والصلوة خلف كل بر ٢ وفاجر) اى صالح وطالح (الى المؤمنين جائزة) اى لقوله عليه السلام * صلوا خلف كل بر وفاجر * اخرجه الدار قطنى عن ابى هريرة وكذا البيهقى وزاد قوله وصلوا على بر وفاجر وجاهدوا مع كل بر وفاجر * فمن ترك الجمعة والجماعة خلف الامام الفاجر فهو مبتدع عند اكثر العلماء * والصحيح انه يصليها ولا يعيدها ولان ابن مسعود رضى الله عنه وغيره يصلون خلف الوليد بن عقبة ابن ابى معيط وكان يشرب الخمر حتى انه صلى بهم الصبح مرة اربعا ثم قال ازيدكم فقال ابن مسعود ره ما زلنا منك منذ اليوم فى زيادة * وفى المنتقى سئل ابو حنيفة ره عن مذهب اهل السنة والجماعة فقال ان تفضل الشيخين (اى ابا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما (وتحب الختنين ٢) اى عثمان وعلى رضى الله عنهما * وترى المسح على الخفين * وتصلى خلف كل بر وفاجر * وقال فى الوصية ثم نقر بان افضل هذه الامة يعنى وهم خير الامم بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم * ابو بكر * ثم عمر * ثم عثمان * ثم على رضوان الله عليهم اجمعين لقوله تعالى * والسابقون السابقون اولئك المقربون فى جنات النعيم * وكل من اسبق اى فى الخلافة فهو افضل ويحبهم كل مؤمن تقى ويبغضهم كل منافق شقى * ثم قال ونقر بان المسح على الخفين جائز للمقيم يوما وليلة

٢ البر بفتح الباء وتشديد الراء بمعنى البار (مصححه)

٢ الختن بفتحى الخاء والتاء

وللمسافر ثلثة ايام ولياليها الان الحديث ورد هكذا ومن انكر فانه يخشى عليه الكفر لانه قريب بالخبر المتواتر اى اللفظى والافهو الخبر المتواتر المعنوى * ثم قال والقصر والافطار رخصة فى السفر بنص الكتاب بقوله تعالى * واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة * وفى الافطار قوله تعالى * فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر انتهى * والرخصة فى الآية الاولى واجبة العمل لقوله عليه الصلوة والسلام صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ولهذا اذا صلى المسافر اربعا يكون مسيئا * واما الرخصة فى الآية الثانية فغير ظاهرة بحسب الدلالة بل الظاهرية ذهبوا الى وجوب ترك الصوم هنالك وقضائه بعد ذلك وانما الرخصة مستفادة من قوله * وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون ومن الاخبار التى تثبت جواز الافطار فى الاسفار اى (ولا نقول) اى بحسب الاعتقاد (ان المؤمن لا يضره الذنوب) اى ارتكاب المعصية بعد حصول الايمان والمعرفة (وانه) اى المؤمن المذنب (لا يدخل النار) كما يقوله المرجئية والملاحدة والاباحية (ولا انه) اى ولا نقول ان المؤمن المذنب (يخلد فيها وان كان فاسقا) اى بارتكاب الكبائر جميعها (بعد ان يخرج من الدنيا مؤمنا) اى مقرونا بحسن الخاتمة خلافا لما يقوله المعتزلة وذلك لان صاحب المعصية تحت المشية عند اهل السنة لقوله تعالى * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * اى من غير توبة والافهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويغفر بها الشرك وغيره بمقتضى وعده واخباره * خلافا للمعتزلة حيث يقولون يجب على الله تعالى عقاب العاصى وثواب المطيع وقبول التوبة وامثالها * واما قول التفتازانى فى شرح العقايد عند قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من الصغائر والكبائر مع التوبة او بدونها خلافا للمعتزلة * ففيه ان قوله مع التوبة سهو قلم وليس فى محله من جهتين حيث خالف الطائفتين لان المشية بدون التوبة محل خلافى المعتزلة * واما معها فلا خلاف فى المسئلة كما صرح فى شرح المقاصد بانهم اجمعوا على ان لا عذاب على التائب لما صح فى الحديث * التائب من الذنب كمن لا ذنب له * ولقوله تعالى * وهو الذى يقبل التوبة عن عباده * ثم لا نزاع فى ان المعاصى ما جعله الشارع امارة التكذيب وعلم كونه كذلك بالادلة الشرعية كسجود الصنم والقاء المصحف فى القاذورات والتلفظ بكلمة الكفر ونحو ذلك مما ثبت بالادلة انه كفر * وبهذا يندفع ما يقال ان الايمان اذا كان عبارة عن التصديق والاقرار فينبغى ان لا يصير المقر (باللسان) المصدق (بالجنان) كافرا بشئ من افعال الكفر والفاظه مالم يتحقق منه التكذيب او الشك * واما احتجاج المعتزلة بان الامة بعد اتفاقهم على ان مرتكب الكبيرة فاسق اختلفوا فى انه مؤمن (وهو مذهب اهل السنة) او كافر (وهو قول الخوارج) او منافق (وهو قول الحسن البصرى) فاخذنا بالمتفق عليه وتركنا المختلف فيه وقلنا هو فاسق ليس بمؤمن ولا كافر ولا منافق فمدفوع بان هذا احداث القول المخالف لما اجمع عليه السلف من عدم المنزلة بين المنزلتين فيكون

باطلا

باطلا على ان الحسن البصرى رحمه الله رجع عنه آخرا كما صرح به فى البداية * والحاصل ان المعتزلة والخوارج خوارج عما انعقد عليه الاجماع فلا اعتداد بهم (ولا نقول ان حسناتنا مقبولة) اى مبرورة (وسيآتنا مغفورة) اى البتة (كقول المرجئة) بالهمزة والياء (ولكن نقول) اى بل نعتقد المسئلة مبينة مفصلة كما اوضحه بقوله (من عمل حسنة بشرايطها) اى بجميع شرايطها كما فى نسخة اى واقعة بجميع مصححاتها فى الابتداء (خالية عن العيوب المفسدة) اى الظاهرة (والمعانى المبطلة) اى الباطلة فى الانتهاء كالكفر والعجب والرياء لقوله تعالى (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) وقوله تعالى (ياايها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس * واما قول الشارح وكالاخلاق السيئة وغيرها من المعصية فهو غير جائز على مذهب اهل السنة بل مبنى على قواعد المعتزلة * ثم ما ورد من نحو قوله عليه الصلوة والسلام * الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب * فمأول بان الحسد غالبا يحمل الحاسد على ارتكاب سيآت بالنسبة الى المحسود فيعطى له من حسنات يعملها الحاسد فى اليوم الموعود (ولم يبطلها) تاكيد لما قبلها وتأييد لمتعلق ما بعدها (حتى خرج من الدنيا) وفيه ايماء الى انه مادام فيها فهو فى خطر عن ابطال الطاعة او فسادها (فان الله تعالى لا يضيعها) بتخفيف الياء وتشديدها وذلك لقوله تعالى (ان الله لا يضيع اجر المحسنين) وفى آية لا يضيع اجر المحسنين المؤمنين (بل يقبلها منه) اى بفضله وكرمه (ويثيبه عليها) اى بمقتضى وعده وحكمه (وما كان من السيآت) اى المعاصى جميعها (دون الشرك) اى الاشراك بالله خصوصا (والكفر) اى عموما (ولم يتب عنها) اى عن السيآت صغيرها وكبيرها دون ما استثنى عنها حتى مات مؤمنا اى غير تائب (فانه فى مشية الله) اى تحت تعلق ارادته سبحانه بعذابه منها وعفوه عنها كما بينه بقوله (ان شاء عذبه) اى بعدله على قدر استحقاق عقابه (وان شاء عفا عنه) اى بفضله ولو وقع شافعة فى بابه (ولم يعذبه بالنار ابدا) بل يدخله الجنة ويجعله فيها مخلدا (والرياء) فى معناه السمعة وقد توسع فى اطلاق احدهما وارادة كل منهما لمآل امرهما الى عدم الاخلاص حيث المرائى يظهر العمل ليراه الناس ويستحسنونه فى مقام الايناس والمسمع يفعل الفعل ليسمعه الخلق وليس فى غرضه رضى الحق (اذا وقع فى عمل من الاعمال) اى فى ابتدائه اواثنائه قبل الاكمال (فانه يبطل اجره) اى اجر ذلك العمل بل

يثبت وزره حيث ظلم على نفسه لوضع الشيء في غير موضعه قال الله تعالى * من كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا * اى لا شركا جليا ولا خفيا * وفيه ايماء الى انه اذا قصد الرياء والسمعة وقصد الطاعة والعبادة جميعا بوصف الشركة مطلقا بغلبة احدهما على الآخر او التسوية بينهما فانه يبطل اجره ويثبت وزره لعموم حديث * من كان اشرك احدا في عمل عمله لله فليطلب ثوابه ممن سواه فان الله اغنى الاغنياء عن الشرك وكذا حديث * لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من الرياء (وكذا العجب) اى وكذا حكم العجب في انه يبطل اجر العمل الذى وقع منه العجب * وفي اختصار حكم الامام على الرياء والعجب دون سائر الآثام اشعار بان باقي السيآت لا تبطل الحسنات بل كما قال الله الله تعالى * ان الحسنات يذهبن السيآت * وذلك للحديث القدسى * سبقت رحمتى على غضبى * وقد خالفه شارح حيث قال وكذا غيرهما اى من الاخلاق السيئة يبطل اجور الاعمال الحسنة * واستدل بقوله عليه الصلوة والسلام خمس يفطرن الصيام * الغيبة * والكذب * والنميمة * واليمين الكاذب * والنظر بشهوة * ولم يعرف تاويل الحديث بان المراد به ان يفطر كمال الصوم ويبطل جماله لا اصله فان النظر بشهوة صغيرة وهو لا يبطل العمل لا عند اهل السنة والجماعة ولا عند المعتزلة * واما استدلاله بقوله عليه الصلوة والسلام * سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل * فمدفوع لان الحديث مؤول بان سوء خلقه من ريائه وعجبه يفسد ثواب عمله جمعا بين الادلة كما هو مقتضى مذهب اهل السنة والجماعة (والآيات) اى خوارق العادات المسماة بالمعجزات (للانبياء والكرامات للاولياء حق) اى ثابت بالكتاب والسنة * ولا عبرة بمخالفة المعتزلة واهل البدعة في انكار الكرامة * والفرق بينهما ان المعجزة امر خارق للعادة كاحياء ميت واعدام الجبل على وفق التحدى وهو دعوة الرسالة فخرج غير الخارق كطلوع الشمس من مشرقها كل يوم والخارق على خلافه بان يدعى نطق طفل بتصديقه فنطق بتكذيبه كما وقع ٢ للدجال والكرامة خارقة للعادة الا انها غير مقرونة بالتحدى وهو كرامة للولى وعلامة لصدق النبى صلى الله عليه وسلم فان كرامة التابع كرامة للمتبوع والولى هو العارف بالله وصفاته مايمكن له المواظب على الطاعات المجتنب عن السيآت المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات والغفلات واللهوات * وذلك كما وقع من جريان النيل بكتاب عمر رضى الله عنه ورؤيته على المنبر بالمدينة جيشه بتهاوند حتى قال لامير الجيش باشارته * الجبل الجبل * محذر اله من وراء الجبل لكون العدو هنالك وسماع سارية كلامه مع بعد المسافة وكشرب خالد السم من غير تضرر به وكذا ماوقع لغيره من الصحابة ومن عداهم من اهل السنة وخالفهم المعتزلة حيث لم يشاهدوا فيما بينهم هذه المنزلة * واما الشيعة فخصوا الكرامات بالائمة الاثنى عشرة من غير

دلالة

دلالة الخصوصية * ثم ظاهر كلام الامام فى هذا المقام موافق لما عليه جمهور علماء الاعلام من ان كل ما جاز ان يكون معجزة للنبى جاز ان يكون كرامة للولى لافارق بينهما الا التحدى خلافا للقشيرى ومن تبعه كابن السبكى حيث قالا * الانحو ولد دون والد وقلب جماد بهيمة فلا تكون كرامة هذا والكتاب ينطق بظهور الكرامة من مريم ومن صاحب سليمان عليه السلام * واما ماقيل من ان الاول ارهاص لنبوة عيسى عليه السلام اومعجزة لزكريا عليه السلام والثانية معجزة لسليمان عليه السلام فمدفوع * بانا لاندعى الا جواز الخارق لبعض الصالحين غير مقرون بدعوة النبوة ولايضر نا تسميته ارهاصا اومعجزة لنبى هو من امته سابقا اولاحقا وسياق القصص يدل على انه لو لم يكن هنالك دعوة النبوة بل ولم يكن لزكريا علم بتلك القضية والالما سأل عن الكيفية * والحاصل ان الامر الخارق للعادة فهو بالنسبة الى النبى معجزة سواء ظهر من قبله اوقبل امته لدلالته على صدق نبوته وحقيقة رسالته فبهذا الاعتبار جعل معجزة له والا فحقيقة المعجزة ان تكون مقارنة للتحدى على يد مدعى النبوة وبالنسبة الى الولى كرامة * قال ابو على الجوزجانى كن طالبا للاستقامة * لاطالبا للكرامة * فان نفسك متحركة فى طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة وقال الشيخ السهروردى فى عوارفه * وهذا اصل كبير فى الباب فان كثيرا من المجتهدين المتعبدين ١ سمعوا اسلف الصالحين ٢ المستورين ومامنحوا به من الكرامات وخوارق العادات فنفوسهم لاتزال تطلع الى شئ من ذلك ويحبون ان يرزقوا شيئا منه * ولعل احدهم يبقى منكس القلب متهما لنفسه فى صحة عمله حيث لم يحصل له خارق * ولو علموا سر ذلك لهان عليهم الامر * فيعلم ان الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك بابا والحكمة فيه ان يزدادما يرى من خوارق العادة وآثار القدرة يقينا فيقوى عزمه على الزهد فى الدنيا والخروج عن دواعى الهوى فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة فهو كالكرامة انتهى * والحاصل * ان كشف العلم بالامور الشرعية * خير من كشف العلم بالامور الكونية مع ان عدم الاول ونقصانه مضرة فى الدين بخلاف عدم الثانى بل ربما يكون عدمه انفع له ثم اعلم انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * اتقوا ٣ فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله * ثم قرأ قوله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين * اى المتفرسين * رواه الترمذى من رواية ابى سعيد الخدرى رحمه الله * ومما ينبغى التنبيه عليه ههنا ان الفراسة ثلثة انواع ايمانية وسببها نور يقذفه الله فى قلب ٤ المؤمن وحقيقتها انها خاطر يهجم على القلب ويثب عليه كوثوب الاسد على الفريسة ومنها اشتقاقه * وهذه الفراسة على حسب قوة الايمان فمن كان اقوى ايمانا فهو احد فراسته قال ابو سليمان الدارانى الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب وهى من مقامات الايمان انتهى * وفراسة رياضية * وهى التى تحصل بالجوع والسهر والتخلى فان النفس اذا تجردت عن العوايق والعلايق بالخلايق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها * وهذه فراسة مشتركة بين

١ سموا ٢ المتحدثين ٣ الفراسة بكسر الفاء ٤ عبد

المؤمن والكافر ولا تدل على ايمان ولا على ولاية ولا تكشف عن حق نافع ولا عن طريق مستقيم بل كشفها من جنس فراسة الولاة واصحاب عبارة الرؤيا والاطباء ونحوهم * وفراسة ١ خليقة وهي التي صنف فيها الاطباء وغيرهم * واستدلوا بالخلق على الخلق لما بينهما من الارتباط التي اقتضته حكمة الله كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل وبكبره على كبره وبسعة الصدر على سعة الخلق وبضيقه على ضيقه وبخمود العينين وكلال نظرهما على بلادة صاحبها وضعف جرادة قلبه ونحو ذلك (واما التي تكون) اى خوارق العادة التي (لاعدائه) اى لاعداء الله سبحانه (مثل ابليس) اى في طي الارض له حتى يوسوس من في الشرق والغرب وفي جريه مجرى الدم لبني آدم ونحو ذلك (وفرعون) اى حيث كان يأمر لنيل بان تجرى على وفق حكمه كما اشار اليه سبحانه حكاية عنه * اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى * وحيث حكى عنه اذا اراد ان يصعد قصره او ينزل عنه ركبا كان يطول قدما فرسه ويقصران على وفق غرضه (والدجال) حيث وردانه يقتل شخصا ويحييه (مما روى في الاخبار) اى الاحاديث والآثار (انه كان) اى بعض الخوارق (لهم) اى ولا مثالهم وفي نسخة يكون لهم نظر الى ان خرق العادة للدجال انما يكون في حال الاستقبال (فلا نسميها) اى تلك الخوارق (ايات) اى معجزات لانها مختصة بالانبياء (ولا كرامات) اى لاختصاصها بالاصفياء (ولكن نسميها قضاء حاجات لهم) اى للاعداء من الاغبياء اعم من الكفار والفجار (وذلك) اى ما ذكر من ان الخوارق للعادات (قد تكون للاعداء) وفق قضاء الحاجات (لان الله تعالى) اى لعموم كرمه وجوده في عباده (يقضي حاجات اعدائه استدراجا لهم) اى مكرا بهم في الدنيا (وعقوبة لهم) في العقبى كما قال الله تعالى * سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اى نستدنيهم ونستقربهم الى العقوبة والنقمة باكثار النعمة واطالة المدة ليتوهموا ان ذلك تقريب من الله واحسان وانما هو تبعيد وخذلان * ففي الحديث * اذا رايت الله يعطي العبد ما يحب من النعمة وهو مقيم على المعصية فانما ذلك استدراج * ثم تلا هذه الآية * فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شئ (اى من النعم) حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون * اى متحيرون آيسون لان العقوبة فجاءة في حال النعمة اشد في الصعوبة فيكون كثرة نعمتهم الصورية موجبة نقمتهم الاخروية (فيغترون به) اى حيث يحسبونه احسانا (ويزدادون ٢ عصيانا) اى ان كانوا (فجارا او كفارا) اى ان كانوا كفارا فاو للتنويع وفي نسخة ويزدادون كفرا وطغيانا يعنى كما وقع لفرعون حيث

١ فلسفية

٢ فيغترون

عاش اربعمائة سنة ولم تنكسر فى مطبخه قصعه (وذلك كله جائز) اى وقوعه من الله اوثابت نقلا (وممكن) ان عقلا كما فى قصة ابليس ودعوته بقوله انظرنى الى يوم يبعثون واجابته بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم * ففى الجمله استجيب دعاؤه حيث اريد اغواؤه فانه رئيس ارباب الضلالة كما ان نبينا صلى الله عليه وسلم رئيس اصحاب الهداية فالاول من مظاهر الجلال والثانى من مظاهر الجمال ولابد منهما لظهور نور نعت الكمال ولذا قال الشيخ ابو مدين المغربى ﴿شعر﴾ لاتنكر الباطل فى طوره * فانه من بعض ظهوراته * يعنى باعتبارات تجليات صفاته فى مرائى مصنوعاته وانما جمع الامام بين ابليس وفرعون ذى التلبيس * مما روى عن السدى بلغنا ان جبرائيل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابغضت عبدا من عباد الله مثل ما ابغضت عبدين احدهما من الجن والآخر من الانس * اما الذى من الجن فابليس حين ابى ان يسجد لآدم * واما الذى من الانس ففرعون حين قال انا ربكم الاعلى * واقول بل فرعون اشد من ابليس لوجهين * احدهما * انه من نسل الانسان وظهر منه هذا الطغيان (وابليس من الجن) ولايبعد منهم ظهور العصيان * وثانيهما * ان ابليس ترك السجدة لغير الله استحقارا * وفرعون ادعى الربوبية استكبارا * ومن الغريب * ان الشيطان يغوى الانسان بعبادة غير الرحمن * ولم يأمر بعبادة نفسه فى زمان الطغيان * ولعل ذلك لكمال تنفره عن قلوب الانسان * اولكونه عارفا الا انه يوعد عن مقام الاحسان (ومن اللطايف) الملحقة بالظرايف * ان ابليس دق باب قصر فرعون حيث لم يكن عنده احد من اصحاب العون فقال من هذا على الباب * فضحك وقال فى الجواب الضرطة فى ذقن من يدعى الالوهية والربوبية ولم يدر من يقف على بابه من الرعية وارباب العبودية هذا * وقد يكون خرق العادة اهانة بان يقع على خلاف الارادة كما نقل ان مسيلمة الكذاب دعى للاعور ان تصير عينه العور أسليمة فصارت عينه الصحيحة عور أسقيمة * واعلم ان ظهور خرق العادة بطريق الموافقة على يد المتأله جائز دون المتنبى لان ظهوره على يد المتنبى يوجب انسداد باب معرفة النبى فاما ظهوره على يد المتاله يوجب انسداد معرفة الاله ان كل عاقل يعرف ان المدعى المشتمل على دلالة الحدوث وسماة القصور لايكون الها وان رؤى عنه الف خارق العادة * (ثم الناقض للعادة) كما يكون فعلا غير معتاد يكون تعجيزا عن الفعل المعتاد كمنع زكريا عليه السلام عن الكلام اذ المنع عن المعتاد نقض العادة ايضا اذ لم يكن عن علة ولذا كان سكوته الا رمز الآية دالة على تحقق الولد ويسمى معجزة (وكان الله خالقا قبل ان يخلق) اى يحدث المخلوق (ورازقا قبل ان يرزق) اى يوجد المرزوق فهما من قبيل اطلاق المشتق قبل وجود المعنى المشتق منه (ولعل الامام كرر هذا المرام للانام للاعلام بان هذا هو المعتقد الصحيح الذى يجب ان يعتقده الخواص والعوام * وقال

مسيلمة بكسر اللام ومن فتحها فهو اكذب منه (تحفة الاعالى شرح الامالى)

الزركشى اطلاق نحو الخالق والرازق حقيقة وان قلنا ان صفات الفعل حادثة * وايضا لو كان مجازا لصح نفيه والحال ان القول بانه ليس خالقا ولا رازقا فى الازل امر مستهجر لا يقال مثله ولا يصح دفعه بانه لا يقال اوجد المخلوق فى الازل حقيقة لانه يؤدى الى قدم المخلوق فان الفرق بينهما بين بل قوله اوجد المخلوق الى آخره بنفسه دليل عين حيث يشير الى حدوثه الى انه غير واقع فى محله (والله تعالى يرى) بصيغة المجهول * اى ينظر اليه بعين البصر (فى الاخرة) اى يوم القيمة لقوله تعالى * وجوه يومئذ ناضرة * اى حسنة منعمة * الى ربها ناظرة * ولقوله تعالى * كلا انهم * اى عن ربهم يومئذ لمحجوبون * اى بخلاف الابرار فانهم فى نظر ربهم مقربون * ولقوله صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيحين وغيرهما * انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته وفى رواية لا تضارون وهو حديث مشهور فى الصحيحين وغيرهما مذكور وقد رواه احد وعشرون من اكابر الصحابة رضى الله عنهم (ويراه المؤمنون وهم فى الجنة) لقوله عليه الصلوة والسلام على ما رواه مسلم * اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى اتريدون شيئا ازيدكم فيقولون * الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار (قال) فيرفع الحجاب اى من وجوه اهل الجنة فينظرون الى وجه الله سبحانه فما اعطوا شيأ احب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا * للذين احسنوا الحسنى (اى الجنة العليا) وزيادة * اى النظر الى المولى (بلا تشبيه) اى رؤية مقرونة بتنزيه لا بكينونة بتشبيه (ولا كيفية) اى فى الصورة ولا كمية فى الهيئة المنظورة (ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة) اى لا فى غاية من القرب ولا نهاية من البعد ولا بوصف الاتصال ولا بمنعت الانفصال ولا بالحلول والاتحاد كما يقوله الوجودية المايلين الى الاتحاد فذات رؤيته ثابتة بالكتاب والسنة الا انها متشابهة من حيث الجهة والكمية والكيفية فتثبت ما اثبت النقل ونفى عنه ما ينزهه العقل كما اشار الى هذا المعنى قوله تعالى * لا تدركه الابصار اى لا تحيط الابصار فى مقام الابصار والتشابه فيما يرجع الى الوصف الذى يمنعه العقل لا يقدح فى العلم بالاصل المطابق للنقل * وقال فى الوصية ولقاء الله تعالى لاهل الجنة بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة حق انتهى * والمعنى انه يحصل النظر بانه ينكشف انكشافا تاما بالبصر منزها عن المقابلة والجهة والهيئة فهو امر زايد على صفة العلم فانا اذا نظرنا الى البدر مثلا بعين البصر ثم غمضنا العين عن النظر فلا خفاء فى انه وان كان منكشفا لدينا فى الحالين لكن انكشافه فى حال النظر اليه اتم واكمل * وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم * ليس الخبر كالمعاينة * وقول * ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبى * فان العين اليقين رتبة فوق العلم اليقين * ومن ههنا موسى عليه السلام قال رب ارنى انظر اليك * والحاصل ان رؤيته تكون على وجه خارق العادة من غير اعتبار المقابلة لهذه الحاسة كما روى عنه صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم فانى اراكم من وراء ظهرى على ما رواه الشيخان

وكما

وكما يرانا الله تعالى اتفاقا فان الرؤية نسبة خاصة بين طرفى الرأى والمرائى ومتعلقى رؤيتهما *قال الفخر الرازى مذهبنا فى هذه المسئلة ما اختاره الشيخ ابو منصور الماتريدى اما انا نتمسك بالدلايل السمعية فى اثبات مذهبنا فانه اسرع فى الزام الخصوم واظهر فى تفهيم العوام* واذا ذكر الخصوم شبهتهم على هذه الدلايل النقلية نعارضهم بالعقول على وجه الدفع والرد هذا *وذهبت طائفة من مثبتى الرؤية باستحالة رؤية الله فى المنام* منهم الشيخ ابو منصور الماتريدى قيل وعليه المحققون واحتجوا بان ما يرى فى المنام خيال ومنال والله تعالى منزه من ذلك* وجوزها بعض اصحابنا لكن بلا كيفية وكمية وجهة ومقابلة وخيال ومثال متمسكين بالمحكى عن السلف كما روى عن ابى يزيد فى انه قال رايت ربى فى المنام فقلت كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال* وقيل رأى احمد بن حضرويه ٢ ربه فى المنام فقال يا احمد كل الناس يطلبون منى الا ابا يزيد فانه يطلبنى ولعل سببه انه قيل لابى يزيد ما تريد فقال اريد ان لا اريد *وروى عن حمزة الزيات وابى الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى ومحمد بن على الحكيم الترمذى والعلامة شمس الائمة الكردرى انتم راوه وسيأتى الكلام فى بعض ما يتعلق بهذه المسئلة على وجه التكملة * واما قول قاضيخان ان ترك الكلام فى هذه المسئلة حسن فغير مستحسن لان ترك الكلام ٣ ما يقبل تحقيق المرام وتثبيت الاحكام* ثم اعلم انه وقع بحث طويل بمقتضى ادلة العقل بين الامام نور الدين الصابونى وبين الشيخ رشيد الدين فى ان المعدوم مرئى * وقد رجع الشيخ الى قول الامام فى آخر الكلام لانه لو كان مؤيدا بالنقل فقد افتى ائمة سمرقند وبخارى على انه غير مرئى *وقد ذكر الامام الزاهد الصفار فى آخر كتاب التلخيص ان المعدوم مستحيل الرؤية وكذا المفسرون ذكروا ان المعدوم لا يصح ان يكون مرئى الله تعالى وكذا قول السلف من الاشعرية* والماتريدية ان الوجود علة جواز الرؤية مع الاتفاق على ان المعدوم الذى يستحيل وجوده لا يتعلق برؤيته سبحانه* واختلف فى المعدوم انه شئ ام لا فقالت المعتزلة هو شئ لقوله تعالى ان الله على كل شئ قدير * مقدور بهذا النص والموجود ليس بمقدور اصلا لاستحالة ايجاد الموجود فتعين ان يكون المراد منه المعدوم* ولقوله *ان زلزلة الساعة شئ عظيم* سمى الزلزلة قبل وجودها شيئا* وعندنا المعدوم ليس بشئ لقوله تعالى *وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا* فالله تعالى اخبر انه لم يكن شيئا قبل الوجود وهذا لا يحتمل التأويل فكيف يكون المعدوم شيئا فتسمية الشئ فى الآيتين السابقتين باعتبار المآل والله اعلم بالحال وسيأتى زيادة تحقيق لذلك * ثم اعلم ان اضافة النظر الى الوجه الذى هو محله فى هذه الآية وتعديته بالى صريحة فى نظر العين واخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقته وموضوعه صريح فى ان الله اراد بذلك نظر العين التى فى الوجه الى الرب جل جلاله (فان النظر له) عدة استعمالات بحسب صلاته واختلاف متعلقاته* وتعديته بنفسه فانه ان عدى

٢ ابو حامد البلخى

٣ فى الرؤية بغير

بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله تعالى * انظرونا نقتبس من نوركم * وقوله تعالى * لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا * وان عدى بفى فمعناه التفكر والاعتبار كقوله تعالى * اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض * وان عدى بالى فمعناه المعاينة بالابصار كقوله * انظروا الى ثمره اذا اثمر * فكيف اضيف الى الوجه الذى هو محل البصر * قال الحسن البصرى نظرت الى ربها اى الوجوه فنظرت بنوره ولايلزم من الرؤية الادراك والاحاطة فلاينافى قوله تعالى * لاتدركه الابصار * فان الادراك هو الاحاطة بالشئ وهو قدر زايد على الرؤية كما قال فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا * فلم ينف موسى الرؤية * وانما نفى الادراك فالرب تعالى يرى ولايدرك كما يعلم ولايحاط به علما * بل هذه الشمس المخلوقه لايتمكن برؤيتها من ادراكها على ماهى من حقيقة ذاتها * وقد تواترت احاديث اثبات الرؤية تواترا معنويا فيجب قبولها نقلا ولايلتفت الى ما يتوهم اهل البدعة عقلا * ولقد اخطأ شارح عقيدة الطحاوى فى هذه المسئلة حيث قال فهل تعقل رؤية بلامقابلة * وفيه دليل على علوه على خلقه انتهى * وكانه قال قائل بالجهة العلوية لربه * ومذهب اهل السنة والجماعة انه سبحانه لايرى فى جهة وقوله عليه الصلوة والسلام * سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر * تشبيه لرؤيته بالرؤية فى الجملة لاتشبيه المرئى بالمرئى من جميع الوجوه (والايمان هو الاقرار) اى بلسان التحقيق (والتصديق) اى بالجنان وفق التوفيق وتقديم الاقرار للاشعار بانه الاول فى مقام الاظهار وان كان الثانى هو المعتبر به فى حال الاعتبار * ولان الشارع اكتفى بمجرد الاقرار ولم يفرق فى الحكم بين الموافق والمنافق والابرار والفجار * وقال فى الوصية * الايمان اقرار باللسان وتصديق بالجنان والاقرار وحده لايكون ايمانا لانه لوكان ايمانا لكان المنافقون كلهم مؤمنين وكذلك المعرفة وحدها اى مجرد التصديق لايكون ايمانا لانها لوكانت ايمانا لكان اهل الكتاب كلهم مؤمنين قال الله تعالى فى حق المنافقين لكاذبون اى فى دعويهم الايمان حيث لايصدق لهم * وقال فى حق اهل الكتاب * الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابنائهم * انتهى * والمعنى ان مجرد معرفة اهل الكتاب بالله وبرسوله لاتنفعهم حيث ما اقروا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته اليهم والى الخلق كافة فانهم كانوا يزعمون انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى العرب خاصة فاقرارهم بهذا الطريق لايكون خالصة ثم التصديق ركن حسى لعينه لايحتمل السقوط فى حال من الاحوال بخلاف الاقرار فانه شرط اوشطر وركن لغيره * ولهذا يسقط فى حال الاكراه وحصول الاعذار * وهذا الان اللسان ترجمان الجنان فيكون دليل التصديق وجودا وعدما فاذا ابدله بغيره فى وقت يكون متمكنا من اظهاره كان كافرا * واما اذا زال تمكنه من الاظهار بالاكراه لم يصر كافرا لان سبب الخوف على نفسه دليل ظاهر على بقاء التصديق فى قلبه

*وان الحامل له على هذا التبديل حاجة الى دفع المهلكة عن نفسه لا تبديل الاعتقاد فى حقه كما اشار اليه قوله تعالى *من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم * واما تبديله فى وقت تمكنه دليل على تبديل اعتقاده وكان ركن الايمان وجودا وعدما كما صرح به شمس الائمة السرخسى ره الا ان صاحب العمدة وهو ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفى ره صرح *بان الاقرار شرط اجراء الاحكام وهو مختار الاشاعرة وعليه ابو المنصور الماتريدى *ثم فى حذف ٢ المؤمن به فى كلام الامام * اشعار بان الايمان الاجمالى كاف فى مقام المرام* فالتحقيق (ان الايمان هو التصديق) للنبى صلى الله عليه وسلم بالقلب فى جميع ما علم بالضرورة مجيئه به من عند الله اجمالا وانه كاف فى الخروج عن عهدة الايمان ولا يحط درجته عن الايمان التفصيلى كذا فى شرح العقايد الا ان الاولى ان يقال اجمالا بان لوحظ اجمالا وتفصيلا بان لوحظ تفصيلا فانه يشترط التفصيل فيما لوحظ تفصيلا حتى لو لم يصدق بوجوب الصلوة وحرمة الخمر عند السؤال كان كافرا * ثم المراد من المعلوم ضرورة كونه من الدين بحيث يعلم العامة من غير افتقار الى النظر والاستدلال كوحدة الصانع ووجوب الصلوة وحرمة الخمر ونحوها * وانما قيدنا بها لان منكر الاجتهاديات لا يكفر اجماعا (واما من يؤول النصوص الواردة فى حشر الاجساد وحدوث العالم وعلم البارى بالجزئيات فانه يكفر لما علم قطعا من الدين انها على ظواهرها * بخلاف ما ورد فى عدم خلود اهل الكبائر فى النار لتعارض الادلة فى حقهم * والحاصل ان عدم انحطاط الايمان الاجمالى عن التفصيلى انما هو فى الاتصاف باصل الايمان والا فليس الاجمالى كالتفصيلى فى مقام كمال العرفان وجمال الاحسان * ثم اعتبار الاقرار فى مفهوم الايمان مذهب بعض العلما *وهو اختيار الامام شمس الائمة الحلوانى وفخر الاسلام * من ان الاقرار ركن الا انه قد يحتمل السقوط كما فى حالة الاكراه * وذهب جمهور المحققين الى ان الايمان هو التصديق بالقلب وانما الاقرار شرط لاجراء الاحكام فى الدنيا لما ان تصديق القلب امر باطنى لابد له من علامة *فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله وان لم يكن مؤمنا فى احكام الدنيا * ومن اقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فبالعكس * وهذا هو اختيار الشيخ ابى منصور الماتريدى والنصوص موافقة لذلك * لقوله تعالى * اولئك كتب فى قلوبهم الايمان * وقوله * وقلبه مطمئن بالايمان * وقوله * ولما يدخل الايمان فى قلوبكم * وقوله عليه الصلوة والسلام لاسامة هلا شققت قلبه فنظرت اصادق هو ام كاذب * على ما رواه البخارى * ومسلم * وابو داود * والترمذى * والنسائى * وابن ماجه * وغيرهم * وقال فى شرح المقاصد * الاقرار اذا جعل شرط اجراء الاحكام لابد ان يكون على وجه الاعلان على الامام وغيره من اهل الاسلام بخلاف ما اذا جعل ركنا له فانه يكفى له مجرد التكلم مرة وان

٢ المؤمن به بضم الميم الاولى وبفتح الثانية (لمصححه)

لم يظهر لغيره * والظاهر ان التزام الشرعيات يقوم مقام ذلك الاعلان * كما لايخفى على الاعيان * ثم الاجماع منعقد على ايمان من صدق بقلبه وقصد الاقرار بلسانه ومنعه مانع منه من خرس ونحوه * فظهر ان حقيقة الايمان ليست بمجرد كلمتى الشهادة على مازعمت الكرامية (وايمان اهل السماء) اى من الملائكة واهل الجنة (والارض) اى من الانبياء والاولياء وسائر المؤمنين من الابرار والفجار (لايزيد ولاينقص) اى من جهة المؤمن به بنفسه * لان التصديق اذا لم يكن على وجه التحقيق يكون فى مرتبة الظن والترديد والظن غير مفيد فى مقام الاعتقاد عند ارباب التأييد وقد قال تعالى * ان الظن لايغنى من الحق شيأ * فالتحقيق ان الايمان (كما قال الامام الرازى) لايقبل الزيادة والنقصان من هيئية اصل التصديق لا من جهة اليقين فان مراتب اهلها مختلفة فى كمال الدين كما اشار اليه سبحانه بقوله * واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى * فان مرتبة عين اليقين فوق مرتبة علم اليقين ولذا ورد * ليس الخبر كالمعاينة * وان قال بعضهم لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا * يعنى اصل اليقين لمطابقة علم اليقين فى ذلك الخبر وهو لاينافى زيادة اليقين عند الرؤية كما هو مشاهد لمن له علم بالكعبة فى الغيبة ثم حصل له المشاهدة فى عالم الحضرة * وعلى هذا فالمراد بالزيادة والنقص القوة والضعف * فان التصديق بطلوع الشمس اقوى من التصديق بحدوث العالم وان كانا متساويين فى اصل تصديق المؤمن به * ونحن نعلم قطعا ان ايمان آحاد الامة ليس كايمان النبى صلى الله عليه وسلم ولا كايمان الصديق رضى الله عنه باعتبار هذا التحقيق * وهذا معنى ما ورد به * لو وزن ايمان ابى بكر (رضى الله عنه) بايمان جميع المؤمنين لرجح ايمانه * اى لرجحان ايقانه ووقار جنانه وثبات اتقانه وتحقيق عرفانه * ولا من جهة ثمرات الايمان من زيادة الاحسان * لتفاوت افراد الانسان من اهل الايمان فى كثرة الطاعات وقلة العصيان * وعكسه فى مرتبة النقصان مع بقاء اصل وصف الايمان فى حق كل منهما بنعت الاتقان * فالخلاف لفظى بين ارباب العرفان * ومن هنا قال الامام محمد على ماذكره فى الخلاصة * اكره ان يقول احد ايمانى كايمان جبرائيل ولكن يقول آمنت بما آمن به جبرائيل * انتهى * وذلك ان الاول يوهم ان ايمانه كايمان جبرائيل من جميع الوجوه وليس الامر كذلك لما هو الفرق البين بينهما هنالك * قال فى الوصية * ثم الايمان لايزيد ولاينقص لانه لايتصور زيادة الايمان الا بنقصان الكفر ولايتصور نقصان الايمان الا بزيادة الكفر فكيف يجوز ان يكون الشخص الواحد فى حالة واحدة مؤمنا وكافرا والمؤمن مؤمن حقا والكافر كافر حقا وليس فى ايمان المؤمن شك ولا فى كفر الكافر * لقوله تعالى * اولئك هم المؤمنون حقا * اى فى موضع واولئك هم الكافرون حقا * اى فى محل آخر * والعاصون من امة محمد صلى الله عليه وسلم مؤمنون حقا وليسوا بكافرين * اى حقا فاشار الامام بهذا الكلام الى ان العصيان لاينافى الايمان كما هو مذهب اهل السنة والجماعة خلافا للخوارج والمعتزلة فانهما عندهم لايجتمعان * ونحن

نحمل

نحمل هذا الحال على مقام الكمال فان نفى المعصية بالكلية من المؤمن كالمحال * واما نحو قوله تعالى * واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا * فمعناه ايقانا او مؤول بان المراد زيادة الايمان بزيادة نزول المؤمن به فى آى القرآن * واما قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل (ان الايمان يزيد وينقص) نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار * فمعناه انه يزيد باعتبار اعماله الحسنة حتى يدخل صاحبه الجنة دخولا اوليا وينقص بارتكابه المعاصى (وهى اعماله السيئة) حتى يدخل صاحبه النار اولا ثم يدخل الجنة بايمانه آخرا كما هو مقتضى مذهب اهل السنة والجماعة على ان التصديق من الكيفيات النفسية للانسان وهى تقبل الزيادة والنقصان باعتبار القوة والضعف فى مراتب الاتقان * ثم الطاعة والعبادة ثمرة الايمان ونتيجة الاتقان وتنوير القلب بنور العرفان * بخلاف المعصية فانها تسود القلب وتضعف حجة الرب * وربما تجره مداومة العصيان الى ظلمات الكفران فان الصغيرة تجر الى الكبيرة والكبيرة الى الكفر ونسأل الله العافية وحسن الخاتمة (والمؤمنون مستوون) اى متساوون (فى الايمان) اى فى اصله (والتوحيد) اى فى نفسه * وانما قيدنا بهما فان الكفر مع الايمان كالعمى مع البصر ولا شك ان البصراء يختلفون فى قوة البصر وضعفه فمنهم ٢ الاخفش ٣ والاعشى * ومن يرى خط الشخين دون الرقيق الابزجاجة ونحوها * ومن يرى عن قريب زايدة على العادة وآخر بضده * ومن ههنا قال محمد على ما تقدم * اكره ان يقول احد ايمانى كايمان جبرائيل * بل يقول آمنت بما آمن به جبرائيل * وكذا لا يجوز ان يقول احد * ايمانى كايمان الانبياء * بل ولا ينبغى ان يقول * ايمانى كايمان ابى بكر وعمر (رضى الله عنهما) وامثالهما فان تفاوت نور كلمة التوحيد فى قلوب اهلها لا يحصيه الا الله سبحانه * فمن الناس من نورها فى قلبه كالشمس * ومنهم كالقمر * ومنهم كالكواكب الدرى * ومنهم كالمشعل العظيم * وآخر كالسراج الضعيف * لقوله عليه الصلوة والسلام * وذلك اضعف الايمان * وقوله * المؤمن القوى احب الى الله من المؤمن الضعيف * والقوة يشتمل القوة الظاهرية العملية والقوة الباطنية العلمية وعلى منوال هذه الانوار فى الدنيا يظهر انوار علومهم واعمالهم والهم فى العقبى وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظمة مرتبتها احرق منه الشبهات والشهوات بحسب قوتها بحيث ربما وصل الى حال لا يصادف شبهة ولا ذنبا ولا سيئة الا احرقها بل تقول النار * جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبى * ومن عرف هذا عرف معنى قوله عليه الصلوة والسلام * ان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله وقوله * لا يدخل النار من قال لا اله الا الله * وامثال ذلك مما اشكلت على كثير من الناس حتى ظنها بعضهم منسوخة * وظنها بعضهم قبل ورود الاوامر والنواهى * وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار واوّل بعضهم الدخول بالخلود فان الشارع لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط * وتأمل حديث البطاقة ١ * فان من المعلوم ان

١ الورقة الصغيرة

كل موحد له مثل هذه البطاقة وكثير منهم يدخل النار ٢ (متفاوتون فى الاعمال) * اى باختلاف الاحوال * قال فى الوصية ثم العمل غير الايمان والايمان غير العمل بدليل ان كثيرا من الاوقات يرتفع العمل من المؤمن ولا يجوز ان يقال يرتفع عنه الايمان فان الحايض يرتفع عنها الصلوة * ولا يجوز ان يقال يرتفع عنها الايمان او امر لها بترك الايمان * وقد قال لها الشرع * دعى الصوم ثم اقضيه ولا يقال لها دعى الايمان ثم اقضيه * ويجوز ان يقال ليس على الفقير الزكوة ولا يجوز ان يقال * ليس على الفقير الايمان انتهى * وحاصله * ان العمل مغاير للايمان عند اهل السنة والجماعة لانه جزء منه وركن له من الاركان كما يقوله المعتزلة لما يدل عليه العطف الذى هو فى الاصل للمغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه حيث جاء فى القرآن من نحو قوله * آمنوا وعملوا (والاسلام هو التسليم) اى باطنا (والانقياد لاوامر الله تعالى) اى ظاهرا (فمن ٢ طريقة اللغة) وفى نسخة فمن طريق الجنة (فرق بين الايمان والاسلام) فان الايمان فى اللغة هو التصديق قال الله تعالى * وما انت بمؤمن لنا * والاسلام مطلق الانقياد * ومنه قوله تعالى * وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها * فان الايمان مختص بالانقياد الباطنى والاسلام بالانقياد الظاهرى كما يشير اليه قوله تعالى * قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم * كما يدل عليه حديث جبرائيل حيث فرق بين الايمان والاسلام بان جعل الايمان محض التصديق * والاسلام هو القيام بالاقرار وعمل الابرار فى مقام التوفيق (ولكن لا يكون) اى لا يوجد فى اعتبار الشريعة (ايمان بلا اسلام) اى انقياد باطنى بلا انقياد ظاهرى كما كان لاهل الكتاب وكما وجد لابى طالب حال الخطاب وكما صدر لابليس حال العتاب فلابد من جمعهما فى ٣ صوب الصواب (ولا اسلام بلا ايمان) تأكيد لما قبله واشارة الى انه يستوى تقديم الاسلام على تحقيق الايمان وعكس فى مقام الاتقان اذ ربما يتقدم التصديق الباطنى ويتأخر الظاهرى كمؤمنى اهل الكتاب وربما يتقدم الاسلام ظاهرا ثم يوجد التصديق باطنا كما وقع لبعض المنافقين حيث سلكوا فى الآخر طريق المؤمنين ولعل هذا وجه الحكمة فى قضية المؤلفة (فهما) اى الاسلام والايمان كشئ واحد حيث لا ينفكان (كالظهر مع البطن) اى للانسان فانه لا يتحقق وجود احدهما بدون الآخر * وهذا تمثيل للمعقول بالمحسوس فتدبر * وقد ورد الاسلام علانية والايمان سرا اى مبنى على نية * والحاصل ان الايمان محله القلب والاسلام موضعه القالب والجسد الكامل منهما يتركب (والدين اسم واقع على الايمان والاسلام والشرايع كلها) اى الاحكام جميعا * والمعنى الدين اذا اطلق فالمراد به التصديق والاقرار وقبول الاحكام للانبياء عليهم السلام كما يستفاد من قوله تعالى * ومن يبتغ غير الاسلام

دينا

دينا فلن يقبل منه * وقوله ان الدين عند الله الاسلام * وليس عليكم فى الدين من حرج * ورضيت لكم الاسلام دينا * وليس مراد الامام ان الدين يطلق على كل واحد من الايمان والاسلام والشرايع بانفرادها كما توهمه شارح فى هذا المقام لانه خارج عن نظام المرام * وفى عقيدة الطحاوى * ودين الله فى الارض والسماء واحد وهو بين الغلو والتقصير وبين التشبيه والتعطيل وبين الجبر والقدر وبين الامن واليأس * وفى الصحيح عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا * انا معاشر الانبيا أديننا واحد * يعنى اصله وهو التوحيد ومايتعلق به لكن الشرايع متنوعة لقوله تعالى * لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا * (و نعرف الله تعالى حق معرفته) اى لا باعتبار كنه ذاته واحاطة صفاته بل بحسب مقدور العبد وطاقته فى جميع مالاته (كما وصف) اى الله سبحانه (نفسه) اى ذاته * وفيه دليل على جواز اطلاق النفس على ذاته تعالى * واما اطلاق الذات فاكثر العلماء فى العبارات جامع بين الذات والصفات وقد ورد تفكروا فى كل شىء ولا تفكروا فى ذات الله * واما ماذكره السيوطى رحمه الله من انه قد ورد اطلاق الذات عليه سبحانه فى البخارى فى قصة حبيب وقوله ذلك فى ذات الله ففيه بحث من وجهين * اما اولا فلانه كلام صحابى * واما ثانيا فلانه ليس نصا فى المدعى بل الظاهر انه اراد به فى سبيل الله وذلك لان الكفار لما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعونى اصلى ركعتين ثم انشأ يقول *

﴿شعر﴾ * ما ابالى حين اقتل مسلما * على اى شق كان لله مصرعى *

* وذلك فى ذات الاله وان يشأ * يبارك على اوصال ٢ شلو ممزع *

اى اعضاء جسده مقطع * واما اطلاق الحقيقة كما قال ابن السبكى فى جميع الجوامع مخالفة لسائر الحقايق * فانكر عليه ابن لز ملكان حيث قال يمتنع اطلاق لفظ الحقيقة على الله قال ابن جماعة لانه لم يرد (فى كتابه) اى فى مواضع من آياته (بجميع الصفات) اى الثبوتية والسلبية كسورة الاخلاص وكقوله تعالى * ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * وسائر الآيات الدالة على تحقيق الذات ومراتب الصفات ولعل هذا الكلام من الامام الهمام مبنى على ان الايمان لا يزيد ولا ينقص فى حقيقة الاتقان وان الايمان الاجمالى كاف فى مرام الاحسان فللمؤمن ان يقول عرفته حق معرفته * واما قول من قال ماعرفناك حق معرفتك * فمبنى على ان ادراك الذات والاحاطة بكنه الصفات ليس فى قدرة المخلوقات لقوله تعالى * لا تدركه الابصار * ولقوله ولا يحيطون به علما * فاختلاف القضية بتفاوت الحيثية * ومن ههنا قال الامام الشافعى رحمه الله * من انتهض لطلب مدبره فانتهى الى موجود ينتهى الى فكره فهو مشبه وان اطمأن الى عدم التصرف فهو معطل وان اطمأن الى موجود فاعترف بالعجز عن ادراكه فهو موحد * ومن ثم لما سئل على رضى الله عنه عن * التوحيد مامعناه * فقال ان تعلم ماخطر ببالك او توهمته فى خيالك او تصورته

٢ الشلو بكسر الشين المعجمة وسكون اللام

فى مال من اموالك بالله وراء ذلك * ويرجع الى هذا المعنى قول الجنيد * التوحيد افراد القدم من الحادث اذ لا يخطر ببالك الاحادث فافراد القدم ان لا تحكم على الله بمشابهة شئ من الموجودات لا فى الذات ولا فى الصفات بوجه من الوجوه فانه لا يشبه ذاته الذوات ولا صفاته الصفات * قال الله تعالى * ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * بل ما جاء من اطلاق العالم والقادر والموجود وغير ذلك على القديم والحادث فهو اشتراكى لفظى (وليس يقدر احد ان يعبد الله تعالى حق عبادته كما هو اهل له) اى فى استحقاق طاعته من حيث ان العبد عاجز من مداومة ذكره ومواظبة شكره كما يشير اليه قوله تعالى * وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها * اى لا تطيقوا عدها فضلا عن القيام بشكرها وصرفها فى طاعة ربها * ولهذا المعنى قيل * قوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته * منسوخ بقوله تعالى * فاتقوا الله ما استطعتم * لان حق التقوى يعجز عنه الاصفياء كما فسره سيد الانبياء صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بقوله * هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى * والتحقيق ان المعرفة * اذا تحققت استمر حكمها فى جميع احوال العبد * بخلاف العبادة فانها يجب على العبد فى كل لحظة ولمحة وهو عاجز عن استمرار هذه الحالة لضعف البشرية عن القيام بالعبودية كما يقتضيه الربوبية فلا اقل من ان يقع عند الغفلة والغيبة عن الحضرة وهو كفر عند ارباب الحقيقة واصحاب الطريقة وان رفع عن العامة عن لسان صاحب الشريعة رحمة على الامة من حيث انه كاشف الغمة وقد اشار سبحانه الى هذه التبصرة بقوله * هو اهل التقوى واهل المغفرة * فليس لاحد ان يقول عبدت الله حق عبادته (لكنه) اى الشان (يعبده) اى عبده (بامره كما امر) اى وفق حكمه بوصف العجز عن اداء حقه * ولهذا قال العارفين * لولا امره سبحانه بقراءة * اياك نعبد واياك نستعين * لما قرأته لعدم قيامى فى مقام حقيقة الاخلاص فى مقام العبودية * وتحقيق الاستعانة فى العبادة وغيرها من الحضرة الربوبية * ولعله عليه الصلوة والسلام فى نحو هذا المقام قال * لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك * وكان يستغفر بعد فراغ العبادة ايماء الى انه مقصر فى اداء حق الطاعة كما يشير اليه قوله تعالى * كلا لما يقض ما امره ويتفرع على هذا التحقيق قول الامام على وجه التدقيق (ويستوى المؤمنون كلهم فى المعرفة) اى فى انفسها (واليقين) اى فى امر الدين (والتوكل) اى على الله دون غيره (والمحبة) اى الله ورسوله (والرضاء) اى بالتقدير والقضاء (والخوف) اى من غضبه وعقوبته (والرجاء) اى لرضاه ومثوبته * اعلم انه يجب على العبد ان يكون خايفا راجيا * لقوله تعالى * امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه * وقوله * يدعون ربهم خوفا وطمعا * والتحقيق

ان الرجاء يستلزم الخوف ولولاذلك لكان آمنا والخوف يستلزم الرجاء ولولا ذلك لكان قنوطا ويأسا * فالخوف المحمود الصادق * ما حال بين صاحبه وبين محارم الله فاذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط * والرجاء المحمود رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من ربه فهو راج لمثوبته او رجل اذنب ذنبا ثم تاب منه الى الله فهو راج منه لمغفرته * اما اذا كان الرجل متماديا في التفريط والخطايا ويرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو الغرور والتمنى والرجاء الكاذب * قال على الروذبارى الخوف والرجاء كجناحى الطائر اذا استويا يطير وتم طيرانه واذا نقص احدهما وقع فيه النقص واذا ذهبا صار الطائر في حد الموت * وهذا الذى ذكره الشيخ موافقا لما روى عن عمر رضى الله عنه انه قال * لو نودى في المحشر ان واحدا يدخل الجنة لارجو ان اكون انا وان قيل ان واحدا يدخل النار اخاف ان اكون انا * وقال بعضهم ينبغى ان يكون الرجاء غالبا للحديث القدسى * انا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء وقال * بعضهم الاولى ان يكون الخوف غالبا عند الشباب والصحة * والرجاء حال الكبر والمرض لقوله عليه الصلوة والسلام قبل موته بثلث * لا يموتن احدكم وهو يحسن الظن بربه هذا وكل احد اذا خفته هربت منه الا الله فانك اذا خفته هربت اليه فالخائف هارب من ربه الى ربه كما يشير اليه قوله تعالى * ففروا الى الله * وقوله عليه الصلوة والسلام * لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك * وقال بعضهم من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق * ومن عبده بالخوف وحده فهو حرورى * ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجى * ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد * واما كلام صاحب المنازل ان الرجاء اضعف منازل المريد فهو بالاضافة الى مقام الحب الذى هو حال المريد * بل قال المحقق الرازى ان من لم يعبد الله الا لخوف ناره او طمع جنته فليس بمؤمن لانه سبحانه يستحق ان يعبد ويطاع لذاته * وهذا معنى ماورد * نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه * ومن ثم لما قيل له صلى الله عليه وسلم عند ما قام من الليل حتى تورمت قدماه تفعل هذا وقد غفر الله من ذنبك ما تقدم وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا وعن على كرم الله وجهه ان قوما عبدوا رغبة فتلك عبادة التجار * وان قوما عبدوا رهبة فتلك عبادة العبيد * وان قوما عبدوا شكرا فتلك عبادة الاحرار * وكذا نقله عنه صاحب ربيع الابرار (والايمان) اى الايقان بثبوت ذاته وتحقيق صفاته (ويتفاوتون) اى المؤمنون (فيما دون الايمان) اى في غير التصديق والاقرار بحسب تفاوت الابرار في القيام بالاركان واختلاف الفجار في مراتب العصيان (وفى ذلك كله) اى يتفاوتون ايضا فيما ذكر من المقامات العلية والحالات السنية لاختلاف منازل الصوفية * قال الطحاوى * والايمان واحد واهله في اصله سواء والتفاضل بالخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الاولى هذا * وذهب شارح في ٢ هذا المقام الى ان تقدير الكلام استواء اهل الاسلام في كونهم مكلفين بهذه الاحكام * ولا يخفى ما اخترناه ادق في نظام المرام * ثم تحقيق هذه المقامات العلية محل بسطها كتب

٢ عقيلة

السادة الصوفية وقد بينا طرفا منها فى التفسير والشروح الحديثية (والله تعالى متفضل على عباده) اى عامل بفضله على بعضهم (وعادل) اى عامل بعدله فى بعضهم كما قال الله تعالى * والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم * وفى الحديث القدسى خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالى وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالى وهذا باعتبار توفيق الايمان وتحقيق الخذلان * يترتب عليه قوله (قد يعطى) اى الله سبحانه (من الثواب) اى الاجر على الطاعة فى الدنيا والآخرة (اضعاف ما يستوجب العبد) اى يستحق (تفضلا منه) اى فى الزيادة كما قال * والله يضاعف لمن يشاء اى ما يشاء من الدرجات فى المثوبة ومقام القربة (وقد يعاقب على الذنب) اى بقدر ما يستحقه العبد بلا زيادة عقوبة (عدلا منه) كما اخبر عنهما فى كتابه بقوله * من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون * اى بنقص ثواب اوبزيادة عقاب (وقد يعفو) اى عن السيئة (فضلا منه) سواء يكون بواسطة شفاعة اوبدونها لقوله سبحانه * وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير * ولقوله تعالى * ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والحاصل ان زيادة العشرة عامة * واما الزيادة عليها فخاصة والكل فضل محض ورحمة خالصة وربما يكون الزيادة بسبب اختلاف مقامات اصحاب العبادة اوبحسب تعلق مجرد الارادة بما سبق لهم من غاية السعادة * واما قول الشارح * فليس له ان يعطى من الثواب احد المتساويين فى الذنب دون الآخر لانه لا تفاوت فى فضله وعدله فخطأ فاحش مخالف للكتاب والسنة تحكم على الله فى مقام الارادة والمشية * وقد قال الله تعالى * ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء * حاصل المرام فى هذا المقام ان امره سبحانه بالنسبة الى عباده لا يخلو عن عدله وفضله وفق مراده * مع انه قد ورد فى حديث روى موقوفا و مرفوعا * لو ان الله عذب اهل سمواته واهل ارضه عذبهم وهو غير ظالم بهم ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من اعمالهم رواه احمد وابو داود وابن ماجه (وشفاعة الانبياء عليهم السلام) اى عموما فى المقصود (وشفاعة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى خصوصا فى مقام المحمود واللواء الممدود والحوض المورود (للمؤمنين المذنبين) اى من اهل الصغائر المستحقين للعتاب (ولاهل الكبائر منهم) اى من المؤمنين (المستوجبين للعقاب حق) فقد ورد شفاعتى لاهل الكبائر من امتى * رواه احمد وابو داود والترمذى وابن ماجه والحاكم عن انس والترمذى وابن ماجة وابن حبان والحاكم عن جابر والطبرانى من ابن عباس والخطيب عن ابن عمرو بن كعب بن عجرة فهو حديث مشهور فى المبنى بل الاحاديث فى باب الشفاعة

متواترة

متواترة المعنى * ومن الادلة على تحقق الشفاعة قوله تعالى * واستغفر لذنبك والمؤمنين والمؤمنات ومنها قوله سبحانه * فما تنفعهم شفاعة الشافعين * اذ مفهومه انها تنفع المؤمنين * وكذا شفاعة الملائكة لقوله تعالى * يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا * وكذا شفاعة العلماء والشهداء والفقراء واطفال المؤمنين والصابرين على البلاء * وقال في الوصية وشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وآله حق لكل من هو من اهل الجنة وان كان صاحب كبيرة انتهى * وظاهره ان هذه الشفاعة ليست مختصة باهل كبائر من هذه الامة فانه بالنسبة الى جميع الامم كاشف الغمة ونبي الرحمة وقد ثبت ان له عليه الصلوة والسلام انواعا من الشفاعة ليس هذا مقام بسطها * وفي العقايد النسفية والشفاعة ثابتة للرسل والاخيار في حق اهل الكبائر بالمستفيض من الاخبار * وفي المسئلة * خلاف المعتزلة الا في نوع الشفاعة لرفع الدرجة

(ووزن الاعمال) اى المجسمة او صحفها المرسمة (بالميزان) اى الذى له لسان وكفتان

(يوم القيمة حق) لقوله تعالى والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون * اظهار الكمال الفضل وجمال العدل كما قال سبحانه * ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين * وقال الغزالي والقرطبي لا يكون الميزان في حق كل احد فالسبعون الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفا وهو بظاهره مخالف لقسم القرآن * واما ذكره القونوى من ان الشيخ الامام علي بن سعيد الرستغفني (بضم الراء الفوقية وسكون السين المهملة والعين المعجمة آخره نون) اى رستغفن قرية بسمرقند ذكره الامام السيوطي في كتاب اللباب في تجربة الانساب الرستغفني سئل ان الميزان ايكون للكفار * فقال لا فمردود لقوله تعالى (ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون * والمؤمن لا يخلد في النار * واما ما سئل عنه مرة اخرى فقال قد روى ان لهم ميزانا الا ان المراد من ميزانهم ترجيح احدى الكفتين على الاخرى لكن المعنى به تميزهم اذ الكفار متفاوتون في العذاب قال الله تعالى * ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار * وقال عز وعلا * ادخلوا آل فرعون اشد العذاب * ففيه ان الرواية المذكورة لا اصل لها * والميزان ما وضع لتميز المراتب في الكفر والايمان * وكما ان المشركين والكفار لهم درجات كذلك للمسلمين والابرار درجات * فالصواب ان آية الميزان في الكتاب واكثر ما وقع في القرآن المجيد من الوعيد فهو مختص بالكفار والابرار وما ذكر فيه مال العصاة والفجار ليكونوا بين الخوف والرجاء وتلك الدار بين المقام في دار القرار وفي دار البوار * نعم قد ورد ان من استوت مسناته وسيآته فهو من اهل الاعراف فيتأخر دخوله في الجنة من اهل المعرفة والانصاف والمجاهدين في المصاف والقائمين بانواع الطاعة من الصلوة والطواف والاعتكاف

واماقوله تعالى فلانقيم لهم يوم القيمة وزنا* اى مقدارا واعتبارا * ثم ذكر الموازين بلفظ الجمع والحال ان الميزان واحد نظرا الى كثرة الخلق على سبيل مقابلة الجمع بالجمع * اولاجل كبر ذلك الميزان عبر عنه بلفظ الجمع فى مبدأ البيان اوجمع موزون ولاشك فى جمعه * واما قول القونوى ان الموزون هو العمل الذى وزن وخطر عنده سبحانه * فليس على اطلاقه بل الموزون اعم من الطاعة والمعصية حتى يظهر الثقل والخفة بحسب ماتعلق به الارادة والمشية ويتوقف فيه على بيان الكيفية سواء يقال بوزن صحايف الاعمال اوبتجسم الاقوال والافعال والحكمة فيه ظهور حال الاولياء من الاعداء فيكون للاولين اعظم السرور وللاخرين اعظم الشرور * وفى الحقيقة اظهار الفضل والعدل فى يوم الفصل * وقال فى الوصية * والميزان حق لقوله تعالى * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * وفى هذا الاستدلال ايماء الى ان الحكمة فى وضع الميزان للعباد فى حال المعاد انما هو معرفة بيان مقادير اعمالهم ليبين لهم الثواب والعقاب بحسب اختلاف اقوالهم * وفيه اشعار بان اعطاء كتاب الاعمال فى ايدى العمال حق ايضا * لقوله تعالى واما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا * واما من اوتى كتابه وراء ظهره (اى بشماله) فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا * فبين الامام ان الحساب واعطاء الكتاب متغاربان فكان حكمهما واحد اميث لاينفكان * فلم يذكر الامام على مدة لابتغاء الاكتفاء * والظاهر ان اعطاء الكتاب قبل ميزان الحساب بقوله تعالى * فسوف يحاسب حسابا يسيرا * فتفسيره وردفى السنة * ان من نوقش فى الحساب عذب * وقد انكر المعتزلة الميزان والحساب والكتاب بعقولهم الناقصة مع وجود الادلة القاطعة فى كل من هذه الابواب * واما ماوقع فى العمدة * من ان كتاب الكافر يعطى بشماله اومن وراء ظهره * فيوهم انه شاك ومتردد فى امره وليس كذلك بل ذكره باق لاختلاف ماجاء فى الآيتين * وهو اما محمول على الجمع بينهما كما اشرنا اليهما * واما للتنويع فبعضهم يعطى من وراء ظهره وهو المدبر بالكلية من قبول الاحكام وهى كتب كتبها الحفظة ايام حيوتهم الى حين مماتهم كما قال الله تعالى * ايحسبون انا لانسمع سرهم ونجويهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون * اى جميع افعالهم واحوالهم * فيه رد على من زعم * ان الملائكة ليس لهم اطلاع على بواطن الخلق (و القصاص) اى المعاقبة بالمماثلة (فيما بين الخصوم) اى من نوع الانسان (يوم القيامة) اى بالحسنات كما فى نسخة (حق) اى ثابت يعنى يأخذ حسنات الظالم واعطاها للخصوم فى مقام المظالم اذليس هنالك الدنانير والدراهم (و ان لم يكن لهم) اى للظلمة (الحسنات) اى بان لم يوجد لهم الطاعات اوفنيت لكثرة السيآت (طرح) وفى نسخة فطرح (السيآت) اى وضع سيآت المظلومين (عليهم) اى على رقبة الظالمين (جائز و حق) * وفى نسخة حق جائز وكلاهما للتأكيد ومعناهما ثابت اى جائز عقلا

ونقلا فيجب الاعتماد على هذا الاعتقاد لما ورد من انه عليه الصلوة والسلام قال من كانت له مظلمة لاخيه فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيآت صاحبه فحمل عليه * وقال عليه الصلوة والسلام لاصحابه الكرام اتدرون من المفلس قالوا (المفلس من لا درهم له ولا متاع) فقال ان المفلس من يأتى يوم القيمة بصلوة وصيام وصدقة وقد شتم هذا * وقذف هذا * واكل مال هذا * وسفك دم هذا * وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه * ثم طرح عليه فى النار * ثم هذا فى حق العباد وقد ورد فى خصومات الحيوانات انه سبحانه مقتص للشاة الجماء من القرناء ثم يقول لها كونى ترابا وحينئذ يقول الكافر والظالم ياليتنى كنت ترابا (وحوض النبى صلى الله عليه وسلم حق) لقوله تعالى انا اعطيناك الكوثر * وفسره الجمهور بحوضه اونهره ولا تنافى بينهما لانا نراه فى الجنة وحوضه فى موقف القيمة على خلاف فى انه قبل الصراط اوبعده وهو الاقرب والانسب * وقال القرطبى وهما حوضان * احدهما قبل الصراط وقبل الميزان على الاصح فان الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيردونه قبل الميزان والصراط * والثانى فى الجنة وكلاهما يسمى كوثرا انتهى * وروى الترمذى وحسنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان لكل نبى حوض وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة وانى ارجو ان اكون اكثرهم واردة هذا * ونقل القرطبى ان من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة وكذا الظلمة والفسقة المعلنة يطردون عن الحوض * لما وقع منهم فى الحوض * وحديث الحوض رواه من الصحابة بضع وثلثون وكاد ان يكون متواترا وقد ورد حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء ماءه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وطعمه الين من الزبد وابرد من الثلج وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها لا يظمأ بعدها ابدا (والجنة والنار مخلوقتان اليوم) اى موجودتان قبل يوم القيمة لقوله تعالى فى نعمة الجنة * اعدت للمتقين * وفى وصف النار * اعدت للكافرين * وللحديث القدسى * واعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر * ولحديث الاسراء ادخلت الجنة والنار وهذه الصيغة موضوعة للماضى حقيقة فلا وجه للعدول عنها الى المجاز الا بصريح آية او صحيح دلالة وفى المسئلة خلاف للمعتزلة * ثم الاصح ان الجنة فى السماء * ويدل عليه قوله تعالى * عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى * وقوله عليه الصلوة والسلام * سقف الجنة عرش الرحمن * وقيل فى الارض * وقيل بالتوقف * حيث لا يعلمه احد الا الله * واختاره شارح المقاصد * واما النار فقيل تحت الارضين السبع * وقيل فوقها * وقيل بالتوقف ايضا فى حقها * ووقع فى اصل شرح هنا زيادة * والصراط حق * وليس فى المتون وكانه ملحق لكن محله قبل ذكر الجنة والنار اليق وهو ثابت بالكتاب والسنة فقال الله تعالى * وان منكم الا واردها * قال القونوى رحمه الله فى شرح مسلم *

الصحيح ان المراد فى الآية المرور على الصراط انتهى وهو المروى عن ابن عباس وجمهور المفسرين وقد روى مرفوعا ايضا * وورد فى صحيح مسلم * ان الصراط جسر ممدود على ظهر جهنم ادق من الشعر واحد من السيف * وورد ايضا ان يكون على بعض اهل النار ادق من الشعر وعلى بعض مثل الوادى الواسع * وفى رواية ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم واكون اوّل من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ الا الرسل فكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم * وفى جهنم اكاليب مثل شوك السعدان لا يعلم قدر عظمها الا الله تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يهرب ثم ينجو * الحديث * وفى رواية فيمر المؤمنون كطرفة العين وكالبرق وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب اى الابل فناجى مسلم ومخدوش موصل اى مطلق ومكدوش اى مسقوط ومطروح فى نار جهنم * وفى هذه المسئلة * خلاف اكثر المعتزلة * واما قوله تعالى وان منكم الا واردها * فقيل المراد بهم الكفار * فالمراد بالورود الدخول والخلود والاكثرون على العموم كما يفيد الحصر * فقيل معنى الورود هو العبور على متن جهنم وظهرها ويتميزون حال ممرها * وقيل معنى الورود الدخول * الا انهم مختلفوا الحال فى الوصول لما روى عن جابر انه صلى الله عليه وسلم لما سئل عن هذه الآية فقال هذا الورود الدخول لا يبقى برّ ولا فاجر الا دخلها فيكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم عليه السلام حتى ان النار صيحت من بردها * وفى رواية تقول النار للمؤمن * جز فان نورك اطفأ لهبى * وعن جابر رضى الله عنه ايضا انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة فقال بعضهم لبعض اليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم * انكم قد وردتموها وهى خامدة * فلا ينافى قوله تعالى * اولئك عنها مبعدون * لان المراد عن عذابها * وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده فى الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم * الحمى من فيح جهنم * وهو محمول على ان المؤمن تكفر ذنوبه فى الدنيا بالحمى ونحوها لئلا يحس بالم النار عند ورودها لانه لا يردها فى العقبى * وقيل المراد بالورود جثوهم حولها كما يشير اليه قوله تعالى * ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا * كذا ذكره صاحب الكشاف وهو من رؤساء المعتزلة حيث انكروا الصراط والا فليس فى الآية دلالة على جثوهم حولها بل قوله * ونذر الظالمين فيها جثيا * يدل على خلافهم * ثم من العقايد * ان انطاق الجوارح حق قال الله تعالى * يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون * وقال الله تعالى * حتى اذا جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم ٢ الآيتين * وعند المعتزلة لا يجوز ذلك بل تلك الشهادة من الله تعالى فى الحقيقة الا انه سبحانه اضافها الى الجوارح توسعا * قلنا نحن نقول كذلك لانه سبحانه يظهر هذا على طريق خرق العادة كما خلق الكلام فى الشجرة او يخلق فيها الفهم والقدرة على النطق * واما القول بانه يظهر فى تلك الاعضاء احوال تدل على صدورتلك الاعمال وتلك الامارات تسمى شهادات كما يشهد هذا العالم بتغيرات احواله على حدوثها كما قاله القونوى رحمه الله * فمردود

بانه

بانه موافق لمذهب المعتزلة مع ان حمل الآية على المجاز مع امكان الحقيقة لا يجوز على انه مخالف لظاهر النص * قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ (لا تفنيان) اى ذواتهما وما فيهما من اهلهما (ابدا ولا يفنى عقاب الله ولا ثوابه سرمدا) * وفى الوصية الجنة والنار حق وهما مخلوقتان لا فناء لاهلهما لقوله تعالى فى حق الجنة * اعدت للمتقين وفى حق النار اعدت للكافرين خلقهما الله للثواب والعقاب واهل الجنة خالدون واهل النار خالدون لقوله تعالى فى حق المؤمنين * اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون * وفى حق الكفار اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون * وذهبت الجهمية وهم الجبرية الخالصة الى انهما تفنيان ويفنى اهلهما وهو قول باطل بلا شبهة مخالف للكتاب والسنة واجماع الامة (والله تعالى يهدى من يشاء) الى الايمان والطاعة (فضلا منه) اى بجعله مظهر جماله ومحل ثوابه (ويضل من يشاء) بالكفر والمعصية (عدلا منه) اى بجعله مظهر جلاله وموضع عقابه ثم هدايته وتوفيقه واحسانه وهذه جملة مطوية معلومة القضية * ولذا لم يتعرض له الامام * واكتفى بذكر ما فيه من اختلاف بعض الانام حيث قال (واضلاله خذلانه) اى عدم نصرته فى مقام تحقيقه ومرام تصديقه (وتفسير الخذلان ان لا يوافق العبد) اى لا يجعله (على ما يرضاه عنه) اى على ما يحبه من الايمان والاحسان ويكون سببا لرضى الرب عن العبد (وهو) اى الخذلان وعدم رضاه عنه (عدل منه) اى لا يجب عليه شئ لغيره وقد وضع الشئ فى موضعه * وقد قال الله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام * ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء (وكذا عقوبة المخذول على المعصية) اى عدل فى نظر ارباب العقول واصحاب النقول وفى المسئلة خلاف المعتزلة (ولا نقول) وفى نسخة ولا يجوز ان يقول (ان الشيطان يسلب الايمان من عبده المؤمن قهرا وجبرا) اى لقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان (ولكن نقول العبد يدع الايمان) اى يترك باختياره واقتداره سواء يكون بسبب اغواء الشيطان او هواء نفسه فاذا تركه (فحينئذ يسلب منه الشيطان) اى يجعله تابعا له فى الخذلان فيكون له عليه السلطان * وهذا معنى قوله تعالى الا من اتبعك من الغاوين * وقوله لمن اتبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين (وسؤال منكر ونكير) * اى حيث يقولان من ربك وما دينك ومن نبيك (فى القبر) اى فى قبره او مستقره (حق)

اى واقع واخباره عليه الصلوة والسلام بعذابه صدق * ففى الصحيحين * عذاب القبر حق ومر على قبرين فقال انهما ليعذبان * وقد نزل فيه قوله تعالى * يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة * كما فى الصحيحين وغيرهما * واستثنى من عموم سؤال الانبياء والاطفال والشهداء * ففى صحيح مسلم انه عليه الصلوة والسلام سئل عن ذلك فقال * كفى ببارقة السيوف شاهدا * ففى الكفاية ان لا سؤال للانبياء * وقال السيد ابو شجاع من علماء الحنفية ان للصبيان سؤالا وكذا للانبياء عند البعض * وقال بعضهم صبيان المسلمين مغفور لهم قطعا والسؤال لحكمة لم نطلع عليها * وتوقف الامام فى سؤال اطفال الكفرة ودخولهم الجنة وغيره يحكم بذلك فيكونوا خدام اهل الجنة (واعادة الروح) اى ردها وتعلقها (الى العبد) اى جسده بجميع اعضائه او ببعضها مجتمعة او متفرقة (حق) والواو لمجرد الجمعية فلا ينافى ان السؤال بعد اعادة الروح وكمال الحال فيقول المؤمن * ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد صلى الله عليه وسلم * ويقول الكافر * هاه * هاه * لا ادرى * رواه ابو داود واصله فى الصحيحين * وفى المسئلة خلاف المعتزلة وبعض الرافضة * وقد ورد الاحاديث للتظاهر فى المبنى المتواترة فى المعنى فى تحقيق احوال البرزخ والعقبى قد استوفاها شيخ مشايخنا الجلال السيوطى فى كتابه المسمى شرح الصدور فى احوال القبور وفى كتابه الآخر المسمى بالبدور السافرة فى احوال الآخرة فعليك بهما ان كنت تريد الاطلاع وارتفاع النزاع عن الطباع * ومن جملة الادلة قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا * اى قبل القيمة وذلك فى القبر بدليل قوله تعالى * يوم تقوم الساعة الآية ومعنى عرضهم على النار احراقهم بها * وكذا قوله سبحانه وتعالى * ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر * وقوله * ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى * وكانها ايضا مأخذ قول الامام (وضغطة القبر) اى تضيقه (حق) حتى للمؤمن الكامل لحديث * لو كان احد نجا منها لنجا سعد بن معاذ الذى اهتز له عرش الرحمن لموته * وهى غمز ارض القبر له وضيقه عليه * ثم ان الله سبحانه يفسح ويوسع المكان مد نظره اليه * قيل وضغطته بالنسبة الى المؤمن على هيئة معانقة الام الشفيقة اذا قدم عليها ولدها من السفر العميقة (وعذابه) اى ايلامه (حق كائن للكفار كلهم اجمعين ولبعض المسلمين) اى عصاة المسلمين كما فى نسخة (وكذا تنعيم بعض المؤمنين حق) فقد ورد ان القبر اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران رواه الترمذى والطبرانى * وفى الحديث ان القبر اول منازل الآخرة فان نجا منه فما بعده ايسر منه وان لم ينج منه فما بعده اشد منه * رواه الترمذى والنسائى والحاكم بسند صحيح عن عثمان بن عفان رضى الله عنه (واعلم ان اهل الحق اتفقوا على ان الله يخلق فى الميت نوع حيوة فى القبر قدر ما يتألم ويتلذذ لكن

اختلفوا

اختلفوا فى انه هل يعاد الروح اليه ۞ والمنقول عن ابى حنيفة ره التوقف الا ان كلامه هنا يدل على اعادة الروح اذ جواب الملكين فعل اختيارى فلا يتصور بدون الروح * وقيل يتصور * الا ترى ان النائم يخرج روحه ويكون متصلا بجسده حتى يتألم فى المنام وتنعم * وقد روى عنه عليه الصلوة والسلام انه سئل كيف يوجع اللحم فى القبر ولم يكن فيه الروح فقال * كما يوجع سنك وليس فيه الروح * واما ما قال الشيخ ابو المعين فى اصوله على ما نقل عنه القونوى من ان عذاب القبر حق سواء كان مؤمنا او كافرا او مطيعا او فاسقا ولكن اذا كان كافرا فعذابه يدوم فى القبر الى يوم القيمة * ويرفع عنه العذاب يوم الجمعة وشهر رمضان لحرمة النبى صلى الله عليه وسلم لانه ما دام فى الاحياء لا يعذبهم الله لحرمته فكذلك فى القبر يرفع عنهم العذاب يوم الجمعة وكل رمضان لحرمته * ففيه بحث لانه يحتاج الى نقل صحيح او دليل صريح * فالصواب ما قاله القونوى من ان المؤمن ان كان مطيعا لا يكون له عذاب القبر ويكون ضغطة فيجد هول ذلك وخوفه لما انه كان يتنعم بنعم الله سبحانه ولم يشكر الانعام حقا * قال ويدل عليه ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لعايشة رضى الله عنها * كيف حالك عند ضغطة القبر وسؤال منكر ونكير * ثم قال * يا حميراء ان ضغطة القبر للمؤمن كغمز الام رجل ولدها وسؤال منكر ونكير للمؤمن كالاثمد للعين اذا رمدت * وكذا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لعمر رضى الله عنه كيف حالك اذا اتاك فتانا القبر * فقال عمر رضى الله عنه انا اكون فى مثل هذه الحالة او يكون عقلى معى * قال نعم * قال عمر رضى الله عنه اذا لا ابالى * ثم قال القونوى وان كان عاصيا يكون له عذاب القبر وضغطة القبر لكن ينقطع عنه عذاب القبر يوم الجمعة وليلة الجمعة ولا يعود العذاب الى يوم القيمة وان مات يوم الجمعة او ليلة الجمعة يكون له العذاب ساعة واحدة وضغطة القبر خفيفة ثم ينقطع عنه العذاب ولا يعود الى يوم القيمة انتهى * ولا يخفى ان المعتبر فى العقايد هو الادلة اليقينية واحاديث الآحاد لو ثبت انما تكون ظنية * اللهم الا اذا تعددت طرقه بحيث صار متواترا معنويا فح قد يكون قطعيا * نعم ثبت فى الجملة * من مات يوم الجمعة او ليلة الجمعة يرفع عنه العذاب * لانه لا يعود اليه الى يوم القيمة فلا اعرف له اصلا * وكذا رفع العذاب يوم الجمعة او ليلتها مطلقا من كل عاص ثم لا يعود الى يوم القيمة فانه باطل قطعا * ثم من الادلة على انعام اهل الطاعة وايلام اهل المعصية قوله تعالى سبحانه * ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله * وقوله تعالى * مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا * فان الاصل فى وضع الفاء التعقيب * واختلف انها بالروح او بالبدن او بهما وهو الاصح منهما * الا انا نؤمن لصحته ولا نشتغل بكيفيته * واختلف فى حقيقة الروح فقيل انه جسم لطيف مشابك للجسد مشابكة الماء بالعود الاخضر اجرى الله تعالى العادة بان يخلق الحيوة ما استمرت هى فى الجسد فاذا فارقته توفت الموت الحيوة * وقالوا الحيوة للروح بمنزلة الشعاع للشمس فان

الله تعالى اجرى العادة بان يخلق النور والضياء فى العالم مادامت الشمس طالعة كذلك يخلق الحيوة للبدن مادامت الروح فيه ثابتة والى هذا القول مال الشيخ الصوفية * وقال جماعة من اهل السنة الروح جوهر سارية فى البدن كسريان ماء الورد فى الورد انتهى وهو لا يغاير القول الاول الا فى اختلافهم انه جوهر او جسم لطيف والاخير هو الصحيح بدليل ما ورد من ان الروح اذا خرجت من الجسد واذا دخلت وامثال ذلك من العروج الى عليين ومن النزول الى سجين وهذا الكلام فى تحقيق المرام ماينافى قوله سبحانه * قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا * فان الامر كله لله او ان الروح خلق بالامر التنجيزى كبعض المخلوقات واكثر الكائنات خلقوا بالوصف التدريجى * ولذا قال الله تعالى * الا له الخلق والامر * مع ان الكلام فى جنسه على طريق الاجمال هو من العلم القليل الذى استثنى الله تعالى بقوله * وما اوتيتم من العلم الا قليلا * على ان اولى الاقاويل واقواها ان يفوض علمه الى الله تعالى وهو قول جمهور اهل السنة * وقال فى الوصية نقر بان الله تعالى يحي هذه النفوس بعد الموت يبعثهم الله يوما كان مقداره خمسين الف سنة للجزاء والثواب واداء الحقوق * لقوله تعالى * ان الله يبعث من فى القبور انتهى * ولقوله تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا * واذا الوحوش حشرت * وهو الذى يبدئ الخلق ثم يعيد * كما بدأنا اوّل خلق نعيده * ثم انكم يوم القيمه تبعثون * ففى هذه الآيات رد على الفلاسفة حيث انكر واحشر الاجساد * وقد ذكر الامام الرازى على طريق ارخاء العنان مع الخصم فى ميدان البيان * حيث قال فانا اذا آمنا بالبعث وتهيأنا له فان كان حقا فقد نجونا وهلك المنكرون * وان كان باطلا لا يضرنا هذا الاعتقاد * غاية ما فى الباب ان تفوتنا هذه اللذات الجسمانية والواجب على العاقل ان لا يبالى بفواتها لكونها فى غاية الخساسة اذ هى مشتركة بين الخنافس والديدان والكلاب ولانها منقطعة سريعة الزوال والفناء فثبت ان الاحتياط فى الايمان بالمعاد * ولهذا قال الشاعر *

﴿شعر﴾ زعم المنجم والطبيب كلاهما * لن يحشر الاموات قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر * وان صح قولى فالخسار عليكما

انتهى كلامه * ونقل البيتان عن على كرم الله وجهه انه من قبيل قوله تعالى وانا واياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين لان الاعتقاد بالمعاد على وجه الاحتياط صحيح فى مقام الاعتماد * لان العلم اليقينى لابد للمجتهد والحكم الجزئى للمقلد من الادلة اليقينية الحاصلة فى الدلالة النقلية كقوله تعالى * ام حسب الذين اجترحوا السيآت ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون * ثم من المعقول فى المسئلة * ان الحكمة تقتضى الفصل بين المحق والمبطل على وجه يضطر المبطل الى معرفة حاله فى البطلان لئلا يبقى له ريبة فى ذلك الشان وليست الدنيا بدار هذا الاضطرار * لانها خلقت للابتلاء والاختيار فلابد من دار يقع على هذا الامر المختار ولذا قال الله تعالى * ان يوم الفصل كان ميقاتا * ولان الحكمة تقتضى جزاء كل عامل على حسب عمله وقد ينعم على

المعاصى

المعاصى ويبتلى المطيع فى دار الدنيا للابتلاء فلابد من دار الجزاء ولان جزاء العمل الصالح نعمة لايشعر بها نقمة * وجزاء العمل السيئ نقمة لايشعر بها نعمة ونعم الدنيا مشوبة بالنقم ونقمها بالنعم فلابد من دار يحصل فيها كمال الجزاء لانه قد يموت المحسن والمسئ قبل ان يصل اليهما ثواب وعقاب فلو لاحشر ونشر يصل الثواب الى المحسن والعقاب الى المسئ لكانت هذه الحيوة الدنيا عبثا * وقد قال سبحانه * وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لايعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين (وكل ما) وفى نسخة وكل شئ (ذكره العلماء بالفارسية) اى بغير العبارة العربية (من صفات الله تعالى) اى المتشابهات كالوجه والقدم والعين * وفى نسخة من صفات البارى (عزت اسماؤه) اى غلبت على الافهام (وتعالت صفاته) اى ارتفعت عن الاوهام (فجاز القول به) اى بان نتبعهم فى التعبير عن اسمائه وصفاته حسب ماذكره العلماء باختلاف لغاته (سوى اليد بالفارسية) اى فانه لايجوز تعبيرها بالفارسية كما فى نسخة اى بغير عبارة وردت فى الكتاب والسنة ومفهوم انه يجوز للعلماء وغيرهم ان يعبر وافى صفته ونعته بذكر اليد ونحوها على وفق ماوردبها كمايقال * بيده ازمة التحقيق والله ولى التوفيق ويتفرع على الحصر المذكور بالوجه المسطور قوله (ويجوز ان يقال بروى خدا) بضم الرأ وسكون الواو اى وجه الله (بلا تشبيه ولا كيفية) اى مقرونا بنفى التشبيه والكيفية من الهيئة والكمية كمايقتضيه التنزيه * واذا كان القول مقرونا بالتنزيه ونفى التشبيه فالفرق بين اليد والوجه تدقيق محتاج الى تحقيق * ثم رأيت ان السلف اجمعوا على عدم تأويل اليد وتبعهم الاشعرى فى ذلك بخلاف سائر الصفات فان فيها خلافا عنهم بين التأويل والتعريض (وليس قرب الله) اى من ارباب الطاعة (وبعده) اى عن اصحاب المعصية كمافى حديث * ان السخى قريب من الله والبخيل بعيد عن الله (من طريق طول المسافة) اى الحسية المعبر عنها بالمسامة (وقصرها) بل المراد بهما القرب والبعد المعنوى كمايستفاد من منطوق قوله سبحانه * ان رحمة الله قريب من المحسنين * والمفهوم منه انه بعيد من المسيئين (ولا على معنى الكرامة والهوان) اى وليسا محمولين على معنى الكرامة والاحسان والمنزلة والهوان فان هذا تأويل فى مقام اهل العرفان والامام جعلهما من باب المتشابه فى مقام الايقان ولذا قال (ولكن المطيع قريب منه بلا كيف) اى من غير التشبيه (والعاصى بعيد عنه بلا كيف) اى بوصف التنزيه (والقرب والبعد والاقبال) اى وضده وهو الاعراض (يقع على

المناجى) اى يطلق ايضا على العبد المتضرع الى الله المتذلل لديه طالبا لرضاه كما فى قوله تعالى * واسجد واقترب * اى اسجد لله وتقرب الى رضاه * وفى الحديث * اقرب مايكون العبد الى الله وهو ساجد * لكنه بلا كيف كما يدل عليه تقييد ماقبله ومابعده به حيث قال (وكذلك جواره) بكسر الجيم اى مجاورة العبد (فى الجنة) اى فى مقام القربة (والوقوف) اى فى القيامة (بين يديه بلا كيف) اى من غير وصف وبيان كشف كما فى قوله تعالى * ولمن خاف مقام ربه جنتان * وقد ابعد شارح هنا حيث قال * القرب والبعد يقع على المناجى لا على الله تعالى الا ترى ان القرب والبعد كان على معنى الكرامة والهوان * وان الله تعالى اقرب الى العبد من حبل الوريد انتهى * ولا يخفى مافى كلامه من التناقض حيث يفهم من حمله ان القرب والبعد يقع حقيقة بطريق المسافة على المناجى دون الله سبحانه ثم حمله لهما على معنى الكرامة والهوان الذى هو نص على معنى المجازى ثم قوله تعالى ان الله تعالى اقرب اليه من حبل الوريد حيث اثبت له القرب من البعد مع ان نسبة القرب والبعد متساوية فى الرب والعبد فالتحقيق فى مقام التوفيق ان مختار الامام ان قرب الحق من الخلق وقرب الخلق من الحق وصف بلا كيف ونعت بلا كشف والجمهور يؤولونها ويحملونها على قرب رحمته بطاعته وبعد نقمته بمعصيته هذا بلسان ارباب العبارات واصحاب الاشارات معنى القرب الى الرب ان ترى نعمته وتشاهد منته فى جميع حالاتك وتغيب فيها عن رؤية افعالك ومجاهدة ذواتك * وقال بعض ارباب المزيد فى قوله تعالى (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) انه سبحانه لفرط قربه بك لا تراه ولغلبة بعدك عنه ترى شيئا سواه وهذا تمام لمن يطلب معرفة مولاه ولا يصح الطلب الا لمن خالف هواه (والقرآن منزل) بالتشديد اى نزل منجما (على رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى فى ثلثة وعشرين عاما (وهو فى المصحف) اى فى جنسه وفى نسخة فى المصاحف (مكتوب) اى مزبور ومسطور * وفيه ايماء الى ان مابين الدفتين كلام الله على ماهو مشهور (وآيات القرآن كلها) اى جميعها (فى معنى الكلام) اى فى مقام المرام سواء تكون فى رحمة الله ومدح اولياءه او فى غضب الله وذم اعداءه وسائر الاحكام المتعلقة بحكم ابتلائه مستوية فى الفضيلة اى اللفظية (والعظمة) اى المعنوية (الا ان لبعضها فضيلة الذكر) اى باعتبار مبناها (وفضيلة المذكور) اى باعتبار معناها معا (مثل آية الكرسى لان المذكور فيها جلال الله) اى هيبته (وعظمته وصفته) * اى نعته الخاص بذاته (فاجتمعت فيها فضيلتان فضيلة الذكر وفضيلة المذكور) * ومثلها

سورة الاخلاص فانها مختصة بنعوت الاختصاص (وفى صفة الكفار) اى كسورة تبت ونحوها من اموال الفجار (فضيلة الذكر فحسب) بسكون السين اى فقط (وليس فى المذكور) وهم الكفار (فضيلة) تأكيد لماقبله وتصريح بماعلم ضمنا من مفهومه فماورد فى فضائل القرآن (وسور منه وآيات) محمول على ماذكرنا جمعا بين اختلاف روايات (وكذلك الاسماء) اى نحو الله الاحد الصمد الملك الواحد الفرد (والصفات) اى نحو له الملك وله الحمد وله الكبرياء والمجد (كلها مستوية فى الفضيلة) اى بحسب اللفظ (والعظمة) اى باعتبار المعنى (لاتفاوت بينهما) * اى من حيث اطلاقهما على ذاته وصفاته كليهما وهو لاينافى ان يكون بعض الاسماء وبعض الصفات اعظم من بعضها على ماثبت فى الاحاديث الواردة فى فضل الاسم الاعظم والله اعلم * وقد روى الحاكم الشهيد فى المنتقى عن ابى حنيفة ره انه قال لاعذر لاحد فى الجهل بخالقه لما يرى من خلق السموات والارض وخلق نفسه * وعنه رضى الله عنه ايضا انه قال (لولم يبعث الله رسولا لوجب على الخلق معرفته بعقولهم * فالفرق بيننا وبين المعتزلة القائلين بالحسن والقبح العقليين ماذكره الاستاذ ابو منصور وعامة مشايخ سمرقند ان العقل عندهم اذا ادرك الحسن والقبح يوجب بنفسه على الله وعلى العباد مقتضاهما * وعندنا الموجب هو الله تعالى يوجبه على عباده * ولايجب عليه سبحانه شئ باتفاق اهل السنة * والعقل عندنا آلة يعرف بها ذلك الحكم بواسطة اطلاع الله العقل على الحسن والقبح الكائنين فى النقل ١ * والفرق بيننا وبين الاشاعرة انهم قائلون بانه لايفرق فى حكم من احكام الله الابعد بعثة نبى ونحن نقول قد يفرق ببعض الاحكام قبل البعثة بخلق الله تعالى العلم به اما بلا كسب كوجوب تصديق النبى وحرمة الكذب الضار * واما مع كسب بالنظر والفكر وقد لايعرف الا بالكتاب والنبى عليه الصلوة والسلام كاكثر الاحكام وقال ائمة بخارى ٢ لايجب الايمان ولايحرم الكفر قبل البعثة كقول الاشاعرة * وحملوا المروى عن ابى حنيفة ره على ما بعد البعثة * قال ابن الهمام ره * وهذا الحمل ممكن فى العبارة الاولى دون الثانية * الا انه قرر فى تحريره انه يجب حمل الوجوب فى قوله (لوجب عليهم معرفته بعقولهم) على معنى ينبغى حمل الوجوب على المعنى العرفى وهو الاليق والاولى لان تسمية الافعال طاعة ومعصية قبل البعثة تجوز اذهما فرع الامر والنهى فاطلاق الطاعة والمعصية قبل ورود الامر والنهى مجاز من قبيل اطلاق الشئ على مايؤل اليه فكيف يتحقق طاعة اومعصية قبل ورود امر ونهى * قال ابن الهمام بل يجوز العقل العقاب بلاذكر اسمه شكرا فلولا انه سبحانه لم اطلق بفضله ذكر اسمه سمعا ووعد عليه اجرا حيث قال (فاذكرونى اذكركم) ونحوه نخاف من القبح بعقل عظمة كبريائه وجلاله من ان يسميه تعالى بلسان فى جميع اموال اذيرى انه احقر من غير ذلك

١ فى الفعل

٢ منا

فسبحانه من تقرب الى خلقه بفضله وعظمه يراه انتهى * وقد يجمع بين القولين بانه لايلزم من الوجوب مايترتب على تركه العقاب فلاينافى قوله فى الكتاب (وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا) ولايحتاج حينئذ الى تقييد العذاب بالدنيا ولاالى تعميم الرسول للعقل والنقل * قال ابن الهمام وثمرة هذا الخلاف تظهر فيمن لم تبلغه دعوة الرسول فلم يؤمن حتى مات فهو مخلد فى النار عند المعتزلة كالفريق الاول من الحنفية دون الفريق الثانى ومنهم الاشاعرة * واذا لم يكن مخاطبا بالاسلام عند هؤلاء فاسلم اى وحد هل يصح اسلامه بمعنى انه يثاب فى الآخرة عند الحنيفة كاسلام الصبى الذى يعقل معنى الاسلام والتكليف * وذكر بعض مشايخ الحنيفة انه سمع ابا الخطاب من مشايخ الشافعية يقول لايصح ايمان من لم تبلغه دعوة كايمان الصبى عندهم اوعلى المرجح من مذهبهم * خلافا للائمة الثلاثة * لان النبى صلى الله عليه وسلم دعى عليا الى الاسلام فاجابه مع الاجماع على ان عباداته من صلوته وصومه ونحوهما صحيحة * واما مانقله البيهقى من ان الاحكام انما علقت بالبلوغ بعد الهجرة عام الخندق * واما قبل ذلك كانت منطوية بالتميز فيحتاج الى بيان ذلك وكيفية وقوعه هنا لك على ان امور الاسلام فى تكاليف الاحكام كانت تدريجية من الاهون الى الاصعب لابالعكس * ولذا كان التكليف اولا بالتوحيد ثم زيد الصلوة والزكوة ونحوها كما هو مقتضى حكمة الحكيم المجيد * ثم من فروع هذا الاصل ماذكره حجة الاسلام حيث قال يجوز لله ان يكلف عباده مالايطيقونه خلافا للمعتزلة * اذلو لم يجز لاستحال سؤال دفعه وقد سألوا ذلك فقالوا (ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به) ولانه سبحانه اخبر ان اباجهل لايصدقه ثم امره بان يصدقه بجميع اقواله * ومن جملتها انه لايصدقه فكيف يصدقه فى انه لايصدقه وهذا محال انتهى وذكر غيره الا انه قال ابولهب بدل ابى جهل وهو الانسب * قال ابن الهمام ره * ولايخفى ان الدليل الاول ليس فى محل النزاع وهو التكليف بالطاقة اذ عند القائلين بامتناعه يجوز ان يحمله جبلا فيموت اما عند المعتزلة فبناء على جواز انواع الايلام بقصد العوض وجوبا * واما عند الحنفية المانعين منه ايضا تفضلا بحكم وعده على المصائب * ولايجوز ان يكلفه ان يحمل جبلا بحيث اذا لم يفعل يعاقب وجوزه الاشاعرة * قال الله تعالى * لايكلف الله نفسا الا وسعها * وعلى هذا النص ذهب المحققون ممن جوزه عقلا من الاشاعرة الى امتناعه سمعا وان جاز عقلا اى والالزم وقوع خلاف خبره سبحانه اما الفعل المستحيل باعتبار سبق العلم الازلى بعدم وقوعه لعدم امتثاله مختارا وهو مما يدخل تحت قدرة العبد عادة فلا خلاف فى وقوعه كتكليف ابى جهل وغيره من الكفرة بالايمان مع العلم بعدم ايمانه والاخبار به لما تقدم من انه لاائر للعلم فى سلب قدرة المكلف وفى خبره على المخالفة * قال ومن فروعه ايضا وهو ان لله ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ولا ثواب لاحق خلافا للمعتزلة حيث لم يجوزوا ذلك الابعوض اوجرم والا لكان ظلما غير لايق بالحكمة * ولذا

اوجبوا ان يقتص بعض الحيوانات من بعض انتهى * وقد سبق ان الظلم فى حقه تعالى محال وانه سبحانه لا يجب عليه شئ محال ففعله اما عدل واما فضل (ووالدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتا على الكفر) هذا رد على من قال انهما ماتا على الايمان اوماتا على الكفر ثم احياهما الله فماتا فى مقام الايقان * وقد افردت لهذه المسئلة رسالة ودفعت ماذكره السيوطى رحمه الله فى رسايله الثلثة فى تقوية هذه المقالة بالادلة الجامعة المجتمعة من الكتاب والسنة والقياس واجماع الائمة * ومن غريب ماوقع فى هذه القضية انكار بعض الجهلة من الحنفية رحمه الله على فى بسط هذا الكلام بل اشار الى انه غير لايق بمقام الامام * وهذا بعينه كما قال الضال جهم بن صفوان وددت ان امك من المصحف قوله تعالى ثم استوى على العرش واشارة الضال للاخر وهو احمد بن ابى داود القاضى الى الخليفة المأمون ان يكتب على سترة الكعبة ليس كمثله شئ وهو العزيز الحكيم * وقول الرافضى الاكبر انه برئ من المصحف الذى فيه نعت الصديق الاكبر * وفى نسخة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مات على الايمان * وليس هذا فى اصل شارح تصدى بهذا الميدان لكونه ظاهرا فى معرض البيان ولايحتاج الى ذكره لعلوه فى هذا الشان * ولعل مرام الامام على تقدير صحة ورود هذا الكلام انه صلى الله عليه وسلم من حيث كونه نبيا من الانبياء وهم كلهم معصومون عن الكفر فى الابتداء والانتهاء نعتقد انه مات على الايمان * واما غيره من الاولياء والعلماء والاصفياء بالاعيان * فلانجزم بموتهم على الايمان وان ظهر منهم خوارق العادات وكمال الحالات وجمال انواع الطاعات فان مبنى امره على العيان وهو مستور على افراد الانسان ولذا كانت العشرة المبشرة وامثالهم خائفين من انقلاب احوالهم وسوء آمالهم * واعلم ان للسلف فى الشهادة بالجنة ثلثة اقوال * احدها ان لا يشهد لاحد الا للانبياء وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية والاوزاعى وهذا امر قطعى لانزاع فيه * والثانى ان يشهد لكل مؤمن جاء فى حقه وهذا قول كثير من العلماء لكنه ظنى * والثالث ان يشهد ايضا لمن شهد له المؤمنون كما فى الصحيحين انه مر بجنازة فاثنوا عليها

الى آدم عم وابو طالب مات كافرا والسكوت فى الآباء الكرام احوط بحر المذاهب * ومذهب اهل حق آنست كه مادر وپدر پيغمبر عليه افضل الصلوه والسلام بر كفر بودند وايشان بنقل درست ثابت شده ست معتمد فى المعتقد للمحدث توره پشى رحمه الله * اعلم ان الفقه الاكبر المشهور المنسوب الى الامام ابى حنيفة رح من تصانيف ابى حنيفة رح يوسف البخارى لامن تصنيف الامام الاعظم والفقه الاكبر من الامام غير الفقه الاكبر المتداول بين الناس * والغلط انما نشأ من اشتراك اسم المصنف واسم الكتاب * وليس فى كتاب الامام ووالداه ماتا على الكفر وقد وقع فى الغلط من هذا الاشتراك ملا على القارى وشرح الفقه الاكبر المشهور زعما منه انه من

الامام وليس كذلك * ٧ اعلم انه ذكر المولوى جعفر البولكانى علامة عصران اربعة وعشرون رجلا من العلما كان كنتيهم ابوحنيفة رحمهم الله فتح القونوى فى اسلام آباء النبى لمولوى هاشم السندى رح

بخير * فقال النبى صلى الله عليه وسلم (وجبت) ومر باخرى فاثنوا عليها بشر فقال (وجبت) فقال عمر يارسول الله ما وجبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا وجبت له النار انتم شهداء الله فى الارض هذا امر ظاهرى غالبى والله اعلم

(وابو طالب عمه) اى عم النبى صلى الله عليه وسلم واب على رضى الله عنه **(مات كافرا)** فقد ورد انه لما حضر اباطالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده اباجهل وآخرين فقال صلى الله عليه وسلم ياعم قل كلمة احاج لك بها عند الله * فقال ابوجهل اترغب عن ملة عبد المطلب) وتكرر هذا الكلام فى ذلك المقام حتى قال ابو طالب فى آخر المرام انا على ملة ابى عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله * فقال صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك مالم انه عنك * فانزل الله تعالى (ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ماتبين لهم انهم اصحاب الجحيم) وانزل الله فى ابى طالب (انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء رواه البخارى ومسلم **(وقاسم وطاهر وابراهيم كانوا بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم)** اى ابنائه صلى الله عليه وسلم * اما القاسم فهو اوّل ولد له عليه الصلوة والسلام قبل النبوة وبه كان يكنى وعاش حتى مشى) وقيل (عاش سنتين * وقيل بلغ ركوب الدابة * والاصح انه عاش سبعة عشر شهرا ومات قبل البعثة * وفى مستدرك العربانى مايدل على انه توفى فى الاسلام وهو اول من مات من اولاده عليه الصلوة والسلام * واما طاهر فقال الزبير بن بكار كان له عليه الصلوة والسلام سوى القاسم وابراهيم عبد الله مات صغيرا بمكة ويقال له الطيب والطاهر ثلثة اسماء وهو قول اكثر اهل النسب وهو قول ابو عمر وقال الدار قطنى هو الاثبت وسمى (عبد الله) بالطيب والطاهر لانه ولد بعد النبوة * وقيل عبد الله غير الطيب والطاهر كما حكاه الدار قطنى وغيره * وقيل كان له الطيب والمطيب ولد فى بطن * والطاهر والمطهر ولدا فى بطن كما ذكره صاحب الصفوة * واما ابراهيم فولده عليه الصلوة والسلام من الجارية القبطية * وقد قال بعد موته (القلب يحزن والعين تدمع ولانقول مايسخط الرب وانا على فراقك يا ابراهيم لمحزون وتوفى وله سبعون يوما او اكثر وصلى اليه النبى صلى الله عليه وسلم بالبقيع * وقال ندفنه عند قبر عثمان بن مظعون اخوه عليه الصلوة والسلام فى الرضاعة

(وفاطمة وزينب ورقية ٢ وام كلثوم كن بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهن) وفى نسخة تقديم رقية على زينب بناء على اختلاف فى ان زينب اكبر بناته وعليه اكثرهم او رقية كما ذهب بعضهم فعند ابى اسحق ان زينب ولدت فى سنة ثلاثين من مولد النبى صلى الله عليه وسلم وادركت الاسلام وهاجرت وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها وابن خالتها ابى العاص (لقيطه) وقد ولدت له عليا مات صغيرا قد نهز الحلم * وكان رديف

رقية بضم الراء وفتح القاف وفتح الباء المشددة

رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته يوم الفتح وولدت له ايضا امامة التى حملها صلى الله عليه وسلم فى صلوة الصبح على عاتقه وكان اذا ركع وضعها واذا رفع رأسه من السجود اعادها * وتزوجها على ابن ابى طالب بعد موت فاطمة رضى الله عنها * واما فاطمة الزهراء البتول * فولدت منه سنة احدى واربعين من مولد النبى صلى الله عليه وسلم فتقديمها على زينب لتقدمها بحسب الرتبة * فقد ورد مرفوعا انما سميت فاطمة لان الله تعالى قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيمة اخرجه الحافظ الدمشقى * وروى النسائى مرفوعا لان الله تعالى فطمها ومحبيها عن النار وسميت بتولا لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا ونسبا * وقيل لانقطاعها عن الدنيا * وتزوجت بعلى ابن ابى طالب رضى الله عنه فى السنة الثانية * وكان تزوجها بامر الله ووحيه وكانت احب اهله اليه صلى الله عليه وسلم * واذا اراد سفرا يكون آخر عهده بها * واذا قدم اوّل ما يدخل عليها * وقال (فاطمة بضعة منى فمن اغضبها فقد اغضبنى) رواه البخارى * وفى رواية مسلم قال لها (اوما ترضين ان تكون سيدة نساء المؤمنين) وفى رواية احمد (افضل نساء اهل الجنة * وتوفيت بعده صلى الله عليه وسلم بستة اشهر وهى ابنة تسع وعشرين سنة * وقد ولدت لعلى حسنا وحسينا سيدا شبان اهل الجنة كما ثبت فى السنة ومحسنا فمات محسن صغيرا وام كلثوم وزينب ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم عقب الا من ابنته فاطمة رضى الله عنها فانتشر نسله الشريف منها فقط من جهة السبطين اعنى الحسنين * واما رقية فولدت سنة ثلث وثلاثين من مولده عليه الصلوة والسلام وكانت تحت عتبة بن ابى لهب واختها ام كلثوم تحت اخيه عتيبة (بالتصغير) فلما نزلت (تبت يدا ابى لهب) قال لهما ابو لهب رأسى من رأسكما حرام ان لم تفارقا ابنتى محمد (صلى الله عليه وسلم) ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة وهاجر بها الهجرتين * وتوفيت والنبى صلى الله عليه وسلم ببدر * وعن ابن عباس انه لما غزى صلى الله عليه وسلم بها قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات * واما ام كلثوم فقد ورد انه لما توفيت رقية خطب عثمان ابنت عمر رضى الله تعالى عنه (حفصة) فرده فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم * فقال يا عمر ادلك على خير لك من عثمان وادل على عثمان على خير له منك قال نعم يا نبى الله قال تزوجنى ابنتك وازوج عثمان ابنتى اخرجه الحجندى * وروى انه عليه الصلوة والسلام قال له والذى نفسى بيده لو ان عندى مائة بنت يمتن واحدة بعد واحدة زوجتك اخرى * هكذا جبرائيل اخبرنى ان ازوجكها رواه الفضايلى * ولم يذكر الامام ازواج النبى عليه الصلوة والسلام وانا اذكرهن اجمالا فى مقام المرام * **فامهات المؤمنين** * خديجة * وسودة * وعايشة * وحفصة * وام سلمة * وام حبيبة * وزينب بنت جحش * وزينب بنت خذيمة * وميمونة * وجويرية * وصفية (رضى الله تعالى عنهن) وهن احدى عشرة من ازواجه اللاتى دخل بهن لاخلاف بين اهل السير والعلم بالاثر فى حقهن * وقد ذكر

انه عليه الصلوة والسلام تزوج تسعة من غيرهن هذا * وفى الوصية وعايشة رضى الله عنها افضل نساء العالمين وهى ام المؤمنين ومطهرة عن الزنا وبرية عما قال الروافض فمن شاهد عليها بالزنا فهو ولد الزنا انتهى * ولا يخفى ان من قذفها بالزنا فهو كافر بالآيات القرآنية الواردة فى براءة ساحتها مما نسب اليها من الامور النفسانية * واما من سببها بسبب محاربتها ومخالفتها لعلى رضى الله عنه فهو ضال مبتدع غال فاجر والله اعلم بالسراير * واما قوله انها افضل نساء العالمين * فمحتمل نساء عالمى زمانها او نساء العالمين جميعها وهل يدخل فيهن خديجة وفاطمة ومريم على اختلاف وردفى حقهن بحسب تفاوة الاحاديث الثابتة فى فضلهن * وسيأتى تفصيل بعضهن فى المحل الاليق بهن * ثم قول الامام فهو ولد الزنا لا يخلو عن غرابة فى مقام المرام كما لا يخفى على ذوى الافهام بالاحكام * ولعله محمول على التشبيه البليغ والمعنى فهو كولد الزنا فى كونه شر الثلاثة كما ورد يعنى بحكم غلبة الواقعة (واذا اشكل) اى التبس (على الانسان) اى من اهل الايمان (شئ من دقايق علم التوحيد) اى ولم يتحقق عنده حقايق مقام التفريد ومرام التمجيد ٢ (فينبغى له) اى يجب عليه (ان يعتقد ما هو الصواب عند الله تعالى) اى بطريق الاجمال (الى ان يجد عالما) اى عارفا بحقيقة الاحوال (فيسئله) اى ليعلم الايمان التفصيلى على وجه الكمال (ولا يسعه تأخير الطلب) اى عند تردده فى صفات الجلال او نعوت الجمال (ولا يعذر بالوقف فيه) اى بتوقفه فى معرفة هذه الاحوال وعدم تفحصه بالسؤال (ويكفر) اى فى الحال (ان وقف) اى بان توقف على بيان الامر فى الاستقبال لان التوقف موجب للشك وهو فيما يفترض اعتقاده كالانكار * ولذا ابطلوا قول الثلجى من اصحابنا حيث قال اقول بالمتفق وهو انه كلامه تعالى ولا اقول مخلوق او قديم هذا والمراد بدقايق علم التوحيد اشياء يكون الشك والشبهة فيها منافيا للايمان ومناقضا للايقان بذات الله وصفاته ومعرفة كيفية المؤمن به واحوال آخرته فلا ينافى ان الامام توقف فى بعض الاحكام لانها فى شرايع الاسلام فالاختلاف فى علم الاحكام رحمة * والاختلاف فى علم التوحيد والاسلام ضلالة وبدعة * والخطاء فى علم الاحكام مغفور بل صاحبه مأجور * بخلاف الخطأ فى علم الكلام فانه كفر وزور وصاحبه مأزور (وخبر المعراج) اى بجسد المصطفى صلى الله عليه وسلم يقظة الى السماء ثم الى ماشاء الله من المقامات العلى (حق) اى حديثة ثابتة بطريق متعددة (فمن رده) اى ذلك الخبر ولم يؤمن بمقتضى ذلك الاثر (فهو ضال مبتدع) اى جامع بين الضلالة والبدعة * وفى الخلاصة من انكر المعراج ينظر ان انكر الاسراء من مكة الى بيت

المقدس فهو كافر * وان انكر المعراج من بيت المقدس لايكفر وذلك لان الاسراء من الحرم الى الحرم ثابتة بالآية وهى قطعية الدلالة * وهو وقوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده الآية * والمعراج من بيت المقدس الى السماء ثبت بالسنة وهى ظنية الرواية * وقد افردت فى هذه المسئلة المصورة رسالة مختصرة وسميتها بالمنهاج العلوى فى المعراج النبوى * وقد اغرب شارح العقايد فى تأويل قول عايشة رضى الله عنها (ما فقد جسد محمد المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى ليلة المعراج) حيث قال معناه ما فقد جسده عن الروح بل كان معه روحه انتهى * وغرابته لاتخفى * والتأويل الصحيح ان المعراج كان بمكة فى اوائل البعثة حين لم تكن ٢ عائشة رضى الله عنها عنده اويقال القضية كانت متعددة * ولذا اختلف فى الانتهاء * فقيل الى الجنة * وقيل الى العرش وقيل الى مافوقه وهو مقام (دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى * ولايلزم من تعدد الواقعة فرض الصلوات كل مرة كما توهم ابن القيم معترضا (وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج) كما قال الله تعالى (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون (وطلوع الشمس من مغربها) كما قال الله (يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا (ونزول عيسى عليه الصلوة والسلام من السماء) قال الله تعالى (وانه لعلم للساعة) وقال وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته * وفى نسخة قدم طلوع الشمس على البقية وعلى كل تقدير فالواو لمطلق الجمعية والافترتيب القضية ان المهدى يظهر اولا فى الحرمين الشريفين ثم يأتى بيت المقدس * فيأتى الدجال ويحضره فى ذلك الحال * فينزل عيسى عليه السلام من المنارة الشرقية فى دمشق الشام ويجئ الى قتال الدجال فيقتله بضربة فى الحال فانه يذوب كالملح فى الماء عند نزول عيسى عليه السلام من السماء فيجتمع عيسى عليه السلام بالمهدى وقد اقيمت الصلوة فيشير المهدى لعيسى عليه السلام بالتقديم فيمتنع معللا بان هذه الصلوة اقيمت لك فانت اولى بان تكون الامام فى هذا المقام ويقتدى به ليظهر متابعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما اشار الى هذا المعنى صلى الله عليه وسلم بقوله (لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى * وقد بينت وجه ذلك عند قوله تعالى (واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول) فى شرح الشفاء وغيره * وقد ورد انه يبقى فى الارض اربعين سنة ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه على ما رواه الطبرانى فى مسنده * وروى غيره انه يدفن بين النبى صلى الله عليه وسلم والصديق رضى الله عنه * وروى انه يدفن عند الشيخين فهنيئا للشيخين حيث اكتنفا ٢ بالنبيين * وفى رواية انه يمكث سبع سنين قيل وهى الاصح * والمراد بالاربعين فى الرواية الاولى مدة مكثه قبل الرفع وبعده فانه رفع وله ثلاث وثلثون سنة وفى شرح العقايد الاصح ان عيسى عليه السلام يصلى بالناس ويؤمهم ويقتدى به المهدى لانه

لم تكن

افضل وامامته اولى انتهى ولاينافى ماقدمناه كمالايخفى * ثم يظهر يأجوج ومأجوج فيهلكهم الله اجمعين ببركة دعائه عليهم * ثم يموت المؤمنون وتطلع الشمس من مغربها ويرفع القرآن كما روى ابن ماجة من حديث حذيفة (يندرس الاسلام كما يندرس وشى الثوب حتى لايدرى صيام ولا صلوة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله فى ليلة فلا يبقى فى الارض منه آية * وروى البيهقى فى شعب الايمان عن ابن مسعود رضى الله عنه اقرؤا القرآن قبل ان يرفع فانه لاتقوم الساعة حتى يرفع * قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف مافى الصدور قال يفدى عليهم ليلا فيرفع من صدورهم فيصبحون ويقولون كنا نعلم شيأ * ثم يقولون ٢ فى الشعر (قال القرطبى وهذا انما يكون بعد موت عيسى عليه السلام وبعد هدم الحبشة الكعبة * وتفاصيل هذه الاحوال ليس فى هذا المحل بيان بسطها وكأنه ابهم الامام بقوله (وسائر علامات يوم القيمة) اذ يكفى الايمان الاجمالى بما فى الكتاب والسنة (على ماوردت به) اى على وفق ماجاءت به (الاخبار الصحيحة) بل الآيات الصريحة بالنسبة الى بعض اشراطها (حق كائن) اى ثابت وامر قديم (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) اى من جمال فضله وان كان سبحانه كما قال والله يدعو الى دار السلام عموم الانام بمقتضى عدله فختم الامام معتقده بالهداية الخاصة الخالصة فنقتدى به فى طلب الخاتمة باستمرار حالة البداية الى مقام النهاية مقرونا بعين العناية وزين الحماية عما يؤدى الى الضلالة والغواية فنسال الله العفو والعافية ودوام الرعاية ثم اعلم ان الامام صنف الفقه الاكبر فى حال الحيوة والوصية عند الممات وقد ذكرت عبارتهما بالمستوفات

الى هنا شرح الفقه الاكبر لعلى القارى وتليه المسائل الاعتقاديات له ايضا

وههنا مسائل ملحقات لابد من ذكرها فى بيان الاعتقاديات

ولوكانت من الامور الخلافيات * ليتم بها المقاصد ويكمل بها العقايد * وذلك لان حد اصول الدين علم يبحث فيه عما يجب به الاعتقاد (وهو قسمان) قسم يقدح الجهل به فى الايمان كمعرفة الله وصفاته الثبوتية والسلبية والرسالة والنبوة وامور الآخرة (وقسم) لايضر كتفضيل الانبياء على الملائكة فقد ذكر السبكى فى تأليف له (لو مكث الانسان مدة عمره ولم يخطر بباله تفضيل النبى على الملك لم يسأل الله عنه انتهى * وعرف صاحب المقاصد علم الكلام بانه (العلم بالعقايد الدينية عن الأدلة اليقينية فالقسم الثانى من الملحقات فمن شاء فليقتصر على ماقدمناه ومن شاء زيادة الفائدة فليتعلق بما الحقناه (فمنها تفضيل بعض الانبياء على بعضهم) وهو قطعى بحسب الحكم الاجمالى حيث قال الله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) وقال الله تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) واما بحسب الحكم التفصيلى فالامر ظنى والمعتمد ٢ ان افضل الخلق نبينا حبيب الحق وقد ادعى بعضهم الاجماع على ذلك فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما (ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء وفى حديث مسلم والترمذى عن انس رضى الله عنه (انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر) زاد احمد والترمذى وابن ماجة عن ابى سعيد رضى الله (وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائى وانا اوّل من تنشق عنه الارض ولا فخر وانا اوّل شافع واوّل مشفع ولا فخر وروى الترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه ولفظه (انا اوّل من تنشق عنه الارض فاكتسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيرى * واما ماورد من حديث فلا تخيرونى على موسى (عليه السلام) ولا تفضلونى من بين الانبياء ولاينبغى لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى (عليه السلام) فمأول بما بيناه فى المرقاة شرح المشكوة * ومجمله ان المنع هو مخصوص بما يجر الى المنقصة او المخصوصة * واما ماذكره النووى فى شرح مسلم من انه ورد قبل العلم او محمول على التواضع فما استحسنهما الجمهور * وقال شارح عقيدة الطحاوى واما حديث فلا تفضلونى على يونس بن متى فقال بعض الشيوخ لا افسره حتى اعطى مالا جزيلا فلما اعطوه فسره (بان قرب يونس من الله وهو فى بطن الحوت كقرب محمد من الله فى ليلة المعراج) وعد واهذا تفسيرا عظيما وهذا يدل على جهلهم بكلام الله وكلام رسوله الى ان قال وهل يقول مؤمن ان مقامه الذى اسرى به الى ربه وهو معظم كريم ليس كمقام الذى القى فى بطن الحوت وهو مليم واين المكرم المقرب من الممتحن المؤدب * فهذا فى غاية التقريب * وهذا فى غاية التأديب وهل يقال هذا التقريب للدليل على نفى علو الله تعالى على خلقه الثابت بالادلة الصحيحة القطعية الصريحة التى تزيد على الف انتهى * ولايخفى انه لا

٢ والمعتمد

مرية فى ان مقام الاسراء اعلى واولى من ميقات موسى فضلا عن مقام يونس بن متى عليهما السلام * وانما الكلام على قربه سبحانه لا يستوى بكل منهم فى كل حال ومقام كما يدل عليه قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقوله (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد * واما علوه تعالى على خلقه المستفاد من نحو قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده * فعلو مكانته لا علو مكان كما هو مقرر عند اهل السنة والجماعة بل وسائر طوايف الاسلام من المعتزلة والخوارج وسائر اهل البدعة الا طائفة من المجسمة وجهلة من الحنابلة القائلين بالجهة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا * وقد اغرب الشارح حيث قال فى قوله (نزل به الروح الامين على قلبك) فى ذلك اثبات صفة العلو لله تعالى انتهى وغرابته لا تخفى اذ النزول والتنزيل تعديتهما بعلى والمراد بنزوله هنا من جهة السماء على ان الكلام فى علو الكلام على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نزاع فى هذا المقام * ولا يلزم من ذلك علو المكان للملك العلام * واما قوله وكلام السلف فى اثبات صفة العلو كثير جدا بعد ما ذكر بعض آيات والاحاديث الدالة على صفة الفوقية ونعت العلوية فمسلم الا انه مؤول كله بعلو مكانته * ثم قال ومنه ما روى عن ابى مطيع البلخى رحمه الله انه سأل ابا حنيفة رحمه الله عمن قال لا اعرف ربى فى السماء ام فى الارض فقال قد كفر لان الله تعالى يقول الرحمن على العرش استوى وعرشه فوق سبع سموات * قلت فان قال انه على العرش ولكن لا ادرى العرش فى السماء ام فى الارض قال هو كافر لانه انكر كونه فى السماء فمن انكر كونه فى السماء فقد كفر لان الله تعالى فى اعلى عليين فهو يدعى من اعلى لا من اسفل انتهى * والجواب انه ذكر الشيخ الامام ابن عبد السلام فى كتاب حل الرموز انه قال الامام ابو حنيفة رحمه الله من قال لا اعرف الله تعالى فى السماء هو ام فى الارض فقد كفر لان هذا القول يوهم ان للحق مكانا * ومن توهم ان للحق مكانا فهو مشبه انتهى * ولا شك ان ابن عبد السلام من اجل العلماء واوثقهم فيجب الاعتماد على ما نقله لا على ما نقله الشارح مع ان ابا مطيع رجل وضاع عند اهل الحديث كما صرح به غير واحد * والحاصل ان الشارح يقول بعلو المكان مع نفى التشبيه وتبع فيه طائفة من اهل البدعة وقد تقدم عن ابى حنيفة رحمه الله انه يؤمن بالصفات المتشابهات ويعرض عن تأويلها وينزه عن الله ظواهرها ويكل علمها الى عالمها كما هو طريقة السلف وكثير من الخلف ومذهبهم اسلم واعلم واحكم * ولقد اغرب حيث قال المكانة تأنيث المكان واراد انهما واحد فى المعنى ولم يفرق بين المنزلة المعنوية وبين المنازل الحسية مع انه اورد ما جاء فى الاثر اذا احب احدكم ان يعرف كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله فى قلبه فان الله ينزل العبد من نفسه حيث انزله العبد من قلبه * ثم قال وهو ما يكون فى قلبه من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وغير ذلك انتهى فهو من قبيل ما ورد فى قوله (حبك الشئ يعمى ويصم) وقد ثبت عن امام الحرمين فى نفى صفة العلو قوله (كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان * ومما ينقض القول بالعلو المكانى وضع الجبهة على الارض مع انه

ليس فى جهة الارض اجماعا * واما قول بشر المريسى فى حال السجود سبحان ربى الاعلى والاسفل فهو زندقة والحاد فى اسمائه * ومن الغريب انه استدل على مذهبه الباطل برفع الايدى فى الدعاء الى السماء وهو مردود لان السماء قبلة الدعاء بمعنى انها محل نزول الرحمة التى هى سبب انواع النعمة وموجب دفع اصناف النقمة ولو كان الامر كما قال هذا القائل فى مدعاه الباطل لوقع التوجه بالوجه الى السماء * وقد نهانا الشرع عن ذلك حال الدعاء لئلا يتوهم ان يكون المدعو فى السماء كما يشير اليه قوله تعالى (واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعانى) وقوله (فاينما تولوا فثم وجه الله * وقد ذكره الشيخ ابو معين النسفى امام ٢ هذا الفن فى تمهيده من ان المحققين فسروا ان رفع الايدى الى السماء فى حال الدعاء تعبد محض * قال شارح العلامة المستغنانى هذا جواب ما تمسك به علاة الروافض واليهود والكرامية وجميع المجسمة فى ان الله تعالى على العرش هذا * وقيل ان العرش جعلت قبلة للقلوب عند الدعاء كما جعلت الكعبة قبلة للابدان حال الصلوة وقد سبق ان هذا مما لا وجه له فانه مأمور باستقبال القبلة ايضا حال الدعاء وبرفع الايدى الى السماء وبعدم رفع الوجه الى جهة العلا فالوجه ما قدمناه مع ان التوجه الحقيقى انما يكون بالقلب الى خالق السماء * نعم نكتة رفع الايدى الى السماء انها خزاين ارزاق العباد كما قال الله تعالى (وفى السماء رزقكم) مع ان الانسان مجبور على الميل الى جهة يتوقع منها حصول مقصوده كالسلطان اذا وعد العسكر بالارزاق فانهم يميلون الى التوجه نحو صوب الخزينة وان تيقنوا ان السلطان ليس فيها * ثم جده ابراهيم على نبينا وعليه السلام افضل بعلا ففى الصحيح خير البرية ابراهيم عليه السلام فخص منه نبينا بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه الترمذى ان ابراهيم خليل الله الا انا حبيب الله فبقى الباقى على عموم

واعلم ان الخلة كمال المحبة * وانكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين زعما منهم ان المحبة لا تكون الا بمناسبة بين المحب والمحبوب وانه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة وكان اول من ابتدع هذا فى الاسلام هو الجعد بن درهم فى اوائل الاية الثمانية فضحى به خالد بن عبد القسرى امير العراق فى المشرق بواسطة خطب الناس يوم الاضحى فقال (ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فانى مضح بالجعد بن درهم) فانه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ثم نزل فذبحه وكان ذلك بفتوى اهل زمانه من علماء الدين والمعتقد ان محبة الله وخلته كما يليق به كسائر صفاته * ونقل بعضهم الاجماع على ذلك * (نوح * وموسى * وعيسى عليهم السلام افضل من) سائر الانبياء والخمسة هم اولوا العزم من الرسل عند جمهور العلماء * وقد جمعهم الله فى مواضع من كتابه حيث قال (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) فبدأ بنوح لانه اوّل المرسلين * ثم نبينا لانه خاتم النبيين * ثم ذكر بينهما من الثلاثة والظاهر ان نوحا افضل ثم موسى ثم عيسى لما سبق من تخصيص ابراهيم الخليل * وقال

٢ الاقلم

شيخ مشايخنا الجلال السيوطى لم اقف على نقل اى الثلاثة افضل انتهى * وقال عز من قائل فى موضع آخر (واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) بترتيب الاربعة وفق الوجود وقدم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تقدم رتبته فى عالم الشهود (ثم انه عليه الصلوة والسلام مبعوث الى كافة) الانام كما بينته فى غير هذا المقام * ومن جملة الادلة قوله تعالى * تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا * وقوله سبحانه (ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم) والله اعلم * وحديث مسلم بعثت الى الخلق كافة * فان قيل ما معنى قوله تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) قد جاء بالسيف للمعاندين والظالمين * فالجواب ما قاله الزمخشرى على وجه المثال انه سبحانه فجر عيوننا عديقة فيسقى ناس مواشيهم وزروعهم بمائها فيفلحون ويبقى ناس مفرطون عن السقى فيضعفون فالعين فى نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين لكن الكسلان جعلها محنة على نفسه حيث حرمها ولم ينتفعها هذا وفى شرح العقايد ان الاستدلال بقوله عليه الصلوة والسلام * سيد ولد آدم ولا فخر) ضعيف لانه لا يدل على كونه افضل من آدم بل من اولاده انتهى وفيه ان من اولاده من هو افضل منه كابراهيم بالاجماع فيكون نبينا افضل منه بلا نزاع مع انه قد يراد بولد آدم الجنس الانسانى كما ورد (يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى الحديث القدسى وقد جاء فى اول حديث الشفاعة انا سيد الناس يوم القيمة كما ذكره القونوى * ثم قال بل الاولى ان يستدل بقوله تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس انتهى * ولا يخفى فى عدم قوة هذا الاستدلال بالنسبة الى ما قدمناه من الاقوال ثم بيانه انه لما كانت امته خير الامم كان خير الانبياء كما اشار اليه صاحب البردة الا انه عكس القضية فى محصول الزبدة حيث قال *

﴿شعر﴾ لما دعى الله داعينا لطاعته * باكرم الرسل كنا اكرم الامم

* وهذا من جهة المنقول * واما من جهة المعقول فكما افاده العلامة القونوى فى شرح عمدة النسفى من ان الانسان اما ان يكون (ناقصا) كالعوام من الجهلاء او (كاملا) غير قادر على التكميل كالاولياء او (كاملا مكملا) كالانبياء وهذا الكمال والتكميل فى القوتين النظرية والعملية ورأس الكمالات فى القوة النظرية معرفة الله وفى القوة العملية طاعة الله تعالى * ومن كانت مرتبته فى كمالات هاتين المرتبتين اعلى كانت ولايته اكمل * ومن كانت درجته فى تكميل الغير فى هاتين المرتبتين اعلى كانت نبوته اكمل * فاذا ثبت هذا فنقول عند مقدم محمد صلى الله عليه وسلم كانت الشرايع باسرها مندرسة والحكمة باجمعها منطمة * وآثار الظلم بادية واعلام الجور باقية والكفر قد طبق الارض باكنافها والباطل ملأها باطرافها (فالعرب) اتخذوا الاصنام آلهة ووادا البنات شريعة لازمة والسعى فى الارض بالفساد عادة دائمة وسفك الدماء طبيعة راسخة والنهب والاغارة تجارة رابحة

(والفرس

(والفرس) اشتغلوا بعبادة النيران ووطى الامهات (والترك) مثابرون على تخريب البلاد وتعذيب من ظفروا به من العباد ومواظبون على الركض فى اطراف الارض من الطول الى العرض دينهم عبادة الاصنام ودأبهم ظلم الانام (وجمهور الهند) لايعرفون الاعبادة الاوثان واحراق انفسهم بالنيران (واليهود) مشتغلون بالتحريف والتشبيه وتكذيب المسيح والنصارى بالحلول والتثليث فلما ٢ بعث رسول الله الحق المصدق المؤيد بالاعلام الباهرة والمعجزات الظاهرة والملة الغراء والحجة البيضاء والدين القويم والصراط المستقيم داعيا الى مايقتضيه العقل صريح من التوحيد المحض الصحيح * والعبادات الخالصة والسنن العادلة والسياسات الفاضلة ورفض الرسوم الحادثة والعادات الفاسدة زالت هذه الجهالات الفاحشة والضلالات الباطلة وصارت الملة الحنيفية لائحة المنار باقية الآثار كثرة الاعيان قوية الاركان فى عامة البلدان * وانطلقت الالسنة بتوحيد الملك العلام واستنارت العقول بمعرفة خالق الانام * ويرجع الخلق من حب الدنيا الى حب المولى * ولما لم يكن معنى النبوة الا تكميل الناقص فى القوة العلمية * وهذا مقدمه صلى الله عليه وسلم كان اكمل واظهر واشمل واكثر واشهر مما كان لموسى وعيسى وغيرهما عليهم السلام فدعوة موسى مقصورة على بنى اسرائيل وهم بالنسبة الينا كالقطرة الى البحر * وما آمن بعيسى عليه السلام الا شرذمة قليلون علمنا انه افضل الانبياء وسيد الاصفياء وسند الاولياء (ثم قال ونبى واحد افضل من جميع الاولياء) وقد ضل اقوام بتفضيل الولى على النبى حيث امر موسى عليه السلام بالتعلم من الخضر وهو ولى (قلت الخضر كان نبيا * وان لم يكن كما زعم البعض فهذا ابتلاء فى حق موسى عليه السلام على ان اهل الكتاب يقولون ان موسى هذا ليس بموسى ابن عمران انما هو موسى ابن منان * ومن المحال ان يكون (الولى وليا بايمانه بالنبى ثم يكون) النبى دون الولى ولا عضاضة فى طلب موسى عليه السلام العلم لان الزيادة فى العلم مطلوبة (ومنها تفضيل الملائكة فحواصهم افضل بعد الانبياء من عموم الاولياء والعلماء) وافضلهم جبرائيل عليه السلام كما فى حديث رواه الطبرانى * وعامة الملائكة افضل من عامة المؤمنين لكونهم مجرمين والملائكة معصومين * وفى المسئلة خلاف المعتزلة حيث قالوا الملائكة افضل من الانبياء وافقهم من الاشاعرة بعض العلماء * وتوقف جمع فى هذه المسئلة ومنهم الامام على ماذكر فى امالى الفتاوى انه لم يقطع فيها بجواب * قلت فلتكن المسئلة ظنية لاقطعية وهى كذلك بلا شبهة * فان قيل اليس قد كفر ابليس وكان من الملائكة بدلالة ان الاصل فى الاستثناء ان يكون متصلا (فالجواب) كما قال الله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه (واما هاروت وماروت) فالاصح انهما ملكان لم يصدر عنهما كفر ولا كبيرة وتعذيبهما انما هو على وجه المعاتبة كما يعاتب

٢ والتغليب

الانبياء على السهو والزلة مع ان المشهورة انهما لما عابا على بنى آدم بما صدر عنهم من المعاصى
وفق ما جرى به القلم وادعيا انهما لو ركب فيهما ما ركب فى الانسان من مقتضيات البشرية لم
يركبا شيأ من الامور المنمية فركب فيهما فخرجا عن ماهية الملكية وهيئة العصمة الالهية * ثم
لا كفر فى تعليم السحر بل فى اعتقاد ترتب الاثر عليه بمعنى جعله مستندا اليه وفى العمل به كذا
فى شروح العقايد * قال صاحب الروضة (ويحرم فعل السحر بالاجماع) واما تعليمه
وتعلمه ففيه ثلثة اقوال * الصحيح الذى قطع به الجمهور انهما حرامان والثانى مكروهان
والثالث مباحان انتهى واما ذكره التفتازانى فى شرح الكشاف من انه لا يروى خلاف فى كون
العمل به كفرا فيخالفه هذا الخلاف مع ان مابين كلاميه تناقض وتناف وفى شرح القونوى رحمه الله
قال بعضهم من اهل السنة جملة من بنى آدم افضل من جملة الملائكة فان عندنا صاحب الكبيرة
كامل الايمان هو مبتلى بالايمان الغيبى فكان احق من الملائكة انتهى * ولا يخفى فساده لان
صاحب الكبيرة الذى هو فاسق بالاجماع كيف يكون افضل من المعصوم بلا نزاع * ولعل وجهه
انه من جهة ايمانه الغيبى افضل من الايمان الشهودى الحاصل للملائكة فكون الافضلية من هذه
الحيثية مع مافيه من المنافاة بان الايمان يزيد بالايقان والاطمينان وان الخبر ليس كالاعيان
والله المستعان * واما ما اجابه القونوى عما تشبث به المعتزلة فى تفضيل الملائكة وهو قوله سبحانه
(لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون * فان هذا يقتضى ان الملائكة
افضل من المسيح اى لن يرتفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع درجة منه لقوله ان محمدا
صلى الله عليه وسلم افضل من المسيح عليه السلام * ولا يلزم من كون الملائكة افضل من المسيح
كونهم افضل من محمد صلى الله عليه وسلم * ففيه انه ينتقض بما تقدم من ان خواص البشر افضل
من خواص الملائكة * فالجواب الصواب ان الملائكة صيغة جمع فيفيد ان جميع الملائكة افضل من
المسيح * ولا يقتضى ان يكون كل واحد منهم افضل من المسيح وانما فيه الكلام والله اعلم بحقيقة
المرام (ومنها تفضيل سائر الصحابة بعد الاربعة) فقال ابو منصور البغدادى
من اكابر ائمة الشافعية اجمع اهل السنة على ان افضل الصحابة ابو بكر فعمر فعثمان فعلى رضوان
الله تعالى عليهم فبقية العشرة المبشرة بالجنة فاهل بدر فباقى اهل بيعة الرضوان بالحديبية
فباقى الصحابة انتهى * ولعله اراد بالاجماع اجماع اكثر اهل السنة لان الاختلاف واقع بين
على وعثمان رضى الله عنهما عند بعض اهل السنة وان كان الجمهور على الترتيب المذكور هذا
وقد روى اصحاب السنة وصححه الترمذى عن سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (عشرة
فى الجنة * ابو بكر رضى الله عنه فى الجنة * وعمر رضى الله عنه فى الجنة * وعثمان رضى الله عنه
فى الجنة * وعلى * والزبير * وطلحة * وعبد الرحمن * وابو عبيدة * وسعد ابن ابى وقاص * وسعيد
بن زيد رضوان الله عليهم * وقد ورد ان فاطمة (رضى الله عنها سيدة نساء اهل الجنة

والحسن

والحسن و الحسين سيدا شبان اهل الجنة * واما عدة اهل بدر فثلثمائة وبضعة * وقد روى ابن ماجة عن رافع بن خديج قال جاء جبرائيل اوملك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ماتعدون من شهد بدرا فيكم قال خيارنا قال كذلك هم عندنا خيار الملائكة * وروى ابو داود والترمذى وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال لايدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة * وبالجملة فالسابقون الاوّلون من المهاجرين والانصار افضل من غيرهم لقوله تعالى (لايستوى منكم من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى (ومنها تفضيل التابعين) فقد قال شيخ الاسلام محمد بن حنيف الشرازى *واختلف الناس فى افضل التابعين * فاهل المدينة يقولون سعيد بن المسيب رحمه الله * واهل البصرة يقولون الحسن البصرى * واهل الكوفة يقولون اويس القرنى * وقال بعض المتأخرين الصحيح بل الصواب ماذهب اليه اهل الكوفة لما روى مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان خير التابعين رجل يقال له اويس الحديث * والحاصل ان التابعين افضل الامة بعد الصحابة لقوله عليه الصلوة والسلام خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم * فنعتقد ان الامام الاعظم والهمام الاقدم ابو حنيفة رحمه الله افضل الائمة المجتهدين واكمل الفقهاء فى علوم الدين * ثم الامام مالك رحمه الله فانه من اتباع التابعين * ثم الامام الشافعى رحمه الله لكونه تلميذ الامام مالك * بل تلمذ الامام محمد رحمه الله * ثم احمد بن حنبل فانه كالتلميذ للشافعى رحمه الله (ومنها تفضيل النساء) فروى الترمذى وصححه حسبك من نساء العالمين * مريم بنت عمران * وخديجة بنت خويلد * وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم * وآسية امرأة فرعون * وفى الصحيحين من حديث على رضى الله عنه (خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد) وروى الترمذى موصولا من حديث على بلفظ (خير نسائها مريم وخير نسائها فاطمة ره * وروى الحارث بن اسامة فى مسنده بسند صحيح لكنه مرسل (مريم خير نساء عالمها وفاطمة رضى الله عنها خير نساء عالمها * وفى الصحيح فاطمة سيدة نساء هذه الامة * وفى روايه النسائى سيدة نساء اهل الجنة لكن اخرج ابن شيبة عن عبد الرحمن بن ابى ليلى * قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها سيدة نساء العالمين بعد مريم بنت عمران ويؤيده انه قال بعضهم بنبوتها لكن حكى الامام والبيضاوى وغيرهما الاجماع على عدم نبوتها وكذا حديث ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء اهل الجنة مريم بنت عمران * ثم فاطمة * ثم خديجة * ثم آسية امرأة فرعون فهذا فى الترتيب صريح لو وجد له سند صحيح * وعن ابن العماد ان خديجة رضها انما فضلت على فاطمة باعتبار الامومية لا للسادة العمومية * وقد سئل ابن داود اى افضل هى ام امها قال فاطمة رضى الله عنها بضعة النبى

صلى الله عليه وسلم فلا تعدل بها احدا يعنى من هذه الحيثية لا بالكلية * وسئل السبكى فقال الذى نختاره وندين الله به ان فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم افضل ثم امها خديجة ثم عايشة رضى الله عنهن * وقد صحح ابن العماد ايضا ان خديجة رضها افضل من عايشة رضها لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال لعايشة رضها حين قالت قد رزقك الله خيرا منها فقال لها والله ما رزقنى خيرا منها آمنت بى حين كذبنى الناس واعطتنى مالها حين حرمنى الناس * ويؤيده ان عايشة رضها اقرأها النبى صلى الله عليه وسلم من جبرائيل وخديجة رضها اقراها السلام جبرائيل من ربها الا ان حديث كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم وآسية وخديجة رضى الله عنهن وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام على ما ذكره السيوطى فى النقاية ولفظه فى الجامع الصغير على ما رواه احمد والشيخان والترمذى وابن ماجة عن ابى موسى (ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران) الحديث ظاهر فى ان عايشة رضى الله عنها افضل افراد النساء على ما اختاره امام الفقهاء وحمله على العهد بان المراد بهن الازواج الطاهرات فى مقام البعد ثم تقييدهن بما عدا خديجة رضها فى غاية من التكلف والتعسف * ولعل فى وجه التشبيه اشعار بوجه الافضلية المشعرة بالجامعية بين الاوصاف الا كملية من الفضائل العلمية والشمائل العملية * وقال السيوطى فى التفضيل بين خديجة (رضى الله عنها) وعائشة (رضى الله عنها) اقوال ثالثها التوقف هذا * وقد ورد كما رواه الطبرانى عن ام سلمة رضى الله عنها * قلت يا رسول الله انساء الدنيا افضل ام الحور العين قال نساء الدنيا افضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة * قلت يا رسول الله وبم ذاك قال لصلوتهن وصيامهن وعبادتهن

(ومنها القول بتفضيل اولاد الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين) * فقال بعضهم لا نفضل بعد الصحابة احدا الا بالعلم والتقوى * والاصح ان فضل ابناءهم على ترتيب فضل آبائهم الا اولاد فاطمة رضى الله عنها فانهم يفضلون على اولاد ابى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم لقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم العترة الطاهرة والذرية الطيبة الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا كذا فى الكفاية

ومنها ان الولى (لا يبلغ درجة النبى) لان الانبياء معصومون مأمونون عن خوف الخاتمة مكرمون بالوحى حتى فى المنام وبمشاهدة الملائكة الكرام مأمورون بتبليغ الاحكام وارشاد الانام بعد الاتقان بكمالات الاولياء العظام * فما نقل عن بعض الكرامية من جواز كون الولى افضل من النبى كفر وضلالة والحاد وجهالة * نعم قد يقع تردد فى ان مرتبة النبوة افضل ام مرتبة الولاية بعد القطع بان النبى متصف بالمرتبتين وانه افضل من الولى الذى ليس بنبى * فمنهم من قال بالاول بناء على ان النبوة تكميل للغير وهو بعد الكمال وفوقه فى الجمال ويؤيده حديث

(فضل

(فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم * ومنهم من قال بالثانى معللا بان الولاية عبارة عن العرفان بالله وصفاته وقربه منه وكرامته عنده والنبوة عبارة عن سفارة بينه وبين عباده وتبليغ احكامه اليه والقيام بخدمة متعلقة بمصلحة العبد * وقاسوا الغايب على الشاهد والخالق على المخلوق فانهم شبهوا الولى بمجالس الملك والنبى بالوزير فى قيام امر الملك * ولم يعرفوا ان مقام جمع الجمع حاصل للانبياء وتكميل اتباعه من الاصفياء وهو ان لاتحجبهم الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة وهو فوق مرتبة التوحيد الصرف الذى هو مقام عموم الاولياء فقول بعض الصوفية ان الولاية افضل من النبوة معناه ان ولاية النبى افضل من نبوته اذ قد عرفت ان النبوة والرسالة اكمل فى علو درجته * وهذا لاينافى اجماع العلماء على ان الانبياء افضل من الاولياء * واما قول بعض الصوفية ان بداية الولاية نهاية النبوة فمعناه ان الولاية ماتتحقق الابعد قيام صاحبها بجميع ماتقرر من عند صاحب النبوة فان الولى من واظب على الطاعات ولم يرتكب شيأ من المحرمات فما دام عليه امتثال امر واجتناب زجر فلا يطلق عليه اسم الولى العرفى وان كان يقال لكل مؤمن انه الولى اللغوى واما ماحكى عن ابن العربى من خلاف ذلك فحسن الظن به انه من المفتريات عليه المنسوبات اليه (ومنها ان العبد مادام عاقلا وبالغا لا يصل الى مقام يسقط عنه الامر والنهى) لقوله تعالى * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين * فقد اجمع المفسرون على ان المراد به الموت * وذهب اهل الاباحة الى ان العبد اذا بلغ غاية المحبة وصفا قلبه من الغفلة واختار الايمان على الكفر سقط عنه الامر والنهى ولا يدخله الله النار بارتكاب الكبائر * وبعضهم الى انه تسقط عنه العبادات الظاهرة وتكون عبادته التفكر وتحسين الاخلاق الباطنة وهذا كفر وزندقة وضلالة وجهالة * فقد قال حجة الاسلام ان قتل هذا اولى من قتل مائة كافر * واما قوله عليه الصلوة والسلام (اذا احب الله عبده لم يضره ذنب) فمعناه انه عصمه من الذنوب فلم يلحقه ضرر العيوب او وافقه للتوبة بعد الخدبة ومفهوم هذا الحديث ان من ابغضه الله فلا تنفعه طاعته حتى لايصدر عنه عبادة صالحة ونية صادقة * ولذا قيل من لم يكن للوصال اهلا * فكل طاعاته ذنوب * واما مانقل عن بعض الصوفية من ان العبد السالك اذا بلغ مقام المعرفة سقط عنه تكليف العبادة فوجهه بعض المحققين منهم بان التكليف مأخوذ من الكلفة بمعنى المشقة * والعارف يعبد ربه بلا كلفة ومشقة بل يتلذذ بالعبادة وينشرح قلبه بالطاعة ويزداد بشوقه ونشاطه بالزيادة علما بانها سبب السعادة ولذا قال بعض المشايخ (الدنيا افضل من الآخرة لانها دار الخدمة والآخرة دار النعمة ومقام الخدمة اولى من مرتبة النعمة * وقد حكى عن على كرم الله تعالى وجهه انه قال (لو خيرت بين المسجد والجنة لاخترت المسجد لانه حق الله سبحانه والجنة حظ النفس) ومن ثم اختار بعض الاولياء طول البقاء فى الدنيا على الموت

مع وجود اللقاء في العقبى * والحاصل ان الترقي فوق التوقف فانه كالتدلي * ومنها (ان النصوص من الكتاب والسنة تحمل على ظواهرها مالم يكن من قبيل المتشابهات) فان فيه خلافا مشهورا بين السلف والخلف ومنع التأويل وجوازه واما العدول عن ظواهرها الى معان يدعيها الملاحدة والباطنية فزندقة بخلاف ماذهب اليه بعض الصوفية من ان النصوص على ظواهر العبارات الان فيها بعض الاشارات من كمال الايمان وجمال العرفان كما نقل عن الامام حجة الاسلام ان في قوله عليه الصلوة والسلام (لايدخل الملائكة بيتا فيه كلب) اشارة الى ان رحمة الله لاتدخل قلبا ارتسخ فيه صفات سبية (ومنها هل يجوز رؤية الله تعالى في الدنيا بعين البصر لاوليائه) فقد جاء في سؤال واقعة حال من ادعى ذلك من بعض الاغبياء فكتبت اليه الجواب بحسب ماظهر لي وجه الصواب وهو اجماع الائمة من اهل السنة والجماعة على ان رؤية الله تعالى بعين البصر جائزة في الدنيا والاخرى عقلا وواقعة وثابتة في العقبى سمعا ونقلا واختلفوا في جوازها في الدنيا شرعا فاثبتها اكثرون ونفيها آخرون ثم الذين اثبتوها في الدنيا خصوا وقوعها له صلى الله عليه وسلم في ليلة الاسراء على خلاف في ذلك بين السلف والخلف من العلماء والاولياء والصحيح انه صلى الله عليه وسلم انما رأى ربه بفؤاده لابعينه كما في شرح العقايد وغيره فالقائل بانه راى الله في الدنيا بعين بصره ان اراد به رؤيته في المنام ففي جوازه خلاف مشهور بين علماء الانام مع ان الرؤية المنامية لاتكون بالحاسة البصرية بل بالتصورات المثالية او التمثيلات الخيالية * وان اراد بها انه يرى انوار صفاته ويشاهد انواع آثار مصنوعاته فذا جائز بلا مرية كما ورد عن بعض الصوفية (مارأيت شيأ الا رأيت الله قبله اوبعده اوفيه اومعه * واما من ادعى هذا المعنى لنفسه من غير تأويل في المبنى فهو اعتقاد فاسد وزعم كاسد * وفي حضيض ضلال وتضليل ومطعن وميل بعيد عن سواء السبيل فقد قال صاحب التعريف وهو كتاب لم يصنف مثله في التصوف اطبق المشايخ كلهم بتضليل من قال وتكذيب من ادعاه هنالك وصنفوا في ذلك كتبا ورسائل منهم ابو سعيد الخراز والجنيد وصرحوا بان من قال ذلك المقام لم يعرف الملك المتعال واقره الشيخ علاء الدين القونوي رحمه الله في شرحه وقال ان صح عن احد من المعتبرين دعوى نحوه فيمكن تأويله بان غلبة الاحوال يجعل الغايب كالشاهد حتى اذا كثر اشتغال السر بشيء واستحضاره له يصير كانه حضر بين يديه انتهى ويؤيده حديث (الاحسان ان تعبد الله كانك تراه) وكذا حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حال الطواف كذا نترائى الله وقال صاحب عوارف المعارف في كتابه (اعلام الهدى وعقيدة ارباب التقى) ان رؤية العيان متعذرة في هذه الدار لانها دار الفناء والآخرة هي دار البقاء

فلقوم من العلماء نصيب من علم اليقين فى الدنيا والآخرة من اعلى منهم رتبة نصيب من عين اليقين كما قال قائل رآى قلبى ربى انتهى * والحاصل ان الامة قد اتفقت على انه تعالى لا يراه احد فى الدنيا بعينه (ولم يتنازعوا فى ذلك) الا نبينا صلى الله عليه وسلم حال عروجه على ما صرح به فى شرح عقيدة الطحاوى * ثم هذا القائل ان قبل التاؤيل السابق فبها والا فان كان مصححا على مقوله ولم يرجع بالمنقول عن معقوله فيجب تقريره وتشهيره بما يراه الحاكم الشرعى كما يقتضى تقريره فانه لا يخ من انه يدعى ادعاء مطلقا فى بيانه او منزها عن كل ما لا يليق بجلاله سبحانه فيكون من افترى عليه كذبا وهو من اكبر الكبائر * بل عد بعض العلماء الكذب على النبى صلى الله عليه وسلم كفرا فمن اظلم ممن كذب على الله او يدعى ادعاء معينا مشتملا على اثبات المكان والهيئة والجهة من مقابلة وثبوت مسافة وامثال ذلك الحالة فيصير كافرا لا محالة وهذا مجمل من قال من بعض ارباب العقايد المنظومة *

﴿ شعر ﴾ ومن قال فى الدنيا يراه بعينه * فذلك زنديق طغى وتمردا

وخالف كتب الله والرسل كلها * وزاغ الشرع الشريف وابعدا

وذلك من قال فيه الهنايرى وجهه يوم القيمة مسودا اشارة الى قوله تعالى (ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) وقد نقل جماعة الاجماع على ان رؤية الله تعالى لا تحصل للا ولياء فى الدنيا وقد قال ابن الصلاح وابو اسامة انه لا يصدق مدعى الرؤية فى الدنيا حال اليقظة فان شيأ منع منه كليم الله موسى عليه السلام واختلف فى حصول هذا المرام لنبينا صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام كيف يصح لمن لم يصل الى مقامهما انتهى كلامهما * وقال الكواشى فى تفسير سورة النجم ولا يعتقد رؤية الله هنا بالعين لغير محمد صلى الله عليه وسلم وقال الاردبيلى فى كتابه الانوار ولو قال انى ارى الله عيانا فى الدنيا او كلمنى شفاها كفر انتهى لكن الاقدام على التكفير بمجرد دعوى الرؤية من الصعب الخطير فان الخطأ فى ابقاء الف كافرا هون من الخطاء فى افناء مسلم فى الفرض والتقدير فالصواب ما قدمناه من الجواب انه ان انضم مع الدعوى ما يخرج به عن عقيدة اهل التقى فيحكم عليه بانه من اهل الضلالة والردى والسلام على من اتبع الهدى (ومنها رؤية الله سبحانه فى المنام) * والاكثرون على جوازها من غير كيفية وجهة وهيئة ايضا فى هذا المرام * فقد نقل ان الامام ابا حنيفة رحمه الله قال (رأيت رب العزة فى المنام تسعا وتسعين مرة ثم رأيت مرة اخرى تمام المأة) وقصتها طويلة لا يسعها هذا المقام * ونقل عن الامام احمد بن حنبل انه قال رأيت رب العزة فى النوم فقلت يا رب بم يتقرب المتقربون اليك (قال بكلامى يا احمد قلت يا رب بفهم او بغير فهم قال بفهم وبغير فهم) * وقد ورد انه عليه الصلوة والسلام (قال رأيت ربى فى المنام * وقد روى عن كثير من السلف فى هذا المقام وهو نوع مشاهدة يكون بقلب الكرام فلا وجه للمنع عن هذا المرام مع انه ليس باختيار

احد من الانام * وقد ورد عنه عليه الصلوة والسلام انه قال رأيت ربى فى احسن صورة * وفى رواية فى صورة الشاب * فقال الامام الرازى فى تأسيس التقديس يجوز ان يرى النبى عليه السلام ربه فى المنام فى صورة مخصوصة من الانام لان الرؤية من تصرفات الخيال وهو غير منفك من الصور المتخيلة فى عالم المثال انتهى * وقد قال بعض مشايخنا ان لله سبحانه تجليات صورية فى العقبى وبه يزول كثير من الاشكالات على ما لايخفى * واما ماذكر قاضى خان من منع هذا المنام وشدد فى هذا المقام وقواه بنقله عن بعض العلماء الفخام فقد بينت جوابه وعينت صوابه فى المرقاة شرح المشكوة (ومنها ان المقتول ميت باجله ووقته المقدر لموته) فقد قال الله تعالى * اذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون * وزعم بعض المعتزلة ان الله تعالى قد قطع اجله كذا عبارة شرح العقايد * والصواب مافى شرح المقاصد من ان القاتل قطع عليه الاجل لان قتل المقتول عندهم فعل القاتل * واستدلوا بالاحاديث الواردة فى ان بعض الطاعات تزيد فى العمر وبانه لوكان ميتا باجله لما استحق القاتل دما ولاعقابا ولادية ولاقصاصا * واجيب عن الاول) بان الله تعالى كان يعلم انه لولم يفعل هذه الطاعات لكان عمره اربعين سنة لكنه علم انه يفعلها ويكون عمره سبعين فنسبت هذه الزيادة الى تلك الطاعة والعبادة بناء على علم الله سبحانه انه لولاها لما كانت تلك الزيادة كذا فى شرح العقايد * وفيه انه يعود الى القول بتعدد الاجل كما زعم الكعبى من المعتزلة * والمذهب انه واحد * فالاوجه ان يقال المراد بالزيادة والنقصان بحسب الخير والبركة او بالنسبة الى مافى اللوح مطلقا وهو فى علم الله مقيد واليه الاشارة بقوله تعالى (يمحوالله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) ولايتوهم من قوله تعالى (ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده) انه قدر آجالا لان الاجل الحقيقى واحد مآلا * وعن الثانى ان وجوب العقاب والضمان على القاتل تعبد لارتكابه المنهى عنه وكسبه الفعل الذى يخلق الله تعالى عقيبه الموت بطريق جرى العادة وان القتل فعل القاتل تعد كسبا وان لم يكن له خلقا * والموت قائمة بالميت ومخلوق الله تعالى ولاصنع فيه للعبد تخليقا ولا اكتسابا كذا وقع فى شرح العقايد فى ذكر التعبد ومعناه اظهار العبودية والتفويض والتسليم الى امر الربوبية * وفيه ان التعبد انما يكون فيما هو غير معقول المعنى ومانحن فيه ليس من ذلك المبنى ولذا ترك ذكر التعبد فى شرح المقاصد * ثم اعلم انه سبحانه قدر للخلق اقدارا وضرب لهم آجالا كما قال (وخلق كل شئ فقدره تقديرا) وقال (انا كل شئ خلقناه بقدر * وفى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا انه قال (قدر الله مقاديرالخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء) وقال تعالى (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها) وقال (وماكان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا * وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قالت ام حبيبة (اللهم امتعنى بزوجى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبابى

وبابى ابى سفيان وباخى معاوية) قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد سألت الله لآجال مضروبة وايام معدودة وارزاق مقسومة لن يعجل شيأ قبل اجله ولن يؤخر شيأ عن حكمه ولو كنت سألت الله ان يعيذك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر كان خيرا وافضل * فالمقتول ميت باجله وقد علم الله وقدر وقضى ان هذا الموت بسبب المرض وهذا بسبب القتل * وهذا بالهدم * وهذا بالغرق * وهذا بالحرق * وهذا بالقبض * وهذا بالاستهلاك * وهذا بالسم * وهذا بالغم * والله سبحانه خلق الموت والحيوة وخلق اسبابهما * ولهذا كان احمد بن حنبل يكره ان يدعى له بطول العمر ويقول هذا امر مدفوع وقد علم من حديث ام حبيبة ان الدعاء يكون مشروعا نافعا فى بعض الاشياء وان كان الكل تحت التقدير والقضاء * ثم اعلم ان الروح محدثة مصنوعة مربوبة مدبرة وهذا معلوم بالضرورة من دين الاسلام ان العالم محدث ومضى على هذا الصحابة والتابعون حتى تابعه من قصر فهمه فى الكتاب والسنة فزعم الناس انها قديمة * واحتج بانها من امر الله وامره غير مخلوق بان الله اضافها اليه بقوله (قل الروح من امر ربى) وبقوله (ونفخت فيه من روحى) كما اضاف اليه علمه وقدرته وسمعه وبصره ويده * وتوقف آخرون * واتفق اهل السنة والجماعة على انها مخلوقة * ومن نقل الاجماع على ذلك محمد نصر المروزى وابن قتيبة وغيرهما * واختلف الناس هل تموت الروح ام لا فقالت طائفة تموت لانها نفس وكل نفس ذائقة الموت * وقال آخرون لا تموت فانها خلقت للبقاء وانما تموت الابدان وقد دل على ذلك الاحاديث الواردة فى نعم الارواح وعذابها بعد المفارقة الى ان يرجعها الله فى اجسادها * ثم اعلم ان الروح لها بالبدن خمسة انواع من التعلق متغايرة الاحكام * الاول * تعلقها به فى بطن الام جنينا * الثانى * تعلقها به بعد خروجه الى وجه الارض * الثالث * تعلقها به فى حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه * الرابع * تعلقها به فى البرزخ فانها وان فارقت وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقى اليه التفات البتة فانه ورد ردها اليه وقت سلام المسلم عليه * وورد انه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه وهذا الرد اعادة خاصة لا يوجب حيوة البدن قبل يوم القيمة * الخامس * تعلقها به يوم بعث الاجساد وهو اكمل انواع تعلقها اذ لا يبقى البدن معه لا موتا ولا نوما ولا شيأ من الفساد وليس السؤال فى البرزخ للروح وحدها كما قال ابن حزم وغيره وافسد منه قول من قال انه للبدن بلا روح والاحاديث الصحيحة ترد القولين * والحاصل ان احكام الدنيا على الابدان والارواح تبع لها واحكام البرزخ على الارواح والابدان تبع لها واحكام الحشر والنشر على الارواح والاجساد معا * ومنها (ان الكافر منعم عليه فى الدنيا) على رأى القاضى ابى بكر الباقلانى حيث ترى حوله قوى ظاهرة وباطنة واموالا ممتدة كما يشير اليه (فاذكروا آلاء الله) ويدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) الا ان الاشعرى قال اذا كان ذلك

الامر الذى قاله فى الدنيا قد حجبه فى الدنيا عن الله تعالى فليس بنعمة بل هو نقمة ويدل عليه قوله تعالى (ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون) والخلاف لفظى فانها نعمة دنيوية ونقمة اخروية ولذا قال ابن الهمام الحق انها فى نفسها نعم وان كانت بسبب نقم * ومنها (**انه لا يجب على الله شئ من رعاية الاصلح للعباد وغيرها**) خلافا للمعتزلة فقد قال حجة الاسلام لاشك انه مصلحة العباد فى ان يخلقهم فى الجنة فاما ان يخلقهم فى دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يعرفهم خطر العقاب وهو العرض والحساب فمافى ذلك غبطة لاولى الالباب انتهى * واما ما نقل عن معتزلة بغداد من انهم قالوا الاصلح تخليد الكفار فى النار كما نقل عنهم صاحب الارشاد فغاية فى المكابرة ونهاية فى العناد ومنها (**ان الحرام رزق**) لان الرزق اسم لما يسوقه الله الى الحيوان ليتناوله وينتفع به وذلك قد يكون حلالا وقد يكون حراما وهذا اولى من تفسيره بما يتغذى به الحيوان لخلوه عن معنى الاضافة الى الله تعالى مع انه معتبر فى مفهوم الرزق * وذهبت المعتزلة الى ان الحرام ليس برزق لانهم فسروه تارة (بمملوك يأكله المالك) واخرى (بما لا يمنعه الشارع من الانتفاع به وذلك لا يكون الا حلالا * ويرد عليهم انه يلزم على الاول ان لا يكون ما يأكله الدواب بل العبيد والاماء رزقا وعلى الوجهين الآخرين ان من اكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى ويرد الوجوه الثلاثة قوله تعالى (ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها) فيستوفى كل رزق نفسه حلالا كان او حراما ولا يتصور ان لا يأكل الانسان رزقه او يأكله غيره لان ماقدره الله تعالى غذاء الشخص يجب ان يأكله ويمتنع ان يأكل غيره واما الرزق بمعنى الملك فلا يمتنع ان يأكله غيره * ومنه قوله تعالى (وممارزقناهم ينفقون) والشيخ ابو الحسن الرستغفنى وابو اسحاق الاسفرائنى ماحققا الخلاف فى هذه المسئلة وقالا الخلاف لفظى لا حقيقى قيل وهو الصواب * ومنها (**ان الله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء**) بمعنى يخلق الضلالة والهداية لانه الخالق وحده فى الحقيقة لكن قد تضاف الهداية الى النبى صلى الله عليه وسلم مجازا بطريق التسبب كما فى قوله تعالى (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) كما تسند الى القرآن كقوله (ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم) وقد يسند الاضلال الى الشيطان مجازا ومنه قوله تعالى (لاغوينهم اجمعين) كما يسند الى الاصنام فى قوله (رب انهن اضللن كثيرا من الناس) والى غيره كقوله تعالى (واضلهم السامرى) وفسر المعتزلة الهداية ببيان طريق الاسلام وهو باطل لقوله تعالى (انك لا تهدى من احببت) مع انه عليه الصلوة والسلام بين طريق الاسلام ودعا الى الهداية جميع الانام قيل والمشهور عند المعتزلة ان الهداية هى الدلالة الموصلة الى المطلوب فينتقض بقوله تعالى (واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) * ومنها (**ان ما هو الاصلح لعبد فليس**

بواجب على الله تعالى) والالما خلق الكافر المعذب فى الدنيا والاخرى فان العدم اصلح له من الوجود فى عالم الشهود ولما كان له سبحانه منة على العباد وقد قال (بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان) ولما كان امتنانه على نحو موسى فوق امتنانه على نحو فرعون اذ فعل بكل منهما غاية مقدورة من الاصلح له ولما كان لسؤال العصمة والتوفيق وكشف الضراء والبأساء فى الخصب والرخا معنى لان مالم يفعله فى حق كل احد فهو مفسدة له يجب على الله تركها ولعمرى ان مفاسد هذا الاصل (وهو وجوب الاصلح) بل اكثر اصول المعتزلة اظهر من ان يخفى واكثر من ان يحصى وذلك لقصور نظرهم فى المعارف الالهية والعلوم المتعلقة بذاته وصفاته الثبوتية والسلبية ورسوخ قياس الغائب على الشاهد فى طباعهم الدنية القاصرة عن ادراك الحقايق الغيبية * ثم ليت شعرى ما معنى وجوب الشئ على الله تعالى اذ ليس معناه استحقاق تاركه الذم والعقاب وهو ظاهر لان الالوهية تنافى الوجوب فى مقام الربوبية لان الوجوب حكم من الاحكام والحكم لايثبت الابالشرع ولايساغ على الشارع فتم المرام فى احسن النظام * ومنها (ان خلف الوعيد كرم فيجوز من الله تعالى) والمحققون على خلافه كيف وهو تبديل القول وقد قال الله تعالى (مايبدل القول لدى) اى بوقوع الخلف فلاتطمعوا ان ابدل وعيدى وقد افردت فى المسئلة رسالة مستقلة سميتها (بالقول السديد فى منع خلف الوعيد) (ومنها تجويز العقاب على الصغيرة) سواء اجتنب مرتكبها الكبيرة ام لا لدخولها تحت قوله تعالى * ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * ولقوله تعالى (لايغادر صغيرة ولاكبيرة الا احصيها) والاحصاء انما يكون للسؤال والجزاء * وذهب بعض المعتزلة الى انه اذا اجتنب الكبائر لم يجز تعذيبه لا بمعنى انه يمتنع عقلا بل بمعنى انه لايجوز ان يقع لقيام الادلة السمعية على انه لايقع لقوله تعالى (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم * واجيب بان الكبيرة المطلقة هى الكفر لانه الكامل وجمع الاسم بالنظر الى انواع الكفر وان كان الكل ملة واحدة فى الحكم او الى افراده القائمة على ماتمهد من قاعدة (ان مقابلة الجمع بالجمع يقتضى انقسام الآحاد بالآحاد) كقوله ركب القوم دوابهم ولبسوا ثيابهم كذا حققه العلامة فى شرح العقايد فيكون التقدير (على تقدير الاول) ان تجتنبوا انواع الكفر وفيه انه يلزم حينئذ ان لايجوز العقاب على ماعدا الكفر صغيرة كانت او كبيرة اللهم الا ان يقال المعنى نكفر عنكم سيئاتكم المكتسبة قبل اجتناب الكفر فيكون الخطاب للكفرة وقيل يقدر فيه استثناء المشية اى نكفر عنكم سيآتكم ان شئنا قال شيخنا ومولانا عبد الله الاسندى ٢ رحمه الله على ماوجدنا بخطه فيه ان تقدير الاستثناء يعنى عن حمل الكبائر على الكفر * قلت ماقدر الاستثناء الالتصحيح حمل الكبائر على الكفر دفعا للزوم انحصار الصغيرة تحت المشية وخروج الكبيرة وهو خلاف نص (ان الله لا يغفر ان يشرك به) الآية وايضا يلزم كون الصغيرة

٢ السندى

تحت المشية بشرط اجتناب الكبائر وليس كذلك بل قد تكفر الصغيرة بمكفراو بعفو من الله تعالى * ولو كان صاحبها مرتكب كبيرة * وقال العلامة مولانا عصام الدين فى معنى الآية ان المعلق عليه لتكفر السيات هو الاجتناب عن الكفر فيدخل فى التكفير الكبائر ايضا ولا خلاف انها لا تكفر بمجرد الاجتناب عن الكفر فالمغفرة والتكفير لابد من تعلق آخر وهو المشية عندنا مطلقا والتوبة فى الكبائر عند المعتزلة فالآية ليست على ظاهرها بالاتفاق فلا يكون تامة فى الدلالة على مطلوبهم * ولا يخفى ان حمل (كبائر ما تنهون) على الكفر على كل حال من الوجهين المذكورين فى غاية البعد اذ البلاغة تقتضى ان تجتنبوا الكفر لوجازته وموافقته لعرف البيان فالحق ان مدلول الآية تكفير الصغائر بمجرد الاجتناب عن الكبائر وتعليق المغفرة بالمشية فى آية اخرى مخصوص بما عداه اجتنب معه عن الكبائر انتهى * ولا يخفى ان هذا مذهب ثالث مخالف للمذهبين المسمى بالملفق ٢ فكيف يحكم بكونه الحق على الوجه المطلق * ثم الاظهر ان الخطاب فى الآية للمؤمنين وان الكبائر على معناها المتعارف ماعدا كفر الكافرين كما يشير اليه قوله تعالى (كبائر ما تنهون عنه) والمعنى ان تجتنبوا كبائر المنهيات نكفر عنكم سياتكم بالطاعات كما يدل عليه قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيات وسائر الاحاديث الواردة

فى باب المكفرات (ومنها ان دعاء الاحياء للاموات وصدقاتهم عنهم نفع لهم فى علو الحالات) خلافا للمعتزلة تمسكا بان القضاء لا يتبدل وكل نفس مرهونة بما كسبت والمرء مجزى بعمله لا بعمل غيره * واجيب بان عدم تبدل القضاء بالنسبة الى الموت لا ينافى نفع دعاء الاحياء لهم فان ذلك النفع بالدعاء يجوز ان يكون بالقضاء وان توفيق الاحياء للدعاء لهم يجوز ان يكون بكسبهم عملا فى الدنيا يستحق به مثل ذلك الجزاء فيكون مجزيا بعمله فى الآخرة * على انه قد ورد فى الاحاديث الصحيحة من الدعاء للاموات خصوصا فى صلوة الجنازة وقد توارثه السلف واجمع عليه الخلف فلو لم يكن للاموات فيه نفع لكان عبثا بل جاء فى القرآن آيات كثيرة متضمنة للدعوات للاموات كقوله سبحانه (رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ورب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات * ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان * وعن سعيد بن عبادة انه قال يارسول الله ان ام سعد ماتت فاى صدقة افضل قال الماء فحفر بئرا وقال هذه لام سعد اخرجه ابو داود والنسائى واما ما فى شرح العقايد من حديث (ان العالم والمتعلم اذا مرا على قرية فان الله يرفع العذاب عن مقبرة تلك القرية اربعين يوما) فقد صرح الجلال السيوطى انه لا اصل له قال القونوى رحمه الله (والاصل فى ذلك عند اهل السنة ان للانسان ان يجعل ثواب عمله لغيره صلوة او صوما او حجا او صدقة او غيرها * والشافعى رحمه الله جوز هذا فى الصدقة والعبادة المالية وجوزه فى الحج * واذا قرأ على القبر فللميت اجر المقرؤ ومنع وصول ثواب القرآن الى الموتى وثواب الصلوة والصوم وجميع الطاعات والعبادة غير المالية * وعند ابى حنيفة رحمه الله

واصحابه

٢ بالملفق

واصحابه رحمهم الله تعالى يجوز ذلك ويصل ثوابه الى الميت * وتمسك المانع من ذلك بقوله تعالى (وان ليس للانسان الا ماسعى) وبقوله عليه الصلوة والسلام (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الحديث * والجواب ان الآية حجة لنا لان الذى اهدى ثواب عمله لغيره وسعى فى ايصال الثواب الى ذلك الغير فيكون له ماسعى بهذه الآية ولا يكون له ماسعى الا بوصول الثواب اليه فكانت الآية حجة لنا لا علينا * واما الحديث فيدل على انقطاع عمله ونحن نقول به * وانما الكلام فى وصول ثواب عمل غيره اليه والموصل للثواب الى الميت هو الله تعالى سبحانه لان الميت لا يسمع بنفسه والقرب والبعد سواء فى قدرة الحق سبحانه هذا * وقد قيل قال الله تعالى (ادعونى استجب لكم) وفيه رد لما قال بعض المعتزلة ان الدعاء له تأثير فى تغاير القضاء * والجواب ان الدعاء يرد البلاء على وفق القضاء والحاصل ان القضاء المعلق يتغير بخلاف المبرم (والله اعلم) واما الدعاء فمع العبادة سواء طابق القضاء ام لا فربما يخفف البلاء * واختلف فى الافضل هل هو الدعاء ام السكوت والرضاء * فقيل الاول لانه عبادة فى نفسه وهو مطلوب ومأمور بفعله وقيل السكوت والخمود تحت جريان الحكم اتم رضاء * ولا يبعد ان يقال الاتم هو ان يجمع بينهما بان يدعو باللسان ويكون خامدا فى الجنان تحت الجريان بحكم المنان * وقيل الاولى ان يقال ان الاوقات مختلفة ففى بعضها الدعاء افضل وفى بعضها السكوت افضل والفاضل بينهما الاشارة فمن وجد فى قلبه اشارة الى الدعاء فهو وقته كما ورد (من فتح له ابواب الدعاء فتحت له ابواب الاجابة والرحمة والجنة ومن وجد فى قلبه اشارة الى السكوت فهو وقته كما جاء عن ابراهيم عليه السلام لما قال له جبرائيل الك حاجة قال (اما اليك فلا) قال فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى * ويجوز ان يقول ما كان للعبد فيه نصيب او لله تعالى فيه حق فالدعاء به اولى وما كان فيه حظ النفس للداعى فالسكوت عنه اولى وهذا اعلى * وقال شارح عقيدة الطحاوى واتفق اهل السنة على ان الاموات ينتفعون من سعى الاحياء بامرين (احدهما) ما تسبب اليه الميت فى حياته (والثانى) دعاء المسلمين واستغفارهم له والصدقة والحج على نزاع فيما يصل من ثواب الحج فعن محمد بن الحسن انه انما يصل الى الميت ثواب النفقة والحج للحاج وعند عامة العلماء ثواب الحج عنه وهو الصحيح * واختلف فى العبادات البدنية كالصلوة والصوم وقراءة القرآن والذكر * فذهب ابو حنيفة رحمه الله واحمد وجمهور السلف رضى الله عنهم الى وصولها والمشهور من مذهب الشافعى ومالك رضى الله عنهما عدم وصولها * وذهب بعض اهل البدعة من اهل الكلام الى عدم وصول شىء اليه الا الدعاء لا غيره وقوله مردود بالكتاب والسنة واستدلاله بقوله سبحانه (وان ليس للانسان الا ماسعى) مدفوع بانه لم ينف انتفاع الرجل بسعى غيره وانما نفى ملكه بغير سعيه وبين الامرين فرق بين فاخبر الله تعالى انه لا يملك الا بسعيه واما سعى غيره فهو ملك لساعيه فان شاء يبذله لغيره وان شاء يبقه لنفسه وهو سبحانه

لم يقل انه لا ينتفع الا بما سعى * ومن الادلة الدالة على وصول ثواب العبادة المالية حديث جابر رضى الله عنه قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيد الاضحى فلما انصرف اتى بكبش فذبحه فقال (بسم الله الله اكبر اللهم هذا عنى وعمن لم يضح من امتى) رواه احمد وابو داود والترمذى وحديث الكبشين الذين قال فى احدهما (اللهم هذا من امتى جميعا) وفى الآخر (اللهم هذا عن محمد وآل محمد) رواه احمد والقربة فى الاضحية اراقة الدم يجوز لغيره لانها عبادة مالية ليس كالحج وهو لا يجوز لغيره لانه عبادة بدنية وليس المال ركنا فيه وانما هو وسيلة * الا ترى ان المكى يجب عليه الحج اذا قدر على المشى الى عرفات من غير شرط المال * وهذا هو الاظهر اعنى ان الحج عبر مركب من مال وبدن بل بدنى محض كما قد نص عليه جماعة من اصحاب ابى حنيفة رحمه الله المتأخرين قلت هذا غير صحيح اذ صحة البدن شرط وجوب الاداء * ولهذا يجب عليه الاحجاج والايصاء ثم يقرأ القرآن واهداها له تطوعا بغير اجرة يصل اليه * امالو اوصى بان يعطى شيئا من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره فالوصية باطلة لانه فى معنى الاجرة كذا فى الاختيار * وهذا مبنى على عدم جواز الاستيجار على الطاعات لكن اذا اعطى لمن يقرأ عليه القرآن او يعلمه او يتعلمه معونة لاهل القرآن على ذلك كان هذا من جنس الصدقة عنه ثم القراءة عند القبور مكروه عند ابى حنيفة رحمه الله ومالك واحمد رضى الله عنهم فى رواية لانه محدث لم تر به السنة ** وقال محمد بن الحسن واحمد فى رواية لا يكره لما روى عن ابن عمر انه اوصى ان يقرأ على قبره وقت الدفن بفواتح سورة البقرة وخواتمها والله اعلم (ومنها انه لا يجوز ان يقال يستجاب دعاء الكافرين) على ماذهب اليه الجمهور لقوله تعالى (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) اى ضياع وخسار * وفيه ان مورده خاص بالعقبى فلا ينافى ان يستجاب الدعاء فى امر الدنيا كما يدل عليه دعاء ابليس واجابة الله سبحانه له فى الامهال * ويؤيده حديث (ان دعوة المظلوم تستجاب وان كان كافرا) والى جوازه ذهب ابو القاسم الحكيم وابو نصر الدبوسى قال الصدر الشهيد وبه يفتى * واما ما استدل فى شرح العقايد بان الكافر لا يدعو الله تعالى لانه لا يعرفه ففيه انه قد ورد فى حقهم انهم (دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد الآية * قال ابو حنيفة وصاحباه يكره ان يقول الرجل اسألك بفلان او بحق فلان او بحق انبيائك ورسلك وبحق بيت الحرام والمشعر الحرام ونحو ذلك اذ ليس لاحد على الله حق وكره ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله ان يقول الداعى (اللهم انى اسألك بمقعد العز من عرشك) واجازه ابو يوسف رحمه الله لما بلغه الاثر فيه * قلت قد ورد ايضا (اللهم انى اسئلك بحق السائلين عليك وبحق الممشى اليك * فالمراد بالحق الحرمة والحق الذى وعده بمقتضاه الرحمة (ومنها ان الجنى الكافر يعذب بالنار اتفاقا) لقوله تعالى (لاملئن جهنم من الجنة والناس اجمعين) والمسلم منهم يثاب بالجنة عند ابى يوسف ومحمد رحمهما الله ووافقهما بقية اهل السنة والجماعة * ويؤيدهم ما ورد فى سورة الرحمن عند تعداد

نعم الجنان * ومنه قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان فبای آلاء ربکما تکذبان * وابو حنيفة توقف فی کیفیة ثوابهم لقوله تعالى (ویجرکم من عذاب الیم) من غیر ان یقرن به قوله (ویثبکم بثواب مقیم) فقیل الثواب لهم النجاة (من النار ثم یقال لهم کونوا ترابا) فظاهر مذهب ابیحنیفة رحمه الله التوقف فی کیفیة ثوابهم حیث قیل لیس لهم اکل وشرب وانما لهم شم ولکن لیس بصحیح لما ورد التصریح بخلاف ذلك فی الاحادیث الکثیرة وتوقف الامام فی استحقاقهم الجنة کالملائکة لان الله تعالى لم یبین فی القرآن ثوابهم ونحن نعلم قطعا یقینا ان الله تعالى لا یضیع ایمانهم فیعطهم ماشاء مما ینا سب شأنهم هذا وتوقفه لعدم الدلیل القطعی لا ینافی ترجیح احد الطرفین بالدلیل الظنی * ونقل القونوی رحمه الله تعالى انه سئل الرستغفنی عن الملائکة هل لهم ثواب وعقاب * فقال (نعم لهم ثواب وعقاب الا ان عقابهم لیس کعقاب الآدمیین وثوابهم لیس کثواب الآدمیین لان ثوابهم التلذذ بالطاعة ثم ان الله جعل لذاتنا وشهواتنا فی الدنیا من المأکول والمشروب ونحوهما فکذلك یجعل ثوابنا فی دار الآخرة * واما الملائکة فان الله تعالى جعل لذتهم فی الدنیا طاعتهم له وبذلك طابت انفسهم وبها اشبعهم ربهم فکذلك فی الآخره استدلالا بالمشاهد فغیر مقبول لان عقاب الملائکة مخالف لاجماع اهل الایمان ۲ واما کون ثوابهم بقاؤهم علی لذة طاعتهم فظاهر واما حصر ثوابنا علی اللذة الظاهریة فممنوع لان فی الجنة یحصل لاهلها التلذذ بالذکر والشکر وانواع المغفرة واصناف الزلفة والقربة التی نهایتها الرؤیة ماتسنی بجنبها التلذذ بالشهوات الحسیة واللذات النفسیة * ومنها

(ان الشیطان) لهم تصرف فی بنی آدم * خلافا للمعتزلة حیث یقولون لا یمکنهم ان یوسوس وانما نفس الانسان توسوسه وهو مردود لقوله تعالى (الشیطان یعدکم الفقر ویأمرکم بالفحشاء * وقوله (ان الشیطان لکم عدو فاتخذوه عدوا وانما یدعوا حزبه لیکونوا من اصحاب السعیر) ولما صح عنه علیه الصلوة والسلام (ان الشیطان یجری من بنی آدم مجری الدم (ثم الحکمة فی انهم) یروننا ونحن لا نریهم لانهم خلقوا علی صور قبیحة فلو رأیناهم لم نقدر علی تناول الطعام والشراب فستر واعنا رحمة علینا اعنی فی هذا الباب * والملائکة خلقوا من النور فلو رأیناهم لطارت ارواحنا لدیهم واعیننا الیهم * واما قول القونوی ره ان الجنی خلقوا من الریح واصل الریح لا یری فکذا ما خلقت منها فغیر صحیح لقوله تعالى (والجان خلقناه من قبل من نار السموم * ومنها (ما اخبر الله من الحور والقصور والانهار والاشجار والاثمار لاهل الجنة ومن الزقوم والحمیم والسلاسل والاغلال لاهل النار حق) خلافا للباطنیة والعدول عن ظواهر النصوص الی معان یدعیها اهل الباطن الحاد * ومنها

(ان المجتهد فی العقلیات والشرعیات الاصلیة والفرعیة قد یخطئ وقد یصیب)

* وذهب بعض الاشاعرة والمعتزلة الى ان كل مجتهد فى المسائل الشرعية والفرعية التى لاقطع فيها مصيب * والتحقيق ان فى المسئلة الاجتهادية احتمالات اربعة * الاول ان ليس لله تعالى فيها حكم معين قبل الاجتهاد بل الحكم فيها ما ادى اليه رأى المجتهد فعلى هذا قد تعدد الاحكام الحقيقية فى حادثة واحدة ويكون كل مجتهد مصيبا * الثانى ان الحكم معين ولا دليل عليه عنه سبحانه بل العبور عليه كالعبور على دفينة * الثالث ان الحكم معين وله دليل قطعى * الرابع ان الحكم معين وله دليل ظنى وقد ذهب الى كل احتمال جماعة * والمختار ان الحكم معين وعليه دليل ظنى ان وجده المجتهد اصاب وان فقده اخطأ والمجتهد غير مكلف باصابة كما زعم بعض من ذهب الى الاحتمال الثالث وذلك لغموضه وخفائه فلذلك كان المخطى معذورا فلمن اصاب له اجران ولمن اخطأ له اجر كما ورد فى حديث آخر (اذا اصبت فلك عشر حسنات وان اخطأت فلك حسنة) ثم الدليل على ان المجتهد قد يخطى قوله تعالى (ففهمناها سليمان) اذ الضمير للحكومة او الفتوى ولو كان كل من الاجتهادين صوابا لما كان فى تخصيص سليمان بالذكر فائدة * وتوضيحه) ان داود عليه السلام حكم بالغنم لصاحب الغنم وحكمه سليمان عليه السلام بان يكون الغنم لصاحب الحرث ان ينتفع بها ويقوم صاحب الغنم على الحرث حتى يرجع كما كان فيرجع كل واحد الى ماله وكان حكم داود عليه السلام بالاجتهاد دون الوحى والا لما جاز لسليمان عليه السلام خلافه ولا لداود عليه السلام الرجوع عنه ولو كان كل من الاجتهادين حقا لكان كل منهما قد اصاب الحكم وفهمه ولم يكن لتخصيص سليمان عليه السلام بالذكر وجه فانه وان لم يدل على نفى الحكم عما عداه دلالة كلية لكنه يدل عليه فى هذا الموضع بمعونة المقام كما لا يخفى على من له معرفة بافانين الكلامين وهذا مبنى على جواز اجتهاد الانبياء وتجويز وقوعهم فى الخطاء لكن بشرط ان يتنبهوا حتى ينبهوا * وقد يجاب بان المعنى ففهمناها سليمان الفتوى والحكومة التى هى احق واولى بدليل قوله تعالى (وكلا آتينا حكما وعلما) فانه يفهم منه اصابتهما فى فصل الخصومات والعلم بامر الدين وبدليل قول سليمان عليه السلام غير هذا او فق الفريقين وارفق كانه قال هذا احق وغيره احق وفيه ايماء الى ان ترك الاولى من الانبياء بمنزلة الخطاء من العلماء فان حسنات الابرار سيآت المقربين * ولا يخفى انه لا يتم على من قال باستواء الحكمين * ثم اعلم ان للانبياء ان يجتهدوا مطلقا وعليه الاكثر اوبعد انتظار الوحى وعليه الحنفية ره واختاره ابن الهمام ره فى التحرير واذا اجتهدوا فلابد من اصابتهم ابتداء وانتهاء كما فى المسايرة

* ومنها (ان الايمان لا يزيد ولا ينقص) فان حقيقة الايمان هو التصديق القلبى الذى بلغ حد الجزم والاذعان كما هو المشهور عند الجمهور وان مال شارح العقايد وصاحب المواقف الى اعتبار الظن الغالب الذى لا يخل معه احتمال النقيض فيه ايضا لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان حتى ان من حصل له حقيقة التصديق فسواء اتى بالطاعات او ارتكب السيآت

فتصديقه باق على حاله لا تغير فيه اصلا والآيات الدالة على زيادة الايمان محمولة على ما ذكره الامام ابو منيفة ره انهم كانوا آمنوا في الجملة ثم يأتي فرض بعد فرض فكانوا يؤمنون بكل فرض حاصل وهذا التأويل بعينه مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ففي الكشاف عنه ان اوّل ما اتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده انزل الصلوة والزكوة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا الى ايمانهم انتهى * وفي تقديم الحج على الجهاد سهو قلم من صاحب الكشاف اذ الجهاد فرض قبل الحج بلا خلاف * وحاصل كلام الامام ان الايمان يزيد بزيادة ما يجب الايمان به وهذا مما لا يتصور في غير عصر النبي صلى الله عليه وسلم قال شارح العقايد وفيه نظر لان الاطلاع على تفاصيل الفرايض ممكن في غير عصر النبي عليه السلام (والجواب) ان تلك التفاصيل لما كان الايمان بجملتها اجمالا فبالاطلاع عليها لم ينقلب الايمان من النقصان الى الزيادة بل من الاجمال الى التفصيل فقط بخلاف ما في عصره عليه الصلوة والسلام فان الايمان لما كان عبارة عن التصديق بكل ما جاء النبي عليه السلام من عند الله وكلما ازدادت تلك الجملة ازداد التصديق المتعلق به لا محالة * واما قوله ولاخفاء في الايمان التفصيلي انه ازيد بل اكمل فكونه ازيد ممنوع واما كونه اكمل فمسلم الا انه غير مفيد * واما ما نقل عن امام الحرمين كما في شرح المقاصد من ان الثبات والدوام على الايمان زيادة عليه في كل ساعة * وحاصله انه يزيد بزيادة الازمان لما انه عرض لا يبقى الا بتجدد الامثال فاجاب عنه شارح العقايد بان حصول المثل بعد انعدام الشيء لا يكون من الزيادة في شيء كما في سواد الجسم مثلا انتهى (وقد يجاب) بانه يلزم منه ان اطول العمر من الانبياء والاولياء يكون ايمانه ازيد واكمل من غيره ولا قائل به مع ان ابن الهمام نقل ان القول بعدم الزيادة والنقصان اختاره من الاشاعرة امام الحرمين وجمع كثير وقيل المراد زيادة ثمرته وبهائه واشراق نوره وضيائه في القلب وصفائه فانه يزيد بالاعمال وينقص بالمعاصي وفيه نظر لان كثيرا من الناس تكثر منه الاعمال ولا يحصل له مزيد الاحوال وقد توجد المعاصي مع كمال الايمان وتحقق الايقان لبعض ارباب الكمال ولذا لما سئل الجنيد هل يزني العارف بالله قال وكان امر الله قدرا مقدورا * وقال بعض المحققين كالقاضي عضد الدين لا نسلم ان حقيقة التصديق لا تقبل الزيادة والنقصان بل تتفاوت قوة وضعفا للقطع بان تصديق آحاد الامة ليس كتصديق النبي عليه السلام * ولهذا قال ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي * ونوقش بان هذا مسلم لكن لا طائل تحته اذ النزاع انما هو في تفاوت الايمان بحسب الكمية اي القلة والكثرة فان الزيادة والنقصان كثيرا ما يستعمل في الاعداد * واما التفاوت في الكيفية اي القوة والضعف فخارج عن محل النزاع * ولذا ذهب الامام الرازي وكثير من المتكلمين الى ان هذا الخلاف لفظي راجع الى تفسير الايمان فان قلنا هو التصديق فلا يقبلهما

لان الواجب هو اليقين وانه لا يقبل التفاوت * وان قلنا هو الاعمال ايضا فيقبلهما الان الواجب هو اليقين وان يقول عليه نعم اذا قيل الواجب فى التصديق مايعم اليقين والاعتقاد الجازم المطابق وان كان غير ثابت حيث يمكن ان يزول بالتشكيك * فان ايمان اكثر العوام من هذا القبيل فانه ح يقبل التفاوت فى مراتب الايمان دون مناقب الايقان الاباختلاف مرتبة العلم اليقين فانها دون مرتبة العين اليقين كما اشار قول ابراهيم عليه السلام (بلى ولكن ليطمئن قلبى) فان التصديق بحدوث العالم ليس كالتصديق بطلوع الشمس * ولذا ورد فى الخبر (ليس الخبر كالمعاينة * واما قول على رضى الله عنه (لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا) فمحمول على اصل اليقين فان مقام العيان فوق مرتبة البيان عند جميع الاعيان بل فوقهما مقام يسمى حق اليقين فالايمان الغيبى محله الدنيا والعينى فى مواقف العقبى والحقى عند دخول جنة المأوى وتحقق رؤية المولى هذا وذكر ابن الهمام ان الحنفية ومعهم امام الحرمين لا يمنعون الزيادة والنقصان باعتبار جهات هى غير نفس ذات التصديق بل بتفاوته يتفاوت المؤمن عند الحنفية ومن وافقهم لا تفاوة بسبب ذات التصديق * وروى عن ابى حنيفة رحمه الله انه قال اقول ايمانى كايمان جبرائيل عليه السلام ولا اقول مثل ايمان جبرائيل عليه السلام لان المثلية تقتضى المساواة فى كل الصفات والتشبيه لا يقتضيه * بل يكفى لا طلاقه المساوات فى بعضه فلا احد يساوى بين ايمان آحاد الناس وايمان الملائكة والانبياء من كل وجه * اعلم ان الحديث المشهور ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص والايمان لا يزيد ولا ينقص كله غير صحيح على ماذكره الفيروز آبادى فى الصراط المستقيم * وقد روى ابن ماجة بسنده الى على رضى الله عنه (الايمان عقد بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان) لكن حكم عليه ابن الجوزى ره بالوضع * واما ما رواه الفقيه ابو الليث السمرقندى التى مضى فى تفسيره عند هذه الآية وهى قوله تعالى (واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون * واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون * فقال الفقيه حدثنا محمد بن الفضل وابو القاسم النصر اباذى * قال حدثنا فارس بن مردوية * قال حدثنا محمد بن الفضل بن العابد * قال حدثنا يحى بن عيسى * قال حدثنا ابو مطيع عن حماد بن سلمة عن ابى المهزم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال جاء وفد ثقيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله (الايمان يزيد وينقص فقال الايمان) مكمل فى القلب زيادته ونقصانه كفر * فقال شارح عقيدة الطحاوى وسئل شيخنا الشيخ عماد الدين بن كثير عن هذا الحديث (فاجاب بان الاسناد من ابى الليث الى ابى مطيع مجهولون لا يعرفون فى شئ من كتب التواريخ المشهورة * واما ابو مطيع فهو حكيم بن عبد الله بن سلمة البلخى * ضعفه احمد بن حنبل ويحى بن معين وعمر بن على الفارسى

والبخارى

والبخارى وابوداود والنسائى وابوحاتم الرازى وابوحاتم محمد بن حبان السبتى والعقيلى وابن عدى والدارقطنى وغيرهم * واما ابو المهزم الراوى عن ابى هريرة رضى الله عنه وقد تصحف على الكاتب واسمه يزيد بن سفيان فقد ضعفه ايضا غير واحد وتركه شعبة بن الحجاج * وقال النسائى متروك وقد اتهم شعبة بالوضع حيث قالوا لو اعطوه فلسين ليحدثهم سبعين حديثا * ومنها (ان الايمان والاسلام واحد) لان الاسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول الاحكام الشرعية وذلك مغيقة التصديق على ما مر كذا فى شرح العقايد * وفيه بحث لان الانقياد الباطنى والانقياد الظاهرى هو الاقرار فالتغاير بينهما حاصل فى الاعتبار * واما قوله ويؤيده قوله تعالى (فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) ففيه ان ذلك لا يقتضى الاصدق المؤمن والمسلم على من تابعه وذلك لا يقتضى اتحاد مفهومهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة نعم عدم تغايرهما بمعنى انه لا ينفك احدهما عن الآخر فى اعتبار حكمهما لا باعتبار مفهومهما ولهذا لا يصح ان يحكم على احد بانه مؤمن وليس بمسلم او مسلم وليس بمؤمن لان الناس كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلث فرق (مؤمن ومنافق وكافر) ليس فيهم رابع فالمسلم من اى الفريقين لا يصح ان يقول الحشوية والظاهرية انه من الكافرين للاجماع على خلافه ولقوله سبحانه (ملة ابيكم ابراهيم هو سميكم المسلمين * فان قالوا من المؤمنين تركوا مذهبهم وان قالوا من المنافقين فيكون الاسلام هو النفاق عندهم فينبغى ان لا يقبل غير النفاق لقوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه * وكذا يجب ان يكون مرضيا لقوله تعالى (ورضيت لكم الاسلام دينا * واما قوله تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا) فظاهر فى التغاير بينهما باعتبار اختلاف اللغة بينهما فى مفهومهما * وحاصلها ان الاسلام المعتبر فى الشرع لا يوجد بدون الايمان وهو فى الآية بمعنى انقياد الظاهر من غير انقياد الباطن بمنزلة التلفظ بكلمة الشهادة من غير تصديق معتبر فى حق الايمان * واما قوله صلى الله عليه وسلم فى جواب جبرائيل عليه السلام (الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة) الحديث فدليل على مغايرته للايمان المفسر فى ذلك الحديث لقوله (ان تؤمن بالله الى آخره وفق الاستعمال اللغوى وهو لا يخالف الاصطلاح الشرعى من اعتبار جمعهما * غايته ان الايمان هو التصديق القلبى من الانقياد الباطنى والاسلام هو اظهار ذلك الانقياد الباطنى باقرار اللسان والاذعان للاحكام الاسلامى فلا يشكل بادخال اقامة الصلوة وايتاء الزكوة فى مفهوم الاسلام على ما عليه اهل السنة والجماعة من ان عمل الطاعات خارج عن حقيقة الايمان والاسلام نعم ظاهر الحديث يؤيد قول الجمهور من ان الاقرار شرط الايمان لانه شطره وركن من الاركان وانه يحتمل السقوط فى بعض الاحيان على ان القائلين بعدم اعتبار الاقرار اتفقوا على ان يعتقد انه متى طولب به

اتى به فان طولب به فلم يقر فهو كفر وعناد وهذا معنى ما قالوا ترك العناد شرط وفسروه به كما حققه ابن الهمام رحمه الله * والحاصل انه لابد من وجودهما حتى يحكم على احد بانه من اهل الايمان ولهذا عبر الشارع بالايمان عن الاسلام تارة وعن الاسلام بالايمان اخرى كما فى قوله عليه الصلوة والسلام لقوم قد جاؤا عليه (اتدرون ما الايمان بالله) قالوا الله ورسوله اعلم قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واقام الصلوة الحديث * وفى قوله الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق * وروى لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة وروى الا نفس مسلمة ومنها **ان العقل آلة للمعرفة والموجب هو الله تعالى فى الحقيقة** ووجوب الايمان بالعقل روى عن ابى حنيفة رحمه الله فقد ذكر الحاكم الشهيد فى المنتقى ان ابا حنيفة رحمه الله قال (لا عذر لاحد فى الجهل بخالقه لما يرى من خلق السموات والارض وخلق نفسه وغيره) ويؤيده قوله تعالى (قالت رسلهم افى الله شك فاطر السموات والارض) وقوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وحديث (كل مولود يولد على الفطرة (الحديث) قال وعليه مشايخنا من اهل السنة والجماعة * حتى قال الشيخ الامام ابو منصور فى الصبى العاقل انه يجب عليه معرفة الله وهو قول كثير من مشايخ العراق خلافا لكثير من مشايخنا لعموم قوله عليه الصلوة والسلام (رفع القلم عن ثلث الصبى حتى يبلغ (اى يحتلم) وعن المجنون (حتى يعقل) وعن النايم (حتى يستيقظ) وحمل الشيخ ابو منصور هذا الحديث على الشرايع مع اتفاقهم ان اسلام هذا الصبى صحيح ويدعى هو الى الاسلام كما يدعى البالغ * وقال الاشعرى لا يجوز لقوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * واجيب بان الرسول اعم من العقل والنبى ويتخصص عموم الآية بالاعمال التى لا سبيل الى معرفة وجوبها الا بالشرع * قيل وما كنا معذبين) عذاب الاستيصال فى الدنيا والاظهر ان قوله (وما كنا معذبين) لا ينافى الوجوب العقلى الذى لا يترتب على فعله ثواب وعلى تركه عقاب كما مر فتدبر (وثمرة الخلاف) انما تظهر فى حق من لم تبلغه الدعوة اصلا بان كان على هاهق جبل ومات ولم يؤمن بالله وكذا من مات فى ايام الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ولم يؤمن بالله فعندنا يعذب وعندهم لا يعذب **(ومنها انه لا يوصف الله تعالى بالقدرة على الظلم)** لان المحال لا يدخل تحت القدرة وعند المعتزلة يقدر ولا يفعل **(ومنها ان العبد اذا وجد منه التصديق والاقرار صح له ان يقول انا مؤمن حقا)** لتحقق الايمان * ولا ينبغى ان يقول انا مؤمن انشاء الله تعالى لانه ان كان للشك فهو كافر لا محالة وان كان للتأدب واحالة الامور الى مشية الله تعالى او للشك فى العاقبة والمآل لا فى الآن والحال او للتبرك بذكر الله والتبرى عن تزكية نفسه والاعجاب بحاله فالاولى تركه لما انه يوهم بالشك على ما ذكره شارح العقايد

فان

فان صاحب التمهيد والكفاية وغيرهما من العلماء الحنفية كفروا القائل به حيث حكموا ببطلان قولهم (انا مؤمن انشاء الله) وقالوا ذلك لا يصح كما لا يصح قول القائل (انا مى انشاء الله وانا رجل انشاء الله تعالى * وقال صاحب التعويل فان لم يثبت الكفر فلا اقل من ان يكون التلفظ به حراما لانه صريح فى الشك فى الحال وهو لا يستعمل فى المحقق فى الحال حيث لا يقال (انا شاب ان شاء الله وفيه انه لا وجه للكفر والكذب * فان بعضهم ذهبوا الى الجواز وكثير من السلف حتى الصحابة والتابعون ذهبوا الى الجواز وهو المحكى عن الشافعى رحمه الله واتباعه * وقالوا ان من شهد لنفسه بهذه الشهادة ينبغى ان يشهد لنفسه بالجنة ان مات على هذا الحال * وفيه انه لا محظور فى هذا المقال فقد منعه الاكثرون وعليه ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله مع ان هذا ليس من قبيل قول القائل (انا طويل انشاء الله * بل نظير قولك (انا زاهد انا متقى انا تائب انشاء الله اما قاصدا هضم النفس والتواضع وهذا انما يتصور فى حق الانبياء او قاصدا جهله بحقيقة وجود شروط هذه الاشياء فى الحال او نظرا الى مشية الله تعالى من احتمال تغير الحال فى الاستقبال والعياذ بالله من سوء الحال ولذا لما سئل ابو يزيد البسطامى (هل لحيتك افضل ام ذنب الكلب فقال ان مت على الاسلام فلحيتى خير والا فذنبه احسن * وبهذا يتبين ان قول من يقول انا مؤمن حقا لو قيل له انت من اهل الجنة حقا لم يقدر ان يقول نعم فانه من الامر المبهم والله اعلم * واما القول بالترك مع انه ظاهر التشكيك والترديد فبعيد عن طريق السديد * واما ما ذكره فى شرح المقاصد (انه للتأدب باحالة الامور الى مشية الله تعالى وهذا ليس فيه معنى الشك اصلا * وانما هو كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام انشاء الله آمنين محلقين) وكقوله صلى الله عليه وسلم تعليما اذا دخل المقابر قال (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا انشاء الله بكم لاحقون) فمع المناقضة بين كلاميه تلفيق بين الاقوال المختلفة * فان الاستثناء فى الآية لا يصح ان يكون من قبيل احالة الامور الى المشية بل قيل انه للتبرك بذكر اسمه سبحانه او للمبالغة فى باب الاستثناء فى الاخبار حتى فى متحقق الوقوع * على انه قد يقال التقدير (لتدخلن جميعكم انشاء الله لتأخر بعض المخاطبين من اهل الحديبية حيا او ميتا عن فتح مكة او معنى انشاء الله اذا شاء وهو تأويل لطيف يرد ما فيه من اشكال ضعيفة او الاستثناء عائد الى الامن لا الى الدخول او تعليم للعباد * وكذا الاستثناء فى الحديث لا يصح ان يكون من باب احالة الامور الى المشية فان اللحوق الى الاموات محقق بلا شبهة بل هو محمول على تعليم الامة لاحتمال تغيرهم فى المآل (او على ان المراد بقوله بكم خصوص اهل البقيع مثلا فى البلاد وقال حجة الاسلام الغزالى الحاصل للعبد هو حقيقة التصديق الذى به يخرج عن الكفر لكن التصديق قابل للشدة والضعف وحصول التصديق الكامل المنجى المشار اليه بقوله تعالى (اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) انما هو فى مشية الله

تعالى سبحانه * وحاصله ان التصديق المصحح لاجراء احكام الايمان على العبد فى الدنيا حاصل والمرء جازم به لكن التصديق الكامل المنوط به النجاة فى العقبى امر خفى له معارضات كثيرة خفية من الهوى والشيطان فعلى تقدير حصوله والجزم به لا يأمن المؤمن ان يشوب به شيئا من منافات النجاة من غير علمه بذلك فيفوض علمه الى مشية الله سبحانه * ولذا قيل ينبغى للمؤمن ان يتعوذ بهذا الدعاء صباحا ومساء * اللهم انى اعوذ بك من ان اشرك بك شيئا وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم انك انت علام الغيوب * قال ابن الهمام ولا خلاف فى انه لا يقال انشاء الله للشك فى ثبوت الايمان والا لكان الايمان منفيا بل ثبوته فى الحال مجزوم به غير ان بقائه الى الوفاة غير معلوم ولما كان ذلك هو المعتبر فى النجاة كان هو الملحوظ عند المتكلم فى ربطه لمشية وهو امر مستقبل فالاستثناء فيه اتباع لقوله تعالى (ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله انتهى * ولا يخفى ان ما نحن فيه ليس داخلا فى عموم مفهوم الآية لانها فى الامر المستقبل وجود الابقاء * والكلام فى الاستثناء الموجود حالا على احتمال انه ربما يعرض له حال يوجب له زوالا * ولهذا مثل مشايخنا هذا الاستثناء بنحو قوله (انا شاب انشاء الله) حيث يحتمل انه يصير شيخا وهو ليس تحته طائل * وادخاله تحت قوله سبحانه (ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك) لا يقول به قائل هذا وقال بعضهم الايمان الذى يتعقبه الكفر فيموت صاحبه كافرا ليس بايمان كالصلوة التى افسدها صاحبها قبل الكمال * والصيام الذى يفطر صاحبه قبل الغروب وهذا مأخذ كثير من الكلامية من اهل السنة وغيرهم * وعند هؤلاء ان الله يحب فى الازل من كان كافرا اذا علم منه انه يموت مؤمنا فالصحابة ما زالوا محبوبين قبل اسلامهم * وابليس ومن ارتد عن دينه ما زال الله يبغضه وان كان لم يكفر بعد كذا ذكره شارح عقيدة الطحاوى * وفيه ان الايمان اذا تحقق بشروطه كيف يكون كالصلوة التى افسدها صاحبها قبل كمالها والصيام الذى يفطر صاحبه قبل الغروب * ولما بنوا على هذا الاساس الواهى صار طائفة منهم غلوا فيه حتى صار الرجل منهم يستثنى فى الاعمال الصالحة يقول (صليت انشاء الله) ونحو ذلك يعنى القبول ثم صار كثيرا منهم يستثنون فى كل شىء فيقول احدهم (هذا ثوب انشاء الله) هذا جبل انشاء الله * فاذا قيل لهم هذا لا شك فيه يقولون نعم لكن اذا شاء الله ان يغيره غيره وسيأتى مزيد تحقيق بذلك * واما ما اجاب الزمخشرى عن قوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام انشاء الله) من انه يجوز ان يكون الملك قد قال فاثبت قرآنا او ان الرسول قاله فكلاهما باطل لانه جعل من القرآن ما هو غير كلام الله فيدخل فى وعيد من قال ان * هذا الا قول البشر * والحاصل ان المستثنى اذا اراد الشك فى اصل ايمانه منع من الاستثناء وهذا لا خلاف فيه * واما اذا اراد انه مؤمن كامل او ممن يموت على الايمان فالاستثناء حينئذ جائز الا ان الاولى تركه باللسان وملاحظته بالجنان (ومنها ما يتفرع على هذه المسئلة) وهو ما نقل عن بعض الاشاعرة انه يصح ان يقول (انا مؤمن انشاء الله) بناء

على

على ان العبرة فى الايمان والكفر والسعادة والشقاوة بالخاتمة * حتى ان المؤمن السعيد من مات على الايمان وان كان طول عمره على الكفر والعصيان والكافر الشقى من مات على الكفر وان كان طول عمره على التصديق والشكر كما يدل عليه حديث (ان احدكم ليعمل عمل اهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل عمل اهل النار حتى لا يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل اهل الجنة فيدخلها) * وانما الاعمال بالخواتيم وكما يشير اليه قوله سبحانه فى حق ابليس (وكان من الكافرين) حيث دلت الآية على ان ابليس لم يزل كافرا مع صحة ايمانه وكثرة طاعته قبل خلق آدم عليه السلام حتى عد من الملائكة الكرام * فظهر ان المعتبر هو ايمان الموافاة الواصل الى آخر الحيوة وكذا قوله صلى الله عليه وسلم (السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه) فان المراد بالسعادة المعتد بها لمن علم الله تعالى ان يختم له بالسعادة وكذا فى جانب الشقاوة * ولذا قال ارباب العقايد (السعيد هو المتصف بسعادة الايمان بظاهر الحال قد يشقى بان يرتد فى المآل * والشقى قد يسعد فى المقال والافعال والتغير انما يكون على السعادة والشقاوة دون الاسعاد والاشقاء فانهما من صفات الله سبحانه لان الاسعاد (تكوين السعادة) والاشقاء (تكوين الشقاوة) ولا تغير على الله ولا على صفاته * فلا يلزم من تغيرهما ان يكون علم الله متغيرا فان القديم لا يكون محلا للحوادث * فعلى هذا يصح ان يقال فى قوله تعالى (وكان من الكافرين) اى وصار منهم مع ان العارفين قالوا الارتداد علامة عدم الاسعاد فمن رجع فانما رجع عن الطريق فان السعيد الحقيقى لم يزل على التحقيق واليه الاشارة بقوله سبحانه (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) اى لا انقطاع لوصلها ومن حكم شيخ مشايخنا لابى الحسن البكرى (اذا دخل الايمان القلب امن السلب) وقال القونوى رحمه الله فان قيل انما يجوز الاستثناء للخاتمة (قلنا) هذا واجب عندنا لكن لا كلام فيه انما الكلام فى الايمان وان كفر بعد ذلك اى بعد الايمان لا يتبين انه لم يكن مؤمنا قبل الكفر كابليس (فالسعيد قد يشقى والشقى قد يسعد * وعندنا العبرة للختم ولا عبرة لايمان (من وجد منه التصديق) فى الحال ولا بكفر (من وجد منه التكذيب) للحال فان كان فى علم الله ان هذا الشخص المعين يختم له بالايمان فهو للحال وان كان يكفر بالله ورسوله * وان كان فى علم الله انه يختم له بالكفر يكون للحال كافرا وان كان مصدقا لله ورسوله * وقالوا ان ابليس حين كان معلما للملائكة كان كافرا واستدلوا بقوله (وكان من الكافرين) اى كان فى علم الله * واجيب عن الآية بان معناها وصار من الكافرين * قال شارح العقايد * والحق انه لا خلاف فى المعنى بل الخلاف فى المبنى فانه ان اريد بالايمان والسعادة مجرد حصول المعنى اى الاذعان وقبول العبادة فهو حاصل فى الحال * وان اريد ما يترتب عليه النجاة والثمرات فى المآل فهو فى مشية الله تعالى لا قطع بحصوله فى الحال فمن قطعه بالحصول اراد الاول ومن

فوض الى المشية اراد الثانى انتهى فهو غاية التحقيق ونهاية التدقيق والله ولى التوفيق
* ومنها **(ان تكليف مالا يطاق غير جائز)** خلافا للاشعرى لقوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) اى طاقتها * واختلف اصحابه فى وقوعه والاصح عدم الوقوع * ثم تكليف مالا يطاق هو (التكليف بما هو خارج عن مقدور البشر) كتكليف الاعمى بالابصار والزمن بالمشى بحيث لو اتى به يثاب ولو تركه يعاقب * واما التكليف بما هو ممتنع لغيره كايمان من علم الله انه لا يؤمن مثل (فرعون وابى جهل وسائر الكفار) الذين ماتوا على الكفر فقد اتفق الكل على جوازه ووقوعه شرعا * واما قوله تعالى (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) استعاذة عن تحميل مالا يطاق لا عن تكليفه اذ عندنا يجوز ان يحمله جبلا لا يطيقه بان يلقى عليه فيموت * ولا يجوز ان يكلفه بحمل جبل بحيث لو فعل يثاب ولو امتنع يعاقب فلا جرم صحة الاستعاذة عنه بقوله (ربنا ولا تحملنا) فانما ذكر التحميل فى هذه الآية والحمل فى الآية الاولى لان الشاق يمكن حمله بخلاف مالا يكون مقدورا * ثم التحقيق ان للعبد مقامين * احدهما قيامه بظاهر الشريعة * وثانيهما شروعه فى ابتداء المكاشفة وذلك ان يشتغل بمعرفة الله وطاعته وشكر نعمته ففى المقام الاول طلب ترك التشديد وفى المقام الثانى يقال (لا تطلب منى حمدا يليق بجلالك * ولا شكرا يليق بكمالك * ولا معرفة تليق بحضرتك وعظمتك فان ذلك لا يليق بذكرى وشكرى ومكرى ولا طاقة لى بذلك فى حق امرى * ولما كانت الشريعة مقدمة على الحقيقة قدم الجملة السابقة * ومنها **(ان الايمان مخلوق او غير مخلوق)** اختلف فيه المشايخ الحنفية رحمهم الله تعالى فذهب اهل سمرقند الى الاول واهل بخارى الى الثانى مع اتفاقهم على ان افعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى سبحانه * وبالغ بعض مشايخ بخارى فكفر وامن قال بان الايمان مخلوق والزموا عليه خلق كلام الله تعالى ونقلوا عن نوح بن ابى مريم عن ابى حنيفة رحمه الله (ان الايمان غير مخلوق) لكن نوح عند اهل الحديث غير معتمد * وعلل هؤلاء كون الايمان غير مخلوق بان الايمان امر ونهى ما صل من الله للعبد لانه تعالى قال بكلامه الذى ليس بمخلوق (فاعلم انه لا اله الا هو) وقال تعالى (محمد رسول الله) صلى الله عليه وسلم فيكون المتكلم بمجموع ما ذكر قد قام به ما ليس بمخلوق وهو غاية متمسكهم ونسبهم مشايخ سمرقند الى الجهل اذ الايمان بالوفاق هو التصديق بالجنان والاقرار باللسان وكل منهما فعل من افعال العباد وافعال العباد مخلوقة لله تعالى باتفاق اهل السنة والجماعة * قال ابن الهمام فى المسايرة ونص كلام ابى حنيفة رحمه الله تعالى فى الوصية صريح فى خلق الايمان حيث قال (ونقر بان العبد مع اعماله واقراره ومعرفته مخلوق) وقد نقل بعض اهل السنة انهم منعوه من اطلاق القول بحلول كلامه سبحانه فى لسان او قلب او مصحف وان اريد به اللفظى رعاية للادب مع الرب لئلا يتوهم ارادة النفسى القديم * وقد حكى الاشعرى ان من ذهب الى الايمان بانه مخلوق حارث المحاسبى وجعفر بن حرب وعبد الله بن كلاب وعبد العزيز المكى

وغيرهم

وغيرهم من اهل النظر * ثم قال وذكر عن احمد بن حنبل وجماعة من اهل الحديث انهم يقولون ان الايمان غير مخلوق * وقال صاحب المسايرة ومال اليه الاشعرى ووجهه بما حاصله ان اطلاق الايمان فى قول من قال (ان الايمان غير مخلوق) ينطبق على الايمان الذى هو من صفات الله لان من اسمائه الحسنى المؤمن كما نطق به الكتاب العزيز وايمانه هو تصديقه فى الازل بكلامه القديم واخباره الازلى بوحدانيته كما دل عليه قوله تعالى (انى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى) ولا يقال (ان تصديقه محدث) ولا مخلوق به حادث انتهى * ولا يخفى ان الكلام ليس فى هذا المرام فاجمعوا على ان ذاته وصفاته ازلية قديمة واذا اعتبر هذا المبنى لا يصح ان يقال الصبر والشكر ونحوهما مخلوق حيث ورد معانيهما فى الاسماء الحسنى بل السمع والبصر والحيوة والقدرة وامثالها ولا اظن ان احدا قال بهذا العموم واوجب الكفر بهذا المفهوم الموهوم لانه صفاته سبحانه مستثناة عقلا ونقلا * ومنها **(ان الايمان باق مع النوم والغفلة والاغماء والموت)** وان كان كل منها يضاد التصديق والمعرفة حقيقة لان الشرع حكم ببقاء حكمهما الى ان يقصد صاحبهما الى ابطالهما باكتساب امر حكم الشرع بمنافاته لهما فيرتفع ذلك الحكم * خلافا للمعتزلة فى قولهم ان النوم والموت ايضا يضاد ان المعرفة فلا يوصف النايم ولا الميت بانه مؤمن كذا ذكره ابن الهمام لكنه مخالف لما فى المواقف عنهم انهم قالوا لو كان الايمان هو التصديق لما كان المرء مؤمنا حين لا يكون مصدقا كالنايم حال نومه والغافل حين غفلته وانه خلاف الاجماع انتهى فارتفع النزاع * ومنها **(ان ايمان المقلد الذى لا دليل معه صحيح)** قال ابو حنيفة رحمه الله وسفيان الثورى رحمه الله * ومالك والاوزاعى * والشافعى واحمد وعامة الفقهاء رحمهم الله واهل الحديث (صح ايمانه ولكنه عاص بترك الاستدلال * بل نقل بعضهم الاجماع على ذلك * وعند الاشعرى ان يعرف ذلك بدلالة العقل * وعند المعتزلة ما لم يعرف كل مسئلة بدلالة العقل على وجه يمكنه دفع الشبهة لا يكون مؤمنا * قال القونوى رحمه الله تعالى عند المعتزلة انما يحكم بايمانه اذا عرف ما يجب اعتقاده بالدليل العقلى على وجه يمكنه مجادلة الخصوم * وحل جميع ما يوردونه عليه من الشبه حتى اذا عجز عن شئ من ذلك لم يحكم باسلامه * وقال الاشعرى شرط صحة الايمان ان يعرف كل مسئلة من مسائل الاصول بدليل عقلى غير ان الشرط ان يعرف ذلك بقلبه ولا يشترط ان يعبر عن ذلك بلسانه * وهذا وان لم يكن مؤمنا عنده على الاطلاق لكنه ليس بكافر لوجود ما يضاد الكفر وهو التصديق فهو عاص بترك النظر والاستدلال وهو فى مشية الله تعالى كسائر العصاة ان شاء عفى عنه وادخله الجنة وان شاء عذبه بقدر ذنبه وصار عاقبة امره الى الجنة انتهى * ولا يخفى ان هذا مناف لما صدره من كلامه حيث جعله شرط صحة الايمان * وان اريد به صحة كمال الايمان فهو موافق

للجمهور فى هذه المسئلة * ثم الاظهر ماقاله ابو الحسن الرستغفنى وابو عبد الله الحليمى من انه ليس الشرط ان يعرف كل المسائل بالدليل العقلى ولكن اذا بنى اعتقاده على قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد معرفته بدلالة المعجزة انه صادق فهذا القدر كاف لصحة ايمانه * وهذا لاينافى ماسبق من ان الجمهور على الحكم بعصيان تارك الاستدلال فيما يتعلق بالايمان على حسب الاجمال * واما الايمان وهو التصديق المأمور به فقد وجد منه فينال ثواب ماوعد سواء وجد منه التصديق عن دليل او غير دليل واما مانقله القونوى رحمه الله من ان اباحنيفة رحمه الله حين قيل (مابال اقوام يقولون بدخول المؤمن النار) فقال له لايدخل النار الاكل مؤمن (فقيل له) الكافر فقال هم مؤمنون يومئذ كذا ذكره فى الفقه الاكبر فليس بموجود فى الاصول المعتبرة والنسخ المشتهرة * ثم قال ومعنى قول العلماء ان الايمان عند معاينة العذاب لايصح اى لاينفع اقول بل لايصح لان المأمور الشرعى هو الايمان الغيبى * ثم التحقيق ان الاستدلال يتوصل به الى التصديق فى المآل فاذا وصل الى المقصود حصل المطلوب اذ لاعبرة لعدم الذريعة والوسيلة عند حصول المراد من الفضيلة * وتحقيقه ان الرسول صلى الله عليه وسلم عد من آمن به وصدقه (فيما جاء به من عند الله) مؤمنا ولم يشتغل بتعليمه الدلائل العقلية فى المسائل الاعتقادية * وكذا الصحابة حيث قبلوا ايمان الزط ٢ والانباط ٣ مع قلة اذهانهم وبلادة افهامهم ولو لم يكن ذلك ايمانا لفقد شرطه (وهو الاستدلال العقلى) لاشتغلوا باحد امرين اما بالاعراض عن قبول اسلامهم او بنصب متكلم حاذق بصير بالادلة عالم بكيفية الحاجة لتعليمهم صناعة الكلام والمناظرة * ثم بعد ذلك يحكمون بايمانهم وعند امتناع الصحابة وامتناع كل من قام مقامهم الى يومنا هذا عن ذلك ظهر ان ماذهب اليه باطل لانه خلاف صنع النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه العظام وغيرهم من الائمة الكرام * وعلى ان من اصحابنا من قال (ان المقلد لايخلو عن نوع علم فانه مالم يقع عنده ان المخبر صادق لا يصدقه فيما اخبر به وخبر الواحد وان كان محتملا للصدق والكذب فى ذاته لكن متى ما وقع انه صادق ولم يخطر بباله احتمال الكذب وكان فى الحقيقة صادق فنزل منزلة العالم لانه بنى اعتقاده على ما يصلح دليلا فى الجملة * واما من تبلغه الدعوة ورأى مسلم ودعاه الى الدين واخبره (ان رسولا لنا بلغ الدين عن الله وعانا اليه وقد ظهرت المعجزات على يده وصدق الانسان فى جميع ذلك واعتقد الدين من غير تأمل وتفكر واكتفى فيما هنالك فهذا هو المقلد الذى فيه خلاف بيننا وبين الاشعرى بخلاف من نشأ فيما بين المسلمين من اهل القرى والامصار من ذوى النهى والابصار) فلا يخلو ايمانهم عن استدلال واستبصار وان كان لايهتدى الى العبارة عن دليل بطريق النظار فانه محل الخلاف بيننا وبين المعتزلة (والصحيح ماعليه عامة اهل العلم فان الايمان هو التصديق مطلقا فمن اخبر بخبر فصدقه صح ان يقال آمن به وآمن له ولان الصحابة كانوا يقبلون ايمان عوام الامصار التى فتحوها من العجم تحت السيف ولموافقة بعضهم

بعضا

٢ الزط بالضم والتشديد اسم قبيلة ٣ الانباط جمع نبط بفتحتين وهو قبيلة من العجم

بعضا وتجويز حملها اياهم على الاستدلال لاسيما فى بعض الاحوال (وهذا الخلاف) فيمن نشأ على شاهق الجبل ولم يتفكر فى العالم ولا فى الصانع عز وجل اصلا * فاما من نشأ فى بلاد المسلمين وسمع الله تعالى عند رؤية صنايعه فهو خارج عن حد التقليد فقد قيل لاعرابى بم عرفت الله فقال (البعرة تدل على البعير * والروث على الحمير وآثار الاقدام على المسير فسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج * وبحار ذات امواج افلا تدل على العالم القدير) فهذا الايوان العلوى والمركز السفلى اما تدلان على الصانع الخبير اما اذا اعتقد وجعل ذلك قلادة فى عنق الداعى له اليه على معنى انه ان كان حقا فحق وان كان باطلا فوباله عليه فهذا المقلد ليس بمؤمن بلا خلاف لانه شاك فى ايمانه * وقيل معرفة مسائل الاعتقاد كحدوث العالم ووجود البارى وما يجب له وما يمتنع عليه من ادلتها) فرض عين على كل مكلف فيجب النظر ولا يجوز التقليد وهذا هو الذى رجحه الامام الرازى والآمدى والمراد النظر بدليل اجمالى * اما النظر بدليل تفصيلى (يتمكن معه من ازالة الشبه والزام المنكرين وارشاد المسترشدين) ففرض كفاية * واما من يخشى عليه من الخوض فيه والوقوع فى الشبه فالوجه ان المنع متوجه فى حقه فقد قال البيهقى رحمه الله ان نهى الشافعى رحمه الله وغيره من علم الكلام لاشفاقهم على الضعفاء ان لا يبلغوا ما يريدون منه فيضلوا عنه * وفى التاتارخانية كره جماعة الاشتغال بعلم الكلام وتأويله عندنا انه كره مع المناظرة والمجادلة لانه يؤدى الى اثارة الفتنة والبدعة وتشويش العقايد الثابتة او يكون المناظر قليل الفهم او المعرفة او لا يكون طالبا للحق بل للغلبة * واما معرفة الله وتوحيده ومعرفة النبوة وما يتعلق بهما فهو من فروض الكفاية * وفى شرح الهداية لابن الهمام) اما قول ابى يوسف رحمه الله لا يجوز الصلوة خلف المتكلم) فيجوز ان يراد الذى قرره ابو حنيفة رحمه الله حين رآى ابنه حماد ا يناظر فى الكلام فنهاه فقال (رأيتك تناظر فى الكلام قال او تنهانى) فقال (كنا نناظر وكان على رؤسنا الطير مخافة ان يزل صاحبنا وانتم تناظرون وتريدون زلة صاحبكم * ومن اراد زلة صاحبه فقد اراد كفره ومن اراد كفره فقد كفر قبل صاحبه فهذا هو الخوض المنهى عنه انتهى * وفى شرح المواقف فائدة علم الكلام هو الترقى من حضيض التقليد الى ذروة الايقان * قال الله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) خص العلماء الموقنين مع اندراجهم فى المؤمنين رفعا لمنزلتهم كانه قال وخصوصا هؤلاء الاعلام منكم **(ومنها ان السحر والعين حق عندنا)** خلافا للمعتزلة لقوله عليه الصلوة والسلام (العين حق) رواه احمد والشيخان وابو داود وابن ماجة عن ابى هريرة رضى الله عنه وزيد فى رواية (ان العينَ لتُدخلنَّ الرجلَ القبرَ والجملَ القدرَ) * وجاء فى رواية (ان السحر حق) ويدل عليه قوله تعالى (وما انزل على الملكين) وقوله (ومن شر النفاثات فى العقد) واما قوله تعالى (يخيل اليه من سحرهم) فهذا نوع من السحر ثم قال بعض اصحابنا (ان السحر كفر) مؤول فقد قال الشيخ ابو منصور الماتريدى القول بان

السحر كفر على الاطلاق خطاء بل يجب البحث عنه فان كان فى ذلك رد ما لزمه فى شرط الايمان فهو كفر والافلا فلو فعل ما فيه هلاك انسان او مرض او تفريق بينه وبين امرأته وهو غير منكر بشئ من شرايط الايمان لايكفر لكنه يكون فاسقا ساعيا فى الارض بالفساد فيقتل الساحر والساحرة لان علة القتل السعى فى الارض بالفساد وهذه العلة تشتمل الذكر والانثى * واما اذا كان سحرا فهو كفر فيقتل الساحر لا الساحرة لان علة القتل الردة والمرتدة لاتقتل كذا ذكره صاحب الارشاد فى الاشراق نقله القونوى رحمه الله **(ومنها ان المعدوم ليس بشئ ثابت فى الخارج)** كما يشير اليه قوله سبحانه (هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) على ان المراد بالحين قبل خلق الماء والطين خلافا للمعتزلة القائلين بان المعدوم الممكن الوجود ثابت فى الخارج والتحقيق انه ان اريد بالشئ الثابت المتحقق (على ماذهب اليه المحققون من ان الشيئية ترادف الوجود والثبوت والعدمى ترادف النفى) فهذا حكم ضرورى لاتنازع فيه الا من تقدم من المعتزلة وان اريد ان المعدوم لايسمى شيأ فهو بحث لغوى مبنى على تفسير الشئ انه الموجود كما ذهب اليه الاشاعرة او المعدوم كما ذهب اليه معتزلة البصرة او (مايصح ان يعلم ويخبر عنه) على ماوقع فى كلام الزمخشرى * ونقل مثله عن سيبويه وبعضهم جعله اسما للجسم وبعضهم للحادث فالمرجع الى نقل الاقوال وتتبع موارد الاستعمال (ومنها مسئلة نصب الامام) فقد اجمعوا على وجوب نصب الامام * وانما الخلاف فى انه يجب على الله او على الخلق بدليل سمعى او عقلى فمذهب اهل السنة والجماعة وعامة المعتزلة انه يجب على الخلق سمعا لقوله عليه الصلوة والسلام على ما اخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما بلفظ (من مات بغير امام مات ميتة جاهلية) ولان الصحابة جعلوا اهم المهمات نصب الامام حتى قدموه على دفنه صلى الله عليه وسلم ولان المسلمين (لابد لهم من امام يقوم بتنفيذ احكامهم واقامة حدودهم وسد ثغورهم وتجهيز جيوشهم واخذ صدقاتهم وقهر المتغلبة والمتلصص وقطاع الطريق واقامة الجمع والاعياد وتزويج الصغار والصغائر الذين لااولياء لهم وقسمة الغنايم ونحو ذلك من الواجبات الشرعيات التى لايتولاها آحاد الامة ثم الامامة تثبت عند اهل السنة اما باختيار اهل الحل والعقد من العلماء واصحاب العدل والرأى كما ثبت امامة ابى بكر رضى الله عنه * واما بتنصيص الامام وتعيينه كما ثبت امامة عمر رضى الله عنه باستخلاف ابى بكر (رضى الله عنه) اياه ولم يوجب الخوارج نصب الامام لكن طائفة منهم اوجبه عند الفتنة وطائفة عند الامن الا انه لم يعتد بخلافهم * لما عرفت انهم خوارج عما انعقد عليه الاجماع * ولايجوز نصب الامامين فى عصر واحد لانه يؤدى الى منازعات ومخاصمات مفضية الى اختلاف امر الدين والدنيا كما نشاهد فى زماننا * وذهب صاحب الصحائف الى تجويز نصب امامين اذا تباعد البلاد بحيث لايصل احدهما الى الآخر * ويرده ظاهر قوله صلى الله عليه

وسلم

وسلم (اذا بويع بخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) رواه مسلم من حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه والامر بقتله محمول (كما صرح به العلماء) على ما اذا لم يندفع الا بالقتل فانه اذا اصر على الخلاف كان باغيا واذا لم يندفع الا بالقتل قتل وقال الغزالى رحمه الله فان اجتمع عدة عن الموصوفين بهذه الصفة فالامام من انعقدت له البيعة من اكثر الخلق والمخالف للاكثر باغ يجب رده الى الانقياد الى الحق * قال ابن الهمام فى كلام غيره من اهل السنة اعتبار السبق فالثانى يجب رده انتهى * ولا يخفى ان كلام الحجة رحمه الله يحمل على كلام غيره من اهل السنة فتدبر ثم ينبغى ان يكون الامام ظاهرا (يرجع اليه الانام فى مهماتهم فيقوم بمصالح امورهم) لا مختفيا خوفا من الاعداء وما للظلمة من الاستيلاء ولا منتظرا خروجه عند صلاح العباد وانقطاع مواد الشر والفساد وانحلال مظالم اهل الظلم والعناد ولا كما زعمت الشيعة خصوصا الامامية منهم * ان امام الحق بعد رسول الخلق (صلى الله عليه وسلم) على ثم ابنه الحسن * ثم اخوه الحسين * ثم ابنه زين العابدين * ثم ابنه محمد الباقر * ثم ابنه جعفر الصادق * ثم ابنه موسى الكاظم * ثم ابنه على الرضاء * ثم ابنه محمد التقى * ثم ابنه على النقى * ثم ابنه الحسن العسكرى * ثم ابنه محمد القائم (رضى الله عنهم) عند اهل السنة ثانى عشر وبه يتم الامامة ولا عند الشيعة محمد القائم والمنتظر المهدى محل النزاع * وخلاف الاجماع * المنتظر المهدى فى عقائدهم قد اختفى خوفا من اعدائه * ولا يخفى ان اختفاءه وعدم وجوده سواء فى عدم حصول المرام من نصب الامام وان خوفه من الاعداء لا يوجب الاختفاء بحيث لا يوجد منه الا ذكره فى الاسماء بل غاية الامر انه يوجب اخفاء دعوى الامامة كما كان آباؤهم ظاهرين من غير دعوى تلك الحالة مع ان عند اختلاف الآراء واستيلاء الظلمة والاعداء وفساد الزمان يكون احتياج الناس الى الامام اشد من حال الامان فى آخر الزمان وانه يملاء الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وانه من عترته عليه الصلوة والسلام من ولد فاطمة فثابت قد ورد الاخبار عن سيد الاخيار صلى الله عليه وسلم * ثم يشترط الامام ان يكون قريشيا لقوله عليه الصلوة والسلام (الائمة من قريش) وهو حديث مشهور وليس المراد به الامامة فى الصلوة اتفاقا فتعينت الامامة الكبرى * خلافا للخوارج وبعض المعتزلة * ومنهم الكعبى حيث زعم ان القريشى اولى بها * وان خافوا الفتنة جاز غيره * ولا يشترط ان يكون الامام هاشميا او علويا او معصوما وحقيقة العصمة ان لا يخلق الله تعالى فى العبد الذنب مع بقاء قدرته واختياره وهذا معنى قولهم هى لطف من الله تعالى يحمله على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء ولهذا قال الشيخ (ابو منصور العصمة لا تزيل المحنة) اى التكليف المتضمن للكلفة لانها حاصلة فى نفس الشخص وبدنه ولسانه يمتنع بسببها صدور الذنب عنه كما قيل لانه لو كان الذنب ممتنعا لما صح تكليفه بترك الذنب كالاعمى لا ينهى عن النظر والمرتعش لا ينهى عن السكون لانه تحصيل الحاصل ولا تكليف بما ليس تحته

الطائل * ولايشترط ان يكون افضل اهل زمانه لان المساوى فى الفضيلة بل المفضول الاقل علما ربما كان اعرف بمصالح الامامة ومفاسدها واقدر على القيام بمواجبها ولذا جعل عمر رضى الله عنه الامامة شورى بين ستة مع القطع بان بعضهم كعثمان وعلى (رضى الله عنهما) افضل من باقيهم ويشترط ان يكون من اهل الولاية المطلقة الكاملة (بان يكون مسلما حرا ذكرا عاقلا بالغا سايسا بقوة رأيه ورؤيته ومعونة بأسه وشوكته قادرا بعلمه وعدالته وكفايته وشجاعته) على تنفيذ الاحكام وحفظ حدود الاسلام وانصاف المظلوم من الظالم عند حدوث المظالم * ولاينعزل الامام بالفسق والجور لانهما قد ظهرا على الامراء بعد الخلفاء * والسلف كانوا ينقادون لحكمهم ويقيمون الجمع والاعياد باذنهم ولايرون الخروج عليهم فكان اجماعا منهم على صحة امامة اهل الجور والفسق انتهاء بل ابتداء فاما ماقال بعض المحشين على شرح العقايد من انه لاينبغى ان يظن بالسلف ان انقيادهم الظاهرى للخوف وعدم تجويز الخروج لعدم التمشى لان (بعض الظن اثم) فمردود عليه ومدفوع بان كونه من بعض الظن الذى فيه اثم ممنوع لاشك انهم كانوا خائفين من نحو يزيد والحجاج وزياد ولم يتمشى الخروج على ارباب العناد بل كان يترتب عليه امور من الفساد ولذا كان ابن عمر يمنع ابن الزبير (رضى الله عنهم) وينهاه عن دعوى الخلافة مع انه كان احق واولى بها من امراء الجور بلاخلاف * وعن الشافعى رضى الله عنه ان الامام ينعزل بالفسق والجور وكذا كل قاض وامير * ومنشأ الخلاف ان الفاسق ليس اهل الولاية عند الشافعى رضى الله عنه لانه لاينظر لنفسه فكيف ينظر لغيره * وعن ابى حنيفة (رضى الله عنه) هو اهل الولاية حتى يصح للاب الفاسق تزويج ابنته الصغيرة * والمسطور فى كتب الشافعية ان القاضى ينعزل بالفسق بخلاف الامام * والفرق ان فى انعزاله ووجوب نصب غيره اثارة الفتنة لما له من الشوكة بخلاف القاضى * وقيل عدم عزل الامام هو المختار من مذهب ابى حنيفة رحمه الله * وعن محمد رحمه الله روايتان لكن يستحق العزل اتفاقا وما مر من انقياد السلف الاخيار دليل للقول المختار * وفى حديث مسلم من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية * وفى الصحيحين (من كره من اميره شيأ فليصبر فان من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية * وفى رواية المسلم (من ولى عليه وآل فرآه يأتى شيأ من معصية الله فليكره ماياته * ولاينزعن يدا ه من طاعته * وفى البخارى والسنن الاربعة السمع والطاعة على المرأ المسلم فيما احب ذكره مالم يؤمر بمعصية فاذا امر بها فلا سمع ولا طاعة * وفى رواية النوادر عن علمائنا الثلاثة انه لايجوز قضاء الفاسق * وقال بعض المشايخ اذا قلد الفاسق ابتداء يصح ولو قلد وهو عدل ينعزل بالفسق الطارى لان المقلد اعتمد على عدالته فلم يرض بقضائه بتغير حاله * وفى فتاوى قاضيخان اجمعوا على انه اذا ارتشى لاينفذ قضاؤه فيما ارتشى فانه اذا اخذ القاضى القضاء برشوة لايصير قاضيا ولو قضى لاينفذ قضاؤه * ثم من متعلقات هذه المسئلة انه تجوز الصلوة خلف كل بر وفاجر وكذا على كل بر

وفاجر

وفاجر لحديث وردبذلك ولان علماء الامة كانوا يصلون خلف الفسقة واهل البدعة * وما نقل عن بعض السلف من المنع عن الصلوة خلف المبتدعة فمحمول على الكراهة * وفى شرح المقاصد نزاع فى ان مباحث الامامة اليق بعلم الفروع لرجوعها الى القيام بالامامة ونصب الامام الموصوف بالصفات المخصوصة من فروض الكفاية * ولاخفاء فى ان ذلك من الاحكام العملية دون الاعتقادية فذكرهنا للتنبيه على انها من المسائل التى يتميز بها اهل السنة عن المعتزلة والشيعة وسائر المبتدعة (ومنها ان اليأس من رحمة الله كفر) لقوله تعالى لاييئس من روح الله الا القوم الكافرون) وكذا الامن من عقوبته كفر لقوله تعالى (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) والانبياء مأمونون لا آمنون بل خائفون منه اكثر من غيرهم لانهم اعرفون بماله من صفات الجلال وكونهم مأمونين انما هو من قبله سبحانه تفضيلا فى شأنهم وعلو مكانهم (ومنها ان تصديق الكاهن بما يخبره عن الغيب كفر) لقوله تعالى (لايعلم الغيب الا الله) ولقوله عليه الصلوة والسلام (من اتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد) صلى الله عليه وسلم * ثم الكاهن هو الذى يخبر عن الكوائن فى مستقبل الزمان * ويدعى معرفة الاسرار فى المكان الخفى * وقيل الكاهن الساحر * والمنجم اذا ادعى العلم بالحوادث الآتية فهو مثل الكاهن وفى معناه الرمال * قال القونوى رحمه الله * والحديث يشتمل الكاهن والعراف والمنجم فلا يجوز اتباع المنجم والرمال وغيرهما ولا اتباع من ادعى الالهام فيما يخبر به عن الهاماته بعد الانبياء عليهم السلام ولا اتباع قول من ادعى علم الحروف المهجات لانه فى معنى الكاهن انتهى (ومن جملة علم الحروف) قال المصحف حيث يفتحونه وينظرون فى اول الصفحة اى حروف وافق وكذا فى سابع الورقة السابعة فان جاء حرف من الحروف المركبة من التشحلاكم حكموا بانه غير مستحسن وفى سائر الحروف بخلاف ذلك وقد صرح ابن العجم فى منسكه وقال لا يأخذ الفال من المصحف فان العلماء اختلفوا فى ذلك فكره بعضهم واجازه بعضهم ونص المالكية على تحريمه انتهى * ولعل من اجاز الفال اوكرهه اعتمد على المعنى ومن حرمه من اعتبر حروف المبنى فانه فى معنى الاستسقام بالازلام * قال الكرمانى ولا ينبغى ان يكتب على ثلاث ورقات من البياض اوغيره (افعل لاتفعل) اويكتب الخير والشر ونحو ذلك فانه بدعة انتهى * وذكر فى المدارك مايدل على انه حرام بالنص لانه قال فى تفسير قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة الى قوله وان تستقسموا بالازلام) قال كان احدهم اذا اراد سفرا اوغيره يعمد الى قداح ثلثة على واحد منها مكتوب (امرنى ربى) وعلى الآخر (نهانى ربى) والثالث غفل فان خرج الآمر مضى لحاجته وان خرج الناهى امسك وان خرج الغفل اعاده * قال الزجاج * ولافرق بين هذا وبين قول المنجمين (لاتخرج من اجل نجم كذا) واخرج بطلوع نجم كذا * قلت ولا بطال

هذه الاشياء جعل صلى الله عليه وسلم صلوة الاستخارة وبعدها الدعاء المأثور كما هو المشهور وقد ورد (ما خاب من استخار وما ندم من استشار * وقال شارح عقيدة الطحاوى الواجب على اولى الامر وكل قادر ان يسعى فى ازالة هؤلاء المنجمين والكهان والعارفين واصحاب الضرب بالرمل والحص والقرع والفال * ومنعهم من الجلوس فى الحوانيت او الطرقات او ان يدخلوا على الناس فى منازلهم لذلك ويكفى من يعلم تحريم ذلك ولا يسعى فى ازالته مع قدرته لذلك قوله تعالى (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وهؤلاء الملاعين يقولون الاثم ويأكلون السحت باجماع المسلمين وهؤلاء (الذين يفعلون هذه الافعال الخارجة من الكتاب والسنة) انواع (نوع) منهم اهل تلبيس وكذب وخداع الذين يظهر احدهم اطاعة الجن له او يدعى الحال من اهل الحال كالمشايخ النصابين والفقراء الكذابين والصوفية المكارين فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التى ترد عنهم وامثالهم عن الكذب والتلبيس وقد يكون فى هؤلاء من يستحق القتل كمن يدعى النبوة بمثل هذه الخدعيات او يطلب تغيير شىء من الشرعيات ونحو ذلك و(نوع) منهم يتكلم فى هذه الامور على سبيل الجد والحقيقة بانواع السحر وجمهور العلماء يوجبون قتل الساحر كما هو مذهب ابى حنيفة ومالك واحمد رحمهم الله فى المنصوص عنه وهذا هو المأثور عن الصحابة كعمر وابنه وعثمان وغيرهم رضى الله عنهم * ثم اختلف هؤلاء هل يستتاب ام لا وهل يكفر بالسحر ام يقتل لسعيه فى الارض بالفساد قالت طائفة ان قتل بالسحر قتل والا عوقب بدون القتل اذا لم يكن فى قوله وعمله كفر وهذا هو المنقول عن الشافعى رضه وهو قول فى مذهب احمد رحمه الله * وقد تنازع العلماء فى حقيقة السحر وانواعه * والاكثرون يقولون انه قد يورث فى موت المسحور ومرضه من غير وصول شىء ظاهر اليه * وزعم بعضهم انه مجرد تخييل واتفقوا كلهم على ان ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة او غيرها او خطها او السجود لها او التقرب اليها بما يناسبها من اللباس والخواتم ولا يجوز نحو ذلك فانه كفر وهو من اعظم ابواب الشر * واتفقوا كلهم ايضا على ان كل رقية وتعزيم او قسم فيه شرك بالله فانه لا يجوز التكلم به وكذا الكلام الذى لا يعرف معناه لا يتكلم به لامكان ان يكون فيه شرك لا يعرف ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم (لا بأس بالرقى مالم تكن شركا) ولا يجوز الاستعانة بالجن فقد ذم الله الكافرين على ذلك * فقال الله تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) قالوا كان اذا سافروا نزلوا بالوادى ويقول اعوذ بعظيم هذا الوادى من سفهائه فيبيت فى امن وجوار حتى يصبح فزادوهم يعنى الانس للجن باستعاذتهم بهم رهقا اى اثما وطغيانا وجرأة وشرا وذلك انهم قد قالوا سيدنا الجن فالجن يتعاظم فى انفسها وتزداد كفرا اذا عاملتهم الانس بهذه المعاملة وقال الله تعالى (ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) الآية فاستمتاع الانس بالجن فى قضاء حوائجه وامتثال اوامره واخباره

بشئ من المصيبات ونحو ذلك واستمتاع الجن بالانس تعظيمه اياه واستعانته واستغاثته وخضوعه له
* و(نوع) منهم يدعى بالاحوال الشيطانية والكشوف بالرياضيات النفسانية ومخاطبة الرجال الغيب
* وان لهم خوارق تقتضى انهم اولياء الله وكان من هؤلاء من يعين المشركين على المسلمين
ويقولون ان الرسول صلى الله عليه وسلم امره بقتال المسلمين مع المشركين لكون المسلمين
قد عصوا وهؤلاء فى الحقيقة اخوان المشركين * ثم الناس من اهل العلم فى حق رجال الغيب
ثلثة احزاب * حزب يكذبون بوجود رجال الغيب * ولكن قد عاينهم الناس وثبت ذلك
عمن عاينهم او حدثه الثقات بما رواه وهؤلاء اذا رواهم وتيقنوا وجودهم خاضعوا لهم * وحزب
عرفوهم ورجعوا الى القدر واعتقدوا ان لهم فى الباطن طريقا الى الله غير طريقة الانبياء
* وحزب ما امكنهم ان يجعلوا اولياء خارجا عن دايرة الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا
يكون الرسول هو محمدا للطائفتين فهؤلاء معظمون للرسول جاهلون بدينه وشرعه * والحق
ان هؤلاء من اتباع الشياطين وان رجال الغيب هم الجن لان الانس لايكون دايما محتجبا عن
ابصار الانس وانما يحتجب احيانا فمن ظن انهم من الانس فمن غلطه وجهله وسبب الضلالة
فيهم * وافتراق هذه الاحزاب الثلثة عدم العرفان بين اولياء الشيطان واولياء الرحمن * وبالجملة
فالعلم بالغيب امر تفرد به سبحانه ولا سبيل اليه للعباد الا باعلام منه والهام بطريق المعجزة
او الكرامة او ارشاد الى الاستدلال بالامارات فيما يمكن فيه ذلك * ولهذا ذكر فى الفتاوى
ان قول القائل عند رؤية هالة القمر اى دايرته يكون مطر (مدعيا علم الغيب لا بعلامة) كفر
* ومن اللطايف ما حكاه بعض ارباب الظرايف ٢ ان منجما صلب فقيل له هل رأيت هذا فى
نجمك فقال رأيت رفعة ولكن ما عرفت انها فوق مشبة * ثم اعلم ان الانبياء لم يعلموا المغيبات
من الاشياء الا ما اعلمهم الله تعالى احيانا * وذكر الحنفية تصريحا بالتكفير باعتقاد ان النبى
صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب لمعارضة قوله تعالى (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب
الا الله) كذا فى المسايرة * ومنها (ماذكره شارح عقيدة الطحاوى عن الشيخ
حافظ الدين النسفى فى المنار ان القرآن اسم للنظم والمعنى) * وكذا قال
غيره من اهل الاصول وما ينسب الى ابى حنيفة رحمه الله من قرأ فى الصلوة بالفارسية
اجزأه فقد رجع عنه وقال لا يجوز مع القدرة بغير العربيه وقال لو قرأ بغير العربية فاما ان يكون
مجنونا فتداوى او زنديقا فيقتل لان الله تعالى تكلم بهذه اللغة والاعجاز حصل بنظمه ومعناه
* ومنها (ان استحلال المعصية صغيرة كانت او كبيرة كفر) اذا ثبت كونها معصية
بدلالة قطعية * وكذا الاستهانة بها كفربان يعدها هنية سهلة ويرتكبها من غير مبالات بها
ويجريها مجرى المباحات فى ارتكابها * وكذا الاستهزاء على الشريعة الغراء كفر * لان ذلك من
امارات تكذيب الانبياء * قال ابن الهمام وبالجملة فقد ضم الى تحقيق الايمان اثبات امور الاخلال بها

٢ الظواهر

احلال بالايمان اتفاقا كترك السجود بالله وقتل نبى او الاستخفاف به او بالمصحف وسجود لغيره والكعبة وكذا مخالفة ما اجمع عليه وانكاره بعد العلم به يعنى من اصول الدين فان من انكر وجوب ختم وشجاعة على (رضى الله عنه) لايكفر * قال ابن الهمام وقد كفر الحنيفة من واظب على ترك سنة استخفافا لها بسبب انها انما فعلها النبى صلى الله عليه وسلم زيادة مع استقباحها كمن استقبح من آخر جعل بعض العمامة تحت حلقه او اخفاء شاربه * قلت ولذا روى ان ابا يوسف رحمه الله ذكر انه عليه الصلوة والسلام كان يحب الدباء فقال رجل انا لا احبها فحكم بارتداده * وعلى هذه الاصول يبتنى الفروع التى ذكر فى الفتاوى من انه اذا اعتقد الحرام حلالا فان كان حرمته لعينه وقد ثبت بدليل قطعى يكفر والا فلا بان يكون حرمته لغيره او ثبت بدليل ظنى * وبعضهم لم يفرق بين الحرام لعينه ولغيره فقال (من استحل حراما قد علم فى دين النبى صلى الله عليه وسلم تحريمه كنكاح ذوى المحارم او شرب الخمر او اكل ميتة او دم او لحم خنزير من غير ضرورة فكافر * ومن استحل شرب خمر النبيذ الى سكر كفر * اما لو قال لحرام هذا حلال لترويج السلعة او بحكم الجهل لايكفر * ولو تمنى ان لاتكون الخمر حراما ولا يكون صوم رمضان فرضا لما يشق عليه لايكفر بخلاف ما اذا تمنى ان لايحرم الزنا وقتل النفس بغير حق فانه يكفر لان حرمة هذا ثابتة فى جميع الاديان موافقة للحكمة * ومن اراد الخروج عن الحكمة فقد اراد ان يحكم الله ماليس بحكمة وهذا جهل منه بربه سبحانه * وتوضيحه ماقال بعضهم من ان الضابطة هى (ان الحرام الذى كان حلالا فى شريعة فتمنى حله ليس بكفر والذى لم يكن حلالا فى شريعة فتمنى حله كفر لان حرمته الابدية انما هى التى اقتضتها الحكمة الازلية مع قطع النظر عن احوال الاشخاص الاولية والآخرية * ثم قال فان قلت كون الحرمة موافقة لحكمة الله تعالى هو المدار فى التكفير والامر فى حرمة الخمر ايضا كذلك لان تحريمه بالنسبة الى هذه الامة انما هو لاقتضاء الحكمة قلت لكن هذه الحكمة مقيدة وتلك مطلقة فارادة الخروج من الثانية خروج من الحكمة مطلقا ومن الاولى ليس كذلك بل هى موافقة للحكمة بوجه وان كانت مخالفة لها ايضا بوجه آخر فافترقا انتهى * وفى هذا الفرق نظر لايخفى اذ لايطابق ورود السؤال * ولايصح جوابا عنه فى الحال فان حرمة الخمر فى هذه الامة لايقال انها موافقة للحكمة من وجه مخالفة لها من وجه هذا وفى كون تمنى امثال ذلك الحكمة كفرا اشكال لكون الانبياء تمنوا انهم لم يخلقوا * وقد تمنى ان آدم لم يأكل من الشجرة حتى لم يقع فى الدنيا البتة وغاية الامران خلاف الحكمة وقوعه محال * والتمنى انما يكون محله فى المحال على ان المتمنى ليس له تعرض بالحكمة لانفيا ولا اثباتا ليكون سببا للكفر وذكر الامام السرخسى رحمه الله انه لو استحل وطى امرأته الحائض يكفر وفى النوادر عن محمد لايكفر وهو الصحيح * وفى استحلال اللواطة بامرأته لايكفر على الاصح لانه مختلف فيه * اما الاول فلان النص الدال على حرمته قوله تعالى (ولاتقربوهن حتى يطهرن) ظنى الدلالة مع ان حرمته لغيره وهو مجاورة

الاذى هذا مبنى على الخلاف فيمن استحل حراما لغيره هل يكفر ام لا * ومن وصف الله تعالى بما لايليق به او سخر باسم من اسمائه اوبامر من اوامره اوانكر وعده اووعيده يكفر * وكذا لو تمنى ان لايكون نبى من الانبياء على قصد استخفافى اوعداوة وقيل ينبغى ان يقيد التكفير لذلك بهذا الان وجود الانبياء مما اقتضته الحكمة بلاشبهة فتمنى ان لايوجد نبى من الانبياء كفر مطلقا * واجيب بان اقتضاء الحكمة ذلك انما هو لتبليغ الاحكام الالهية الى عباده * ويمكن ان يبلغ تلك الاحكام اليهم بلا واسطة نبى فعدم تكون الانبياء بالتمام لايستلزم ان لايثبت تلك الاحكام حتى يكون تمنى ذلك موجبا للكفر على ان تمنى ذلك لغو لا اثر فى الوجود بخلاف تمنى حل الزنا وامثاله مما يتعلق بافعال العباد لان امثال ذلك يتضمن الفساد والله لايحب الفساد انتهى * وفيه بحث من وجوه * اما اولا فلانه لايشك ان وساطة الانبياء لاتخ من حكمة خاصة بهم وان كان يمكن اعلام الاحكام بدونهم * واما ثانيا فلان الفرق غير ظاهر بينهما بل تمنى عدم وجود الانبياء اعم واتم من تمنى حل الزنا وقتل النفس ونحوهما * واما ثالثا فلان تضمن الفساد لايوجب كونه كفرا فى البلاد والله رؤف بالعباد * وكذا لو ضحك على وجه الرضى ممن يتكلم بالكفر * واما اذا ضحك لاعلى وجه الرضى بل بسبب ان كان الكلام الموجب للكفر عجيبا غريبا يضحك السامع ضرورة فلا * وكذا لو جلس على مكان مرتفع وحوله جماعة يسئلونه مسائل ويضحكون ويضربون بالوسايد يكفرون جميعا وذلك لان هذه الجماعة يجعلون ذلك الشخص مثلا النبى صلى الله عليه وسلم وينزلون الغير منزلة اصحابه الكرام فى السؤال بالمسائل والاحكام استهزاء بالنبى واصحابه نعوذ بالله من ذلك وكذا لو امر رجلا ان يكفر بالله اوعزم على ان يأمره يكفر * وذلك لان الرضا بالكفر كفر سواء كان بكفر نفسه اوبكفر غيره * وقد سبق زيادة بيان فى هذا الكلام وتحقيق امره * وكذا لو قال عند شرب الخمر اوالزنا (بسم الله) اى عمدا اوباعتقاد انهما حلالان * وكذا لو افتى لامرأة بالكفر لتبين من زوجها * وهذا بان يقول المفتى اوالقاضى للمرأة المطلقة بالثلاث مثلا ماحكم الاسلام فتقول لااعرف مع انه لوقيل لها اذا اسلم احد هل يجوز قتله واخذ ماله فتقول لا فحينئذ يقول هذا المفتى الجاهل اوالقاضى المايل افتيت بكفرها اوحكمت بانها ما كانت مسلمة من اصلها فنكاحها الاول فاسد (وهذا عمل باطل وامر كاسد * وكذا لوصلى بغير القبلة اوبغير طهارة متعمدا يكفر وان وافق ذلك القبلة يعنى وكذا ان وافق الطهارة وكذا لو اطلق كلمة الكفر استخفافا لااعتقادا الى غير ذلك من الفروع * والجمع بين قولهم (لا يكفر احد من اهل القبلة) وقولهم (يكفر من قال بخلق القرآن اواستحالة الرؤية وسب الشيخين اولعنهما وامثال ذلك مشكل كما قال شارح العقايد * وكذا قال شارح المواقف ان جمهور المتكلمين والفقهاء على انه (لايكفر احد من اهل القبلة) وقد ذكر فى كتب الفتاوى ان سب الشيخين كفر * وكذا

انكار امامتهما كفر * ولاشك ان امثال هذه المسائل مقبولة بين جمهور المسلمين * والجمع بين القولين المذكورين مشكل انتهى * وجه الاشكال عدم المطابقة بين المسائل الفرعية والدلائل الاصلية التى من جملتها اتفاق المتكلمين على عدم تكفير اهل القبلة المحمدية صلى الله عليه وسلم * وقد يندفع الاشكال بان نقل كتب الفتاوى مع جهالة قائله وعدم اظهار دليله ليس بحجة من ناقله اذ مدار التكليف الاعتقاد فى المسائل الدينية على الادلة القطعية على ان تكفير المسلم قد ترتب عليه مفاسد جلية وخفية فلا يفيد قول بعضهم انما ذكروه بناء على الامور التهديدية والتغليظية * وقد قصد الامام ابن الهمام فى شرح الهداية عن جواب هذه الحكاية حيث قال (اعلم ان الحكم بكفر من ذكرنا من اهل الاهواء مع ما ثبت عن ابى حنيفة والشافعى رحمهما الله من عدم تكفير اهل القبلة من المبتدعة كلهم مجملة ان ذلك المعتقد فى نفسه كفر * فالقائل به قائل بما هو كفر وان لم يكفر فبناء على كون قوله ذلك عن استفراغ وسعه مجتهدا فى الحق لكن جزمهم ببطلان الصلوة خلفه لا يصح هذا الجمع ايضا الا ان يراد بعدم الجواز خلفهم عدم الحل اى عدم حل ان يفعل وهو لا ينافى صحة الصلوة والافهو مشكل انتهى * ولا يخفى انه يمكن ان يقال فى دفع الاشكال ان جزمهم ببطلان الصلوة خلفهم احتياطا لا يستلزم جزمهم بكفرهم الا ترى انهم جزموا ببطلان الصلوة مستقبلة الى الحجر الاسود احتياطا مع عدم جزمهم بانه ليس من البيت بل حكموا بموجب ظنهم فيه انه منه فاوجبوا الطواف من ورائه * ثم اعلم ان المراد باهل القبلة الذين (اتفقوا على ما هو من ضروريات الدين كحدوث العالم وحشر الاجساد وعلم الله تعالى بالكليات والجزئيات وما اشبه ذلك من المسائل المهمات) فمن واظب طول عمره على الطاعات والعبادات مع اعتقاد قدم العالم ونفى الحشر اونفى علمه سبحانه بالجزئيات لا يكون من اهل القبلة * وان المراد بعدم تكفير احد من اهل القبلة عند اهل السنة انه لا يكفر ما لم يوجد شئ من امارات الكفر وعلاماته ولم يصدر عنه شئ من موجباته * فاذا عرفت ذلك فاعلم ان اهل القبلة المتفقين على ما ذكرنا من اصول العقيدة اختلفوا فى اصول اخر كمسئلة الصفات وخلق الاعمال وعموم الارادة وقدم الكلام وجواز الرؤية ونحو ذلك مما لا نزاع فى ان الحق فيها واحد واختلفوا ايضا هل يكفر المخالف للحق بذلك الاعتقاد والقول به على وجه الاعتماد ام لا فذهب الاشعرى واكثر اصحابه الى انه ليس بكافر وبه يشعر ما قال الشافعى رحمه الله لا ارد شهادة اهل الاهواء الا الخطابية لاستحلالهم الكذب * وفى المنتقى من ابى حنيفة رحمه الله لم يكفر احد من اهل القبلة وعليه اكثر الفقهاء ومن اصحابنا من قال بكفر المخالفين وقد قال قدماء المعتزلة بكفر القائل بالصفات القديمة وبخلق الاعمال * وقال الاستاذ ابو اسحاق نكفر من يكفرنا ومن لا فلا * واختار الرازى ان لا يكفر احد من اهل القبلة * وقد اجيب عن اشكال بان عدم التكفير مذهب المتكلمين والتكفير مذهب الفقهاء فلا يتحد القائل بالنقيضين فلا

محذور * ولو سلم فيجوز ان يكون الثانى للتغليظ فى رد ماذهب اليه المخالفون والاول لاحترام شأن اهل القبلة فانهم فى الجملة معنا موافقون * ومنها (بحث التوبة) * اعلم اولا ان قبل التوبة (وهو اسقاط عقوبة الذنب من التائب) غير واجب على الله تعالى عقلا بل كان ذلك منه فضلا خلافا للمعتزلة * فاما وقوع قبولها شرعا فقيل هو مرجو غير مقطوع به * ويدل عليه قوله تعالى (ويتوب الله على من يشاء علقه بالمشية ولذا حسن من الله تعالى ورسوله تأخير قبول توبة المخلفين عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخلاص توبتهم وكثرة بكائهم وشدة ندامتهم * بخلاف التوبة عن الكفر حيث تقبل قطعا عرفناه باجماع الصحابة والسلف فانهم يرغبون الى الله تعالى فى قبول توبتهم عن الذنب والمعاصى كما فى قبول صلوتهم وسائر اعمالهم ويقطعون بقبول توبة الكافر كما ذكره القونوى ويمكن ان يقال ان عدم جزمهم بتوبة انفسهم لكونهم غير جازمين بحصول شرايطها اذهى كثيرة بخلاف التوبة عن الكفر فان الاعتبار فيه بمجرد الاقرار بحسب الظواهر والله اعلم بالسرايروله اذا كان السلف خائفين من قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) اى حالا ومآلا والعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب فلا يرد انه نزل فى حق المنافقين * واما قوله تعالى (ويتوب الله على من يشاء) فمعناه يوافقه للتوبة بقرينة على لايقبل توبته حيث لم يقل عن * ولقوله تعالى (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات) والآية فى المؤمنين واخبار الله تعالى حق ووعده صدق فانكاره كفر كما قال به بعضهم * ولقوله عليه الصلوة والسلام (التائب من الذنب كمن لاذنب له) واما تأخير قبول توبة المخلفين منه عليه الصلوة والسلام لعدم اطلاعه عليه الصلوة والسلام على مافى قلوبهم وللتأدب مع الله فى الاستقلال بالحكم فى امرهم واما هو سبحانه اخر اظهار قبول توبتهم زجرا لهم ولامثالهم عن عودهم الى زلتهم على انه لا يبعد انهم ما اخلصوا فى نيتهم الا عند نزول قبول توبتهم وفى عمدة النسفى رحمه الله من تاب عن كبيرة صحت توبته مع الاصرار على كبيرة اخرى ولا يعاقب بها اى على الكبيرة التى تاب عنها * خلافا لابى هاشم من المعتزلة ثم قال ومن تاب عن الكبيرة لايستغنى عن توبة الصغائر ويجوز ان يعاقب بها عند اهل السنة والجماعة * وعند الخوارج من عصى صغيرة اوكبيرة فهو كافر مخلد فى النار اى اذا مات عن غير توبة * (وعند المعتزلة تفصيل المسائل) فان كانت كبيرة يخرج من الايمان ولايدخل فى الكفر الا انه مخلد فى النار وان كانت صغيرة واجتنب الكبائر لا يجوز التعذيب عليها وان ارتكب الكبائر لايجوز العفو عنها * ويرد عليهم باجمعهم قوله سبحانه (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) كما مر بيانه فى الاثناء * وفيه الايماء الى انه سبحانه يعفو عن بعض ارباب الذنوب الا انه لا ندرى فى حق كل واحد على التعيين انه هل يعفى عنه ام لا واذا

عذبه فانه لا يؤيده كما تدل عليه الاحاديث فيما من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق وهو قول اكثر الصحابة والتابعين واهل السنة والجماعة ثم الفرق لاصحابنا بين الكفر وبين ما دونه من الذنوب فى جواز العفو عما دون الكفر وامتناعه فيه ما ذكر الشيخ ابو منصور الماتريدى فى التوحيد ان الكفر مذهب يعتقد للابد اذ المذاهب تعتقد للابد فعلى ذلك عقوبة ان يخلد وسائر الكبائر لا يفعل للابد الا فى بعض الاوقات عند غلبة الشهوات فعلى ذلك عقوبتها اى بعض الحالات ان لم يعف عنه ولم يتداركه الشفاعات وهذا فى حق العصاة واما غيرهم فقد قال الطحاوى نرجوا للمحسنين من المؤمنين ان يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته انتهى وانما استعمل الرجاء بظاهر احسانهم فى الحال لاعلى تحقيق الايقان فى المآل ولان العمل الصالح ليس بموجب للجزاء بل الجزاء بفضل الله وبرحمته كما قال صلى الله عليه وسلم (لن يدخل احدكم الجنة لعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته وهذا لا ينافى ما قال الله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فانه ما كان يتفضل الله بدخول الجنة الاعلى من آمن وعمل صالحا كانه يدخله بعمله الصالح والحاصل ان الباء للسببية لا للمقابلة والبدلية وقد يقال ان ايمانه وعمله الصالح قد تحقق منه بفضل الله فلا مناقضة بين القول بانه يدخل الجنة بفضل الله ورحمته وبين القول بانه يدخلها بعمله وطاعته وبعضهم قدروا الدرجات مقابلة للطاعة فالتقدير ادخلوا درجات الجنة واما نفس الدخول فبالفضل المجرد حيث لا يجب عليه شىء والخلود بالنية كما ان دخول الكفار بمجرد العدل والدركات بحسب اختلاف اعمالهم من الحالات والخلود باعتبار النيات ثم لما جاز عندنا غفران الكبيرة بدون التوبة ومع عدم الشفاعة فمع وجود الشفاعة اولى وقد قال صلى الله عليه وسلم (شفاعتى لاهل الكبائر من امتى) هو محتمل ان يكون قبل دخول النار وان يكون بعده وتقييد المعتزلة تلك الشفاعة برفع الدرجة يأبى تخصيصه لاهل الكبائر وعندهم لما امتنع العفو فلا فائدة للشفاعة واستدلوا بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين مع ان الآية فى الكفار باجماع المفسرين على ان اصحابنا استدلوا بهذه الآية على ثبوت الشفاعة للمؤمنين لانه ذكر ذلك فى معرض التهديد للكفار ولو كانت الشفاعة منفيا لغير الكفار ايضا لم يكن لتخصيص الكفار بالذكر فى حال تقبيح امرهم معنى ثم اعلم ان الحسنات يذهبن السيئات كما قال الله الا انها مختصة بالصغائر * ولا تبطل الحسنات بشوم المعاصى الا بالكفر لقوله تعالى (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) والفسق ليس فى معنى الكفر فلا يلحق به فى الاحباط * خلافا للمعتزلة لا يقال ان قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) يفيد ان من عمل صالحا واتى خيرا ثم مات كافرا يرى ذلك الخير وهو باطل بالاجماع * لانا نقول ان معناه يره فى الدنيا برد الآخرة ولا خير له كما ان المؤمن يرى فى الدنيا جزاء ما ارتكبه من السيئات بان يصيبه بعض

البليات يرد الآخرة بريا من الذنوب نقيا من العيوب وقال ابن عباس رضى الله عنهما ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا الا اراه الله اياه فاما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته * واما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته * قال شارح عقيدة الطحاوى وهل يحبط الاسلام ماقبله من الشرك (وغيره من الذنوب وان لم يتب عنها) ام لابد مع الاسلام من التوبة من غير الشرك حتى لو اسلم وهو مصر على الزنا وشرب الخمر مثلا هل يؤخذ بما كان منه فى كفره من الزنا وشرب الخمر ام لابد ان يتوب من ذلك الذنب مع اسلام اويتوب توبة عامة من كل ذنب هذا هو الصحيح فالاصح انه لابد من التوبة مع الاسلام انتهى ولايخفى ان هذا ميل الى قول من قال ان الكافر مكلف بالفروع والمذهب الصحيح بخلافه فبعد ما اسلم لايحتاج الى توبة اخرى بعد توبة من الشرك الذى يحبط ماقبله من الذنوب الابعض مايتعلق بحقوق العباد كما بين فى محله * نعم يجب عليه ان يكون نادما على شركه وسائر معاصيه وان يقلع من مباشرة المناهى وان يعزم على عدم العود اليها * ثم كون التوبة سببا لغفران الذنوب وعدم المؤاخذة بها مما لا خلاف فيه بين الامة وليس شيأ يكون سببا لغفران جميع الذنوب الا التوبة * قال الله تعالى (قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) هذا مختص بمن تاب فان الله لايغفر ان يشرك به ولذا قال (لاتقنطوا من رحمة الله) الآية الى ان قال بعدها وانيبوا الى ربكم (ثم اعلم ان التوبة لغة هى الرجوع) ولها مراتب * توبة عن المعصية وهى توبة العوام * وتوبة عن الغفلة وهى للخواص وتسمى الاوابة * ومنه قوله تعالى فى حق الانبياء (انه اواب) وفى حق العلماء الصلحاء انه كان للاوابين غفورا * وحديث صلوة الاوابين وهى احياء مابين العشاءين بالطاعة * وتوبة عن ملاحظة غير الله وهى للعارفين والموحدين كما قال ابن الفارض

﴿ شعر ﴾ ولوخَطَرَتْ لى فى سِوَاكَ ارادَة * على خاطرى سهوا حَكَمْتُ برِدَّتى

* وفى الشريعة هى ندم على معصية من حيث هى معصية مع عزم ان لايعود اليها اذا قدر عليها كذا عرفه المتكلمون فقولهم على معصية لان الندم على فعل (لايكون معصية بل مباحا اوطاعة) لايسمى توبة وقولهم (من حيث هى معصية) لان النادم على شرب الخمر (لما فيه من الصداع وخفة العقل وكثرة النزاع والاخلال بالعرض والحال) لم يكن تائبا شرعا وقولهم (مع عزم ان لايعود اليها) لان النادم على الامر لايكون الا كذلك * ولذا ورد فى الحديث (الندم توبة) كذا فى المواقف قال شارحه * واعترض عليه لان الندم على فعل فى الماضى قد يريده فى الحال اوالاستقبال فهذا القيد احتراز منه * واما ماورد فى الحديث محمول على الندم الكامل وهو ان يكون مع العزم على عدم العود ابدا وردبان الندم على المعصية من حيث هى معصية يستلزم ذلك العزم كما لايخفى انتهى * ولايخفى ان هذا الاستلزام ممنوع عقلا ونقلا على ماصرح به علماؤ

الانام حيث صرحوا بان التوبة من معصية دون اخرى صحيحة عند اهل السنة خلافا للمعتزلة (وايضا قد نصوا على ان اركان التوبة ثلاثة) الندامة على الماضى * والاقلاع فى الحال * والعزم على عدم العود فى الاستقبال * فالاولى ان يقال معنى الندم توبة انه عمدة اركانها كقوله عليه الصلوة والسلام الحج عرفة * ثم هذا ان كانت التوبة فيما بينه وبين الله كشرب الخمر * واما ان كانت عما فرط فيه من حقوق الله كصلوة وصيام وزكوة فتوبته ان يندم على تفريطه اولا ثم يعزم ان لا يفوت ابدا ولو بتأخير صلوة عن وقتها ثم يقضى ما فاته جميعا وان كانت عما يتعلق بالعباد فان كانت من مظالم الاموال فتوقف صحة التوبة منها مع ما قدمناه فى حقوق الله على الخروج عن عهدة الاموال وارضاء الخصم فى الحال او الاستقبال بان يتحلل منهم او يردها اليهم او الى من يقوم مقامهم من وكيل او وارث هذا * وفى القنية رجل عليه ديون لاناس لا يعرفهم من مغصوب ومظالم اوجنايات يتصدق بقدرها على الفقراء على عزيمة القضاء ان وجد مع التوبة الى الله فيعذر * ولو صرف ذلك المال الى الوالدين والمولودين اى الفقراء يصير معذورا فيها ايضا وعليه دون لاناس شتى (كزيادة فى الاخذ ونقص فى الدفع) فلو تحرى فى ذلك وتصدق بثوب قوم بذلك يخرج من العهدة * قال فعرف بهذا ان فى هذا لا يشترط التصدق بجنس ما عليه * وفى فتاوى قاضيخان رجل له خصم فمات ولا وارث له تصدق عن صاحب الحق بقدر ماله عليه ليكون وديعة عند الله يوصلها الى خصمائه يوم القيمة * واذا غصب مسلم من ذمى مالا او سرق منه فانه يعاقب به يوم القيمة لان الذمى لا يرجى منه العفو فكانت خصومة الذمى اشد * ثم هل يكفيه ان يقول (لك على دين فاجعلنى فى حل) ام لابد ان يعين مقداره ففى النوازل رجل له على آخر دين وهو لا يعلم بجميع ذلك * فقال له المديون ابرأنى مما لك على * فقال الداين ابرأتك * قال نصير رحمه الله لا يبرأ الا عن مقدار ما يتوهم اى يظن انه عليه * وقال محمد بن سلمة يبرأ عن الكل * قال الفقيه ابو الليث حكم القضاة ما قال محمد بن سلمة وحكم الآخرة ما قال النصير * وفى القنية من عليه حقوق فاستحل صاحبها ولم يفصلها فجعله فى حل يعذر ان علم انه لو فصله يجعله فى حل والا فلا قال بعضهم انه حسن وان روى انه يصير فى حل مطلقا * وفى الخلاصة رجل قال لآخر حللنى من كل حق هو لك ففعل وابرأه ان كان صاحب الحق عالما به برئ حكما وديانة وان لم يكن عالما به برئ حكما بالاجماع * واما ديانة فعند محمد رحمه الله لا يبرأ * وعند ابى يوسف رحمه الله يبرأ وعليه الفتوى انتهى وفيه انه خلاف ما اختاره ابو الليث * ولعل قوله مبنى على التقوى * واما ان كانت المظالم فى الاعراض كالقذف والغيبة فيجب فى التوبة فيما مع ما قدمنا فى حقوق الله ان يخبر اصحابها بما قال من ذلك ويحلل منهم فان تعذر ذلك فليعزم على انه متى وجدهم يتحلل منهم فاذا حللوه سقط عنه ما وجب عليه لهم من

الحق * فان عجز عن ذلك كله بان كان صاحب الغيبة ميتا اوغائبا مثلا فليستغفر الله والمرجو من فضله وكرمه ان يرضى خصماءه من خزائن احسانه فانه جواد كريم رؤف رحيم * وفى روضة العلماء (الزانى اذا تاب تاب الله عليه وصاحب الغيبة اذا تاب لم يتب الله عليه حتى يرضى عنه خصمه * قلت ولعل هذا معنى ماورد (الغيبة اشد من الزنا * وقال الفقيه ابو الليث قد تكلم الناس فى توبة المغتابين هل يجوز من غير ان يستحل من صاحبه * قال بعضهم يجوز * وقال بعضهم لايجوز وهو عندنا على وجهين * احدهما ان كان ذلك القول قد بلغ الى الذى اغتابه فتوبته ان يستحل منه وان لم يبلغ يستغفر الله ويعمد ان لايعود الى مثله وفى روضة العلماء سألت ابا محمد رحمه الله قلت له **(اذا تاب صاحب الغيبة)** قبل وصولها الى المغتاب عنه هل تنفعه توبته * قال نعم تنفعه توبته فانه تاب قبل ان يصير الذنب ذنبا يتعلق به حق العبد لانها انما يصير ذنبا اذا بلغت اليه * قلت فان بلغت اليه بعد توبته قال لاتبطل توبته بل يغفر الله لهما جميعا المغتاب بالتوبة والمغتاب عنه بما يلحقه من المشقة لانه كريم ولايحتمل منه كرمه ردتوبته بعد قبولها بل يعفو عنهما جميعا انتهى * ولايخفى انه انما علق الامر بالكرم لانه يحتمل ان يكون قبول توبته بشرط عدم علم المغتاب عنه بغيبته مطلقا (اما اذا قال بهتانا) بان لم يكن ذلك فيه فانه يحتاج الى التوبة فى ثلث مواضع * احدها ان يرجع الى القوم الذين تكلم بالبهتان عندهم فيقول انى قد ذكرته عندكم بكذا وكذا فاعلموا انى كنت كاذبا فى ذلك * والثانى ان يذهب الى الذى قال عليه البهتان ويطلب الرضى عنه حتى يجعله فى حل منه * والثالث ان يتوب كما سبق فى حقوق الله تعالى فليس شئ من العصيان اعظم من البهتان ثم هل يكفيه ان يقول اغتبتك فاجعلنى فى حل ام لابد ان يبين ما اغتاب ففى منسك بن العجم والغيبة لايعلمه بها ان علم بها ان اعلامه يصير فتنة ويدل عليه ان الابراء عن الحقوق المجهولة جائز عندنا لكن سبق انه هل يكفيه حكومة اوديانة * ثم يستحب لصاحب الغيبة ان يبدأ به ليخلص اخاه من المعصية ويفوز هو بعظم المثوبة * وفى الملتقط رجل له على آخر دين لايقدر على استفائه كان ابراءه خيرا له من ان يدعه عليه * وفى القنية * تصافح الخصمين لاجل العذر استحلال * وعن شرف الائمة لاتصافحا بل يجب الاستحلال عليهما انتهى وفيه رد على ما اشتهر بين العوام ان الغيبة ناشية حتى بين العلماء الاعلام فكل واحد منهم له حق فى ذمة الآخر منهم فيحصل التقاص فيما بينهم (وفى القنية) سلم المؤذى على المؤذى مرة بعد اخرى فكان يرد عليه السلام ويحسن اليه حتى غلب على ظنه انه قد برئ منه ورضى عنه لايعذر والاستحلال واجب عليه * وعن شرف الائمة المكى اذا اذاه ولايستحله للحال لانه يقول هو ممتلئ غضبا فلايعفو عنى لايعذر فى التأخير * قال الكرمانى فى منسكه اذا تاب توبة صحيحة صارت مقبولة غير مردودة قطعا من غير شك وشبهة بحكم

الوعد بالنص اى قوله تعالى (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) ولا يجوز لاحد ان يقول ان قبول التوبة الصحيحة فى مشية الله فان ذلك جهل محض ويخاف على قائله الكفر لانه وعد قبول التوبة الصحيحة قطعا من غير شك واذا تشكك التائب فى قبول التوبة اذا كانت صحيحة فانه بتلك التوبة والاعتقاد به يكون مذنبا بذنب اعظم من الاول نعوذ بالله من ذلك ومن جميع المهالك انتهى * وتوضيحه ماذكر الامام الغزالى من ان التوبة اذا استجمعت شرايطها فهى مقبولة لامحالة * ثم قال ومن تاب فانما يشك فى قبول توبته لانه ليس بيقين حصول شروطها ولو تصور ان يعلم القبول فى حق الشخص المعين ولكن هذا الشك فى الاعيان لا يشككنا فى ان التوبة فى نفسها طريق القبول لامحالة انتهى وهو غاية المنتهى فليرجع الى المدعى فان النهاية هى الرجوع الى البداية ويقول قولهم فى تعريف التوبة اذا قدر لان من سلب القدرة له على الزنا وانقطع طمعه عن عود القدرة اليه اذا عزم على تركه لم يكن ذلك توبة منه كذا فى المواقف * وقال شارحه وفيه بحث لان قوله اذا قدر ظرف لترك الفعل المستفاد من قوله لا يعود * وانما قيد به لان العزم على ترك الفعل انما يتصور ممن قدر على ذلك الفعل وتركه فى ذلك الوقت ففائدة هذا القيد ان العزم على الترك ليس مطلقا حتى يتصور ممن سلب قدرته وانقطع طمعه بل هو مقيد بكونه على تقدير فرض القدرة وثبوتها فيتصور ذلك العزم المسلوب ايضا انتهى * ولا يخفى انه حينئذ لا يسمى مسلوبا قطعا وتحقيق المرام فى هذا المقام قول الآمدى * وانما قلنا عند كونه اهلا للفعل فى المستقبل غير متصور منه لعدم تصور صور الفعل عنه ومع ذلك فانه اذا ندم على ما فعل صحت توبته باجماع السلف وقال (ابو بكر هاشم) الزانى اذا جب لا تصح توبته لانه عاجز وهو باطل بما اذا تاب عن الزنا وغيره وهو فى مرض مخيف فان توبته صحيحة بالاجماع وان كان جازما بعجزه عن الفعل فى المستقبل انتهى * ولا يخفى ان الاجماع الاول مبنى على ان العزم على ترك الفعل اذا قدر ركنا يسقط عند العذر كما قالوا فى اسقاط ركن الاقرار عن نحو الاخرس * والاجماع الثانى مبنى على ان المرض المخيف المخوف ليس مما يوجب الجزم بالعجز عن الفعل فى المستقبل بدليل قوله صلى الله عليه وسلم (ان الله يقبل توبة عبده مالم يغرغر) فانه حينئذ يتحقق عدم قدرته مع ان توبته عند العيان وهو مأمور بايقاع الايمان وما يتعلق به فى حال غيب امور الآخرة فتبين الفرق بين الزانى اذا جب واذا مرض مرضا مخيفا فلا يصلح ان يكون الاول باطلا بالثانى لكن مع هذا يجب على المجبوب ايضا ان يعزم على ان لا يعود اليه على تقدير القدرة * واما ماذكره صاحب المقاصد من الترديد حيث قال ان قلنا لا يقبل ندم المجبوب فمن تاب لمرض مخيف فلا يقبل ذلك منه لوجود التوبة ام لانه ليس باختياره بل بالجاء الخوف اليه فيكون كالايمان عند اليأس اى وظهوره مما يلجئ اليه غير مقبول اجماعا فهو منافق لما نقل الآمدى

من

من الاجماع على القبول فى المسئلتين السابقتين * ثم اعلم ان من اراد ان يكون مسلما عند جميع طوائف الاسلام فعليه ان يتوب من جميع الآثام صغيرها وكبيرها سواء يتعلق بالاعمال الظاهرة او بالاخلاق الباطنة ثم يجب عليه ان يحفظ نفسه فى الاقوال والافعال والاحوال من الوقوع فى الارتداد نعوذ بالله من ذلك فانه مبطل للاعمال وهو خاتمة المآل وان قدره الله عليه وصدر عنه ما يوجب الردة فيتوب عنها ويجدد الشهادة لترجع له السعادة هذا * وفى الخلاصة ايمان اليأس غير مقبول وتوبة اليأس المختار انها مقبولة انتهى * ولا يخفى ان هذه الرواية مخالفة لظاهر الدراية حيث ورد قوله عليه الصلوة والسلام (ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر) بل النص الصريح فى قوله سبحانه (وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار (فيجب على كل واحد معرفة الكفريات لانها اقوى من معرفة الاعتقاديات فان الثانية يكفى فيها الايمان الاجمالى * بخلاف الاولى فانه يتعين فيها العلم التفصيلى لاسيما فى مذهب امامنا الحنفى رحمه الله * ولذا قيل (الدخول فى الاسلام سهل فى تحصيل المرام واما الثبات على الاحكام فصعب على جميع الانام) ويشير اليه قوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) الآية وقد قالوا (الاستقامة خير من الف كرامة (ومن اللطايف) انه قيل لواحد من جبير ان ابى يزيد اما تسلم فقال ان كان الاسلام كاسلام ابى يزيد فما اقدر على ان اخرج عن عهدته وان كان كاسلامكم فما تعجبنى احوالكم فى احكامكم فاذا تبين ذلك لك (فاعلم) انى اذكر ما وصل الى من اقوال العلماء فى هذا الباب * واختلف بعضهم فى الجواب وابين ما يظهر لى فيه من الصواب * وقد سبق ذكر بعض هذه المسائل فى هذا الكتاب * فليذكر ما عداها وما يترتب عليها * ففى البزازية (ولو قال سلطان زماننا عادل) يكفر فانه جابر بيقين ومن سمى الجور عدلا يكفر * وقيل لا لان له تأويلا وهو ان يقول (اردت به انه عادل من غيرنا او هو عادل عن طريق الحق) قال الله تعالى سبحانه (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) انتهى * وحاصله ان لفظ عادل يحتمل كونه اسم فاعل من عدل عدلا ضد ظلم وجور او من عدل عدولا فاذا كان اللفظ محتملا فلا يحكم بكونه كفرا الا اذا صرح بانه نوى المعنى الاول فتأمل * ونظيره فى المعاملات ما ذكروا فى الطلاق والعتاق من الكنايات فانها يتوقف حكمها على النيات لاسيما وقد ذكروا

ان المسئلة المتعلقة بالكفر اذا كان لها تسع وتسعون احتمالا فى اثبات الكفر واحتمال واحد فى نفيه فالاولى للمفتى والقاضى ان يعمل بالاحتمال النافى لان الخطا فى ابقاء الف كافر اهون من الخطا فى افناء مسلم واحد * وفى المسئلة المذكورة تصريح بانه يقبل من صاحبها التأويل خلافا لمن ذكره بعضهم على خلاف هذا القبيل * وهذا كله اذا صدر عنه تعمد الحديث (رفع عن امتى الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه) وقد صرح قاضيخان فى فتواه بان الخاطى اذا جرى على لسانه

كلمة الكفر خطأ لم يكن ذلك كفرا عند الكل بخلاف الهازل لانه يقول قصدا * لايقال فى المسئلة الاولى ان سلطان الزمان كما لايخلو عن العدوان لايخلو عن العدل فى مقام الاحسان * لانا نقول لما غلب الظلم والجور فى سلاطين زماننا حكموا بذلك * الاترى ان من يصلى غالبا يصح ان يقال له المصلى بخلاف من اذا صلى احيانا وكذا المتقى وامثاله * وفى عمدة النسفى رحمه الله واستحلال المعصية كفر قال شارحه القونوى رحمه الله كانه اراد بالمعصية المعصية الثابتة بالنص القطعى لما فى ذلك من جحود مقتضى الكتاب اما المعصية الثابتة بالدليل الظنى كخبر الواحد فانه لايكفر مستحلها ولكن يفسق اذا استخف فاماتنا ولافلما عرفت * وقال القاضى عضد الدين فى المواقف ولايكفر احد من اهل القبلة الافيما فيه نفى الصانع القادر العليم او شرك او انكار للنبوة واما ما علم مجيئه بالضرورة او المجمع عليه كاستحلال المحرمات واما ما عداه فالقائل به مبتدع لاكافر انتهى * ولايخفى ان المراد بقول علمائنا لايجوز تكفير اهل القبلة بذنب ليس مجرد التوجه الى القبلة فان الغلاط من الروافض الذين يدعون ان جبرائيل عليه السلام غلط فى الوحى فان الله تعالى ارسله الى على رضى الله عنه وبعضهم قالوا انه اله وان صلوا الى القبلة ليس المؤمنين وهذا هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم (من صلى صلوتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا وذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله فلاتحقروا اليه فى ذمته) كذا رواه البخارى فى الصحيح * قال القونوى رحمه الله ولو تلفظ بكلمة الكفر طايعا غير معتقد له يكفر لانه راض بمباشرته وان لم يرض بحكمه كالهازل به فانه يكفر وان لم يرض بحكمه ولا يعذر بالجهل وهذا عند عامة العلماء خلافا للبعض قال * ولو انكر احد خلافة الشيخين يكفر اقول ولعل وجهه انما ثبتت بالاجماع من غير النزاع ولان خلافة الصديق رضى الله عنه من غير تردد باشارة صاحب التحقيق * وخلافة عمر رضى الله عنه بنصب الصديق رضى الله عنه من غير تردد فى امره بخلاف خلافة الختنين * واما من انكر صحبة ابى بكر رضى الله عنه فيكفر لكونه انكارا لنص القرآن حيث قال الله تعالى اذ يقول لصاحبه * واجماع المفسرين على انه المراد به ونقل عن التاتارخانية ان من قيل له (افعل هذا لله) فاجاب لاافعله كفر وفيه ان يراد القسم عن المستحبات كما ورد فى الاحاديث فينبغى ان لايكفر نعم لو صرح بانه لاافعله لله فالظاهر انه يكفر * **(ثم اعلم ان باب التكفير)** عظمت فيه المحنة والفتنة وكثر فيه الافتراق والمخالفة وتشعبت فيه الاهواء والآراء وتعارضت فيه دلائلهم وتناقضت فيه وسايلهم فالناس فى جنس تكفير اهل المقالات الفاسدة والعقايد الكاسدة المخالفة لحق الذى بعث الله به رسوله الى الخلق على الطرفين ووسط من جنس الاختلاف فى تكفير اهل الكبائر العملية * فطائفة تقول لانكفر من اهل القبلة احدا فينتفى التكفير نفيا عاما مع العلم بان فى اهل القبلة المنافقين الذين فيهم من هو اكفر من اليهود

والنصارى

والنصارى بالكتاب والسنة واجماع الامة وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم وهم يتظاهرون بالشهادتين وايضا فلا خلاف بين المسلمين ان الرجل ظهر منه انكار الواجبات الظاهرة المتواترة والمحرمات الظاهرة المتواترة فانه يستتاب فان تاب فبها والا قتل كافرا مرتدا والنفاق والردة يبطنهما البدع والفجور كما ذكره الجلال فى كتاب السنة بسنده الى محمد بن سيرين بانه قال (ان اسرع الناس ردة اهل الاهواء * وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم * واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره * ولهذا امتنع كثير من الائمة عن اطلاق القول بانا لانكفر احدا بذنب بل يقال انا لانكفر بكل ذنب كما يفعله الخوارج وفرق بين نفى العموم ونفى العموم والواجب انما هو نفى العموم مناقضة كقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب * وطوائف من اهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك فى الاعمال لكن فى الاعتقادات البدعة وان كان صاحبها متأولا فيقولون يكفر * كل من قال هذا القول لا يفرقون بين المجتهد المخطئ وغيره ويقولون يكفر كل مبتدع * وهذا القول يقرب الى مذهب الخوارج والمعتزلة فمن عيوب اهل البدعة تكفير بعضهم بعضا * ومن مادح اهل السنة انهم يخطئون ولا يكفرون نعم من اعتقد ان الله تعالى لا يعلم الاشياء قبل وقوعها فهم كافرون على قاله من اهل البدعة وكذا من قال بانه سبحانه جسم وله مكان ويمر عليه زمان ونحو ذلك فانه كافر ما ثبت له حقيقة الايمان * واما قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون * وقوله صلى الله عليه وسلم (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) كما رواه الشيخان فمحمول على الاستحلال او على قتاله من حيث انه مسلم وقوله (عليه افضل الصلوة والسلام) واذا قال الرجل لاخيه يا كافر فقد باء بها احدهما) كما فى الصحيحين يحمل على انه اذا اعتقد ذلك ولم يرد بها اهانة احد هنالك او قصد به كفر النعمة ونحو ذلك * وقوله صلى الله عليه وسلم (من حلف بغير الله فقد كفر) رواه الحاكم بهذا اللفظ فمعناه كفران دون كفر لما رواه غيره فقد اشرك اى شركا خفيا او يحمل على انه اذا اعتقد تعظيم غير سبحانه باليمين او استحل هذا الامر المبين * اعلم ان قدامة بن عبد الله شرب الخمر بعد تحريمها وهو بطائفة تاولون قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية فلما ذكر ذلك لعمر بن الخطاب رضى الله عنه اتفق هو وعلى ابن ابى طالب وسائر الصحابة رضوان الله عليهم على انهم ان اعترفوا بالتحريم جلدوا وان اصروا على استحلالها قتلوا * وقال عمر رضى الله عنه لقدامة اخطأت (استكره بحضرة) اما انك لو اتقيت وآمنت وعملت الصالحات لم تشرب الخمر وذلك ان هذه الآية نزلت بسبب ان الله سبحانه لما حرم الخمر وكان تحريمها بعد واقعة احد قال بعض الصحابة فكيف باصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر فانزل الله تعالى هذه الآية وبين فيها ان من طعم الشئ فى الحالة التى لم يحرم فيها فلا جناح عليه اذا كان من المؤمنين المتقين المصلين ثم ان اولئك

الذين فعلوا ذلك ندموا وعلموا انهم اخطاؤا وايسوا من التوبة فكتب عمر رضى الله عنه الى قدامة يقول له هم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ما ادرى اى ذنبك اعظم استحلالك المحرم اوّلا ام يأسك من رحمة الله ثانيا وهذا الذى اتفق عليه الصحابه الكرام وهو متفق عليه بين ائمة الاسلام * وروى

(عن ابراهيم بن ادهم) انهم رأوه بالبصرة يوم التروية ورؤى فى ذلك اليوم بمكة فقال ابن المقاتل من اعتقد جوازه كفر لانه من المعجزات لامن الكرامات اما انا فاستجهله ولا اكفره اقول ينبغى ان لايكفر ولايستجهله لانه من الكرامات لامن المعجزات اذ المعجزة لابد فيها من التحدى ولاتحدى هنا فلا معجزة وعند اهل السنة تجوز الكرامة كذا فى الفصولين واقول التحدى فرع دعوى النبوة ودعوى النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم كفر بالاجماع فظهور خارق العادات من الاتباع كرامة من غير النزاع * ثم اعلم انه اذا تكلم بكلمة الكفر عالما بمعناها ولا يعتقد معناها لكن صدرت عنه من غير اكراه بل مع طواعية فى تأديته فانه يحكم عليه بالكفر بناء على القول المختار عند بعضهم من الايمان هو مجموع التصديق والاقرار فباجرائها يتبدل الاقرار بالانكار * واما اذا تكلم بكلمة الكفر ولم يدر انها كلمة كفر * ففى فتاوى قاضيخان حكاية خلاف من غير ترجيح حيث قال قيل لايكفر ويعذر بالجهل وقيل يكفر ولايعذر بالجهل اقول والاظهر الاول اذا كان من قبيل مايعلم من الدين بالضرورة فانه ح يكفر ولايعذر بالجهل ثم اعلم ان المرتد يعرض عليه الاسلام على سبيل الندب دون الوجوب لان الدعوة بلغته وهو قول مالك والشافعى واحمد رحمهم الله وتكشف عنه شبهته فان طلب ان يمهل حبث ثلثة ايام للمهلة لانها مدة ضربت لاجل الاعذار فان تاب فبها والاقتل * وفى النوادر عن ابى حنيفة وابى يوسف رحمهما الله يستحب ان يمهل ثلثة ايام طلب ذلك اولم يطلب * وفى اصح قول الشافعى رحمه الله اذا تاب فى الحال والاقتل وهو اختيار ابن المنذور * وقال الثورى رحمه الله يستتاب مايرجى عوده * وفى المبسوط وان ارتد ثانيا وثالثا فكذلك يستتاب وهو قول اكثر اهل العلم وقال مالك واحمد رحمهما الله لايستتاب من تكرر منه كالزنديق * ولنا فى الزنديق روايتان رواية لاتقبل توبته كقول مالك رحمه الله * وفى رواية تقبل وهو قول الشافعى رحمه الله وهذا فى احكام الدنيا * واما فيما بينه وبين الله تعالى فيقبل بلا خلاف * وعن ابى يوسف رحمه الله اذا تكرر منه الارتداد يقتل من غير عرض الاسلام لاستخفافه بالدين * ثم اعلم ان الشيخ العلامة المعروف ببدر الرشيد رحمه الله من الائمة الحنفية رحمه الله جمع اكثر الكلمات الكفرية بالاشارات الايمانية فيها انا ابين رموزها اواعين كنوزها اواحلى غموضها واحلى غموضها (ففى الحاوى للفتاوى (ومن كفر باللسان وقلبه غير مطمئن بالايمان فهو كافر وليس بمؤمن عند الله) انتهى وهو معلوم من مفهوم قوله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان

ولكن

ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله) وفى خلاصة الفتاوى ومن خطر ببالـه ما يوجب الكفر) لو تكلم به (اولم يتكلم به وهو كاره) لذلك فذلك محض الايمان انتهى * وقد ورد حديث فى هذا المعنى وقال الحمد لله الذى رد امر الشيطان الى الوسوسة (وفيه ايضا ان من عزم على الكفر ولو بعد مائة سنة يكفر فى الحال انتهى) وقد بينت وجهه فى ضوء المعالى لشرح بدء الامالى (وفيه ايضا ان من ضحك مع الرضاء عن تكلم بالكفر كفر) انتهى ومفهومه ان من ضحك تعجبا من مقالته مع عدم الرضاء بحاله لا يكفر فالمدار على الرضاء * وانما قيد المسئلة على الرضاء بالضحك لان الغالب ان يكون مع الرضاء * ولذا اطلق فى مجمع الفتاوى وقال من تكلم بكلمة الكفر مختلفا فيه * وزاد فى المحيط وقتل اذا سكت القوم عن الذكر وجلسوا عنه بعد التكلم بالكفر كفر) انتهى وهذا محمول على العلم بكفره (وفى المحيط من انكر الاخبار المتواترة فى الشريعة كفر مثله حرمة لبس الحرير على الرجال ومن انكر اصل الوتر واصل الاضحية كفر) انتهى * ولا يخفى ان قيده بقوله فى الشريعة لانه لو انكر متواترا فى غير الشريعة كانكار وجود حاتم وشجاعة على رضى الله عنه وغيرهما لا يكفر ﴿ثم اعلم﴾ انه اراد بالمتواتر هنا التواتر المعنوى لا اللفظى لعدم ثبوت تحريم لبس الحرير واصل الوتر والاضحية بالتواتر المصطلح فان الاخبار المروية عنه صلى الله عليه وسلم على ثلث مراتب كما بينه فى شرح النخبة هنا اما انه اما متواتر وهو ما رواه جماعة عن جماعة لا يتصور تواطئهم على الكذب فمن انكره كفر (ومشهور) وهو ما رواه واحد عن واحد ثم جمع عن جمع لا يتصور توافقهم على الكذب فمن انكره كفر عند الكل الا عيسى بن ابان فان عنده يضلل ولا يكفر وهو الصحيح * وخبر الواحد وهو ان يرويه واحد عن واحد فلا يكفر جاحده غير انه يأثم بترك القبول اذا كان صحيحا او حسنا (وفى الخلاصة من رد حديثا قال بعض مشايخنا يكفر وقال المتأخرون ان كان متواترا كفر) اقول هذا هو الصحيح (الا اذا كان رد حديث الآحاد من الاخبار على وجه الاستخفاف والاستحقار وفى الفتاوى الظهرية من روى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة فقال الآخر ارى المنبر والقبر ولا ارى شيأ يكفر) وهو محمول على انه اراد به الاستهزاء والانكار وليس مؤمنا بالامور الغيبية الزائدة على الاحوال الغيبية الواردة فى الاخبار (وفى المحيط من اكره على شتم النبى صلى الله عليه وسلم ان قال شتمت ولم يخطر ببالى او انا غير راض بذلك لا يكفر وكان كمن اكره على الكفر بالله فتكلم وقلبه مطمئن بالايمان وان قال خطر ببالى رجل من النصارى اسمه (محمد صلى الله عليه وسلم) فاردته ونويته بالشتم لا يكفر ايضا وان قال خطر ببالى نصرانى اسمه (محمد صلى الله عليه وسلم) فاردته ونويته فلم اشتمه وانما شتمت مع ذلك النبى صلى الله عليه وسلم يكفر فى القضاء فيما بينه وبين الله تعالى ايضا لانه شتم النبى صلى الله

عليه وسلم طايعا لانه امكنه الدفع بشتم محمد آخر خطر ببالله) انتهى * وفيه انه اذا لم يخطر ببالله محمد آخر حينئذ وشتمه مكرها لايكفر لكن لابد ان يكون الاكراه بقتل او ضرب مولم ويكون المكره قادرا عليه ولايمكن للمكره دفعه بوجه آخر فتدبر (وفى الخلاصة روى عن ابى يوسف رحمه الله انه قيل بحضرة الخليفة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب القرع فقال رجل انا لا احبه فامر ابو يوسف رحمه الله باحضار القطع والسيف فقال الرجل استغفر الله مما ذكرته ومن جميع مايوجب الكفر اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتركه ولم يقتله وتأويل هذا انه قال بطريق الاستخفاف) يعنى لان الكراهة الطبيعية ليست داخلة تحت الاعمال الاختيارية ولايكلف بها احد فى القواعد الشرعية (وفى الخلاصة ايضا ان فى الاجناس عن ابى حنيفة رحمه الله ولايصلى غير الانبياء والملائكة ومن صلى على غيرهما الا على وجه التبعية فهو غال من الشيعة التى نسميها الروافض) انتهى * ومفهومه ان حكم السلام ليس كذلك * ولعل وجهه ان السلام تحية اهل الاسلام * ولا فرق بين السلام عليه وعليه السلام الا ان قول عليه السلام من شعار اهل البدعة فلا يستحسن فى مقام المرام * * *

(فصل فى القراءة والصلوة)

(وفى الفتاوى الظهرية يجب اكفار الذين يقولون ان القرآن جسم اذا كتب وعرض اذا قرئ) * وفيه بحث لايخفى وتحقيقه مايقوم فى مسئلة القول بخلق القرآن * وفى الخلاصة من قرأ القرآن على ضرب الدف والقضيب يكفر * قلت وينوب منه ضرب الدف والقضيب مع ذكر الله تعالى ونعت المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا التصفق على الذكر ثم قال وكذا من لم يؤمن بكتاب من كتاب الله او جحد وعدا او وعيدا مما ذكره الله فى القرآن او كذب شيأ منه اى من اخباره وهذا ظاهر لامرية فى امره ولامخالفة فى حكمه (وفى جواهر الفقه من انكر الاهوال عند النزع والقبر والقيمة والميزان والصراط والجنة والنار كفر) انتهى * ولعل الجنة والنار عطف على الاهوال ليستقيم الاهوال الاان المعتزلة لم يقولوا بعذاب القبر ولا بالميزان والصراط ولايصح اكفارهم فى صحيح الاقوال (وفى فوز النجاة من قال لاادرى لم ذكر الله هذا فى القرآن كفر) يعنى اذا كان بطريق الانكار ليترتب عليه الاكفار بخلاف ما اذا سئل استفهاما عن حكمه (وفى المحيط سئل الامام الفضلى عمن يقرأ الظاء مكان الضاد ويقرأ اصحاب الجنة مكان اصحاب النار او على العكس فقال لاتجوز امامته ولو تعمد يكفر) قلت اما كون تعمده كفرا فلا كلام فيه اذا لم يكن لغتان ففى ضنين الخلاف للشامى واما تبديل الظاء مكان الضاد ففيه تفصيل وكذا تبديل اصحاب الجنة فى موضع اصحاب النار وعكسه ففيه خلاف وبحث طويل (وفى تتمة الفتاوى ومن استخف بالقرآن او بالمسجد او بنحوه مما يعظم فى الشرع كفر ومن وضع رجله على المصحف خالفا استخفافا كفر) انتهى * ولايخفى ان قوله خالفا قيد واقعى فلامفهوم له (وفى جواهر الفقه من قيل لاتقرأ القرآن

اولاتكثر قراءته فقال شبعت اوكرهت اوانكر كراهته من كتاب الله اوعاب شيأ من القرآن وانكر المعوذتين من القرآن غير مؤول كفر) قلت وقال بعض المتأخرين كفر مطلقا اوّل اولم يؤل لكن الاول الصحيح هو المؤل * وفيه ايضا (ومن جحد القرآن) اى كله (اوسورة منه اوآية) قلت وكذا كلمة وقراءة متواترة (اوزعم انها ليست من كلام الله تعالى كفر) يعنى اذا كان كونه من القرآن مجمعا عليه مثل البسملة فى سورة النمل بخلاف البسملة فى اوائل السورة فانها ليست من القرآن عند المالكية رحمه الله على خلاف الشافعية رحمه الله * وعند المحققين من الحنفية رحمه الله انها آية مستقلة انزلت للفصل (وفيه ايضا من سمع قراءة القرآن فقال استهزاء بها صحة طرفة عين كفر) اى نقمة عجيبة وانما يكفر اذا قصد الاستهزاء بالقراءة نفسها بخلاف ما اذا استهزئ بقارئها من هيئة قبح صوته فيها وغرابة تأديه بها (وفى الفتاوى الظهرية من قرأ آية من القرآن على وجه الهزل كفر) قلت لانه تعالى لقد قال انه لقول فصل وماهو بالهزل (وفى تتمة الفتاوى من استعمل كلام الله تعالى فى كلامه كمن قال فى ازدحام الناس فجمعناهم كفر) قلت هذا انما يتصور اذا كان قائل هذا الكلام هو جامع الناس بالازدحام والا فلا مانع من انه تذكر فى هذا المقام قوله تعالى فيما سيكون يوم القيمة فالاظهر فى مثال هذا الباب (يايحى خذ الكتاب) هذا اذا قصد هذا المعنى فى الخطاب بخلاف ما اذا طابق لفظ نص القرآن والله اعلم بالصواب (وفى فوز النجاة من قال لآخر جعل بيته مثل والسماء والطارق يكفر) لانه يلعب بالقرآن قلت وكذا من قال جعلت بيتى مثل ماذكر فلا مفهوم لآخر فتدبر وفى جواهر الفقه من قال لآخر ظهر البيت اوجوفه مثل والسماء والطارق كفر * قلت انما ذكره تقوية لما قبله (وفى فوز النجاة من قال لآخر طبخ القدر بقل هو الله احد كفر) لانه اراد بهذا السخرية لا التبرك به وتحسين الطوية (وفى الظهرية من قال سلخت اوسلخ سورة الاخلاص او قال لمن يكفر قراءة سورة التنزيل اخذت حبيبا سورة التنزيل كفر) قلت اراد بكثرة التمثيل (وكذا فى المحيط وقال اخذت حبيبا الم نشرح لك كفر) اى يقصد الاستهزاء لا المداومة على قراءته فى البلاء والرخاء (وفى الظهرية اوقال فلان اقصر من انا اعطيناك الكوثر كفر) اى لاستهزائه اوقال لمن يقرأ عند المريض سورة يس تلقيها فى فم الميت كفر اى لاستخفافه بها (قال ومن دعى الى جماعة فقال اصلى موحدا) اى منفردا فان الله قال ان الصلوة تنهى كفر * يعنى استدل بقوله تنهى انه بمعنى تنهابلغة العجم وقد قال صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه فقد كفر مع انه بدل وحرف وغير * ونظيره ان تركيا قال فى قوله سبحانه تتجافى جنوبهم * معناه ان السمت وهو النارية من الرعبة افعلوا الجفاء معهم فى القضية فانهم جنب طبيعة (وفى المحيط من قال لمن يقرأ القرآن ولا يتذكر كلمة والتفت الساق بالساق اوملأ قدحا وجأبه وقال (وكأسا دهاقا) اوقال فكانت سرابا بطريق المزاح كفر اوقال عند الكيل اوالوزن

(واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون (يريد به المزاح فهذا كله كفر) اى لان المزاح بالقرآن كفر كما سبق * ومن جمع اهل موضع وقال (ومشرناهم فلم نغادر منهم احدا) اوقال فجمعناهم جمعا * اوقال فجمعناهم عندنا كفر * وفيه ان وجه الكفر فى القولين الاولين ظاهر لانه وضع القرآن موضع كلامه * واما القول الاخير فلا يظهر وجه كفره لانه ماجاء جمعناهم عندنا فى القرآن وبمجرد مشاركة كلمة تكون فى القرآن من جملة اجزاء الكلام لا يخرج عن الاسلام باتفاق علماء الانام فكان القائل به توهم انه من الالفاظ القرآنية (ثم قال ومن قال والنازعات نزعا اونزعا) يعنى بضم النون واراد به الطنز كفر انتهى * والطنز بالطاء والنون والزاء السخرية (وفى اليتيمة قال معلم يوم خلق الله القرآن وضع الخميس كفر * وفيه انه ان كان مبنيا على مسئلة خلق القرآن فهى من خلافية وان كان مبنيا على قوله وضع بصيغة الفاعل اوانه افترى على الله كذبا انه شرع اعطاء الخميس للفقيه فكفره ظاهر * بخلاف ما اذا قال وضع بصيغة المجهول فتأمل فانه موضع زلل (ثم قال ولو قال خذ اجرة المصحف يكفر) وفيه بحث لانه يحتمل صدور هذا الكلام منه لفقيه الكتاب اولكاتب المصحف * وعلى تقدير ين فالمعنى خذ اجرة تعليمه اوكتابته ولا محذور فيه لاسيما والجمهور من المتأخرين جوزوا تعليم القرآن بالاجرة واتفقوا على جواز اجرة كتابة المصحف (ثم قال ومن قال لما فى القدر اذا سئل مافيه اوقال لنا فى القدر والباقيات الصالحات كفر) يعنى * لانه اما قال مزاحا اووضع كلامه سبحانه موضع كلامه كما يدل عليه اتيان الواو فى الباقيات (وفى الظهرية تخاصموا فقال احدهما لاحول ولا قوة الا بالله وقال الآخر لاحول ليس على امر اوقال ماذا افعل بلاحول ولا قوة الا بالله اوقال لاحول لا يغنى من جوع اولا يغنى من الخبز اولا يكفى من الخبز اولا يأتى من حول شىء اوقال لا يكثر فى القصعة كفر فى الوجوه كلها وفى المحيط وكذا اذا قال كله عند التسبيح والتهليل كفر وكذلك اذا قال سبحان الله فقال الآخر سلخت اسم الله اوالى مايقول سبحانه كفر لاستخفافه فى الكل باسم الله) قلت وهذا تعليل حسن يفيد انه لو قال الى كم سبحان الله اوالى ماتقول سبحان الله بطريق الاستفهام لاسيما عند اطالة هذا الكلام لا يكفر (ثم قال وكذلك اذا قال وقت قمار كعبتين بسم الله كفر) انتهى * ولا يخفى ان فى معناه وقت قمار الشطرنجى بل وقت لعبه ولو من غير قمار وكذا عند رمى الرمل وطرح الحصى كما يفعله ارباب الفال (وفى اليتيمة من قال عند ابتداء شرب الخمر اوالزنى اواكل الحرام بسم الله كفر) فيه انه ينبغى ان يكون محمولا على الحرام المحض المتفق عليه وان يكون عالما بنسبة التحريم اليه بان يكون حرمته فيما علم من الدين بالضرورة كشرب الخمر (ثم قال ولو قال بعد اكل الحرام الحمد لله اختلفوا فيه فان اراد به الحمد لله على انه رزق) اى رزق الحرام فانه استحسان له حيث عد نعمة وهو كفر * اما لو اراد الحمد على الرزق المطلق من غير ان يخطر بباله الحرام والحلال فلا يكفر * بخلاف مذهب المعتزلة فان الحرام ليس رزقا عندهم وعندنا الرزق يشتمل الحرام

والحلال

والحلال والله اعلم بالاحوال (ثم قال البدر الرشيد وصاحب الفتاوى اليتيمية سمعت عن بعض الاكابر انه قال من قال موضع الامر للشئ اوقال موضع الاجازة (بسم الله) مثل ان يقول له احد (ادخل اواقوم اواصعد اواتقدم اواسير وقال المستشار بسم الله يعنى به اذنتك فيما استأذنت كفر) حيث وضع كلام الله موضع كلامه مهانة توجب اهانة * وهذا تصوير مسئلة الاجازة واما تصوير مسئلة الامر فهو ان صاحب الطعام يقول لمن حضر بسم الله وهذه المسئلة كثيرة الوقوع فى هذا الزمان وتكفيرهم حرج فى الاديان * والظاهر المتبادر من منعهم هذا انهم يتأدبون مع المخاطب حيث لايشافهونه بالامر و يتباركون بهذه الكلمة مع احتمال تعلقه بالفعل المقدر اى كل باسم الله على ان متعلق البسملة فى غالب الاحوال يكون محذوفا من الافعال فلا يقال للمصنف او القارى اذا قال بسم الله انه اراد وضع كلام الله موضع كلامه بل يقال تقديره اصنف اواقرأ اوابتدئ كلامى ونحوه بسم الله فالمقصود انه لاينبغى للمفتى ان يعتمد على ظاهر هذا النقل لاسيما وهو مجهول الاصل وليس مستندا الى من يتعين علينا تقليده فيجوز تقييده * واما مانقله البزازى عن مشايخ خوارزم من ان الكيال اوالوزان يقول فى العد فى مقام ان يقول واحد بسم الله (ويضع مكان قوله واحد لايريد به ابتداء العد لانه لواراد يبتدئ العد يقال بسم الله واحد لكنه لايقول كذلك بل يقصر على بسم الله) يكفر ففى المناقشة المذكورة هنالك فانه لايبدأ انه اراد ابتداء العد كما يدل عليه البسملة المتعلقة غالبا بابتدأ وابتدأت المقدرة اولا اواخيرا فحينئذ يستغنى بهذا المقدار عن قوله واحد فتدبر فانه لامجاوز فى الكلام وليس على صاحبه شئ عن الملام ونظيره مايقوله بعض الجهلة عند استلام الحجر الاسود اللهم صل على نبى قبلك فانه كفر بظاهره يريدون به الالتفات فى الكلام (وفى المحيط من قال القرآن اعجمى كفر)* يعنى لانه معارضة لقوله تعالى قرآنا عربيا وبوجود كلمة عجمية فيه لايخرج عن كونه عربيا لان العبرة بالاكثر فتدبر وفيه ايضا ان من رأى الغزاة الذين يخرجون للغزو وقال هؤلاء (اكلة الروم فقد قيل يخشى عليه الكفر) يعنى ان اراد مجرد اهانتهم من جهة طاعتهم كفر واما ان قال ذلك نظرا الى عدم تصحيح نيتهم وتحسين طويتهم فلايكون كفرا (وفيه ايضا من صلى الفجر وقال بالفارسية فجرك راگذاردم)* يعنى صليت الفجر بصيغة التصغير للتحقير (او بالتركية سالفنى او دادم كفر) يعنى اديت (ما وضع على) مثل ما وضعه السلطان الظالم على الرعية وتسمى الرومية فى اللغة العربية (ومن قال والله لا اصلى ولا اقرأ القرآن اوقلبتان وهو ان صلى اوقرأ اوشد الامر على نفسه اوصعب اوطول اوقال (ان الله نقص من ماله وانا انقص من حقه ولا اصلى) انتهى كذا من غير بيان الحكم * والظاهر عدم الكفر فى الصورة الاولى والكفر فى المسئلة الاخيرة فتأمل فان المعارضة مع الرب هى علامة كفر القلب بخلاف

القسم على ترك الصلوة فانه ينبئ عن تعظيم الله سبحانه فى الجملة مع نوع من المخالفة فى الطاعة التى لايخرجه عن الايمان والله المستعان واما قوله (وفى نسخة منسوبة) الى يتمية (قال لا اصلى مجردا او استخفافا اوعلى انه لايؤمن اوليس بواجب) انتهى فلا شك انه كفر فى الكل (وفى الفتاوى الصغرى لوقال لمكتوبة لا اصليها اليوم ردا اوقال لا اصليها ابدا) انتهى * وظاهر عطفه باوعلى ما قبله انه يشاركه فى حكمه بالكفر وفى المسئلة الاولى كفره ظاهر ان اراد به عدم الوجوب * بخلاف ما اذا اراد رد الجواب والله اعلم بالصواب بخلاف المسئلة الثانية * اللهم الا ان يقال الاصرار على الكبيرة كفر حقيقى نعم كفر باعتبار انه يخشى عليه من الكفر فان المعاصى تزيد الكفر والا فترك الطاعات بالكلية وارتكاب السيئات باسرها لايخرج المؤمن عن الايمان عند اهل السنة والجماعة * بخلاف الخوارج والمعتزلة (وفى الخلاصة لوقال امرنى الله بعشر صلوات لا اصليها او قال لو كانت القبلة الى هذه الجهة لا اصلى اليها وان كان محالا)* يعنى يكفر مع كونه محالا لانه معارضة لامر الله سبحانه نحو قول ابليس لم اكن لاسجد لبشر خلقته من طين فانه ما اكفر الا بالمعارضة لابترك السجدة والا فهو كآدم فى مرتبة واحدة بحيث لم يأكل الشجرة (ثم) فى نسخة منسوبة الى الظهرية (اوقال العبد لا اصلى فان الثواب يكون للسيد)* يعنى انه كفر لزعمه انه لا ثواب له مع انه يجب على العبد مطاوعة مولاه سواء يكون له ثواب ام لا على ان الثواب حاصل للعبد ولمالكه ثواب السببية والفضل واسع * بل قال الامام الرازى من عبد الله لرجاء جنة اوخوف نار بحيث انه لولم يخلق جنة ولانارا ما كان يعبد الله سبحانه فهو كافر لانه تعالى يستحق ان يعبد لذاته وطلب مرضاته (ومن صلى فى رمضان لاغير فقال هذا ايضا كثير اوهنا يزيد اوازيد لان كل صلوة بسبعين كفر فى الكل) اذ فيه وفيما قبله ووجه ما فيه ان مستكثر هذا المقدار من الطاعة لله مع ان الواجب عليه اكثر من ذلك الا انه خفف لشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هنالك * واما تعليله بان كل صلوة بسبعين فيستفاد منه ان يعتقد ان المضاعفة تسقط اصل الطاعة واعداد العبادة وهو كفر (ومن قيل له صل فقال لا اصلى بامرك كفر) وفيه بحث ظاهر نعم فى نسخة لا اصلى من غير قوله بامرك وهو اظهر فى كونه كفرا لانه كالمعارضة لامر الله حيث امره صاحبه بالمعروف (اولم ير فرضا كفر) ايضا وهذا واضح جدا او (قال يصلى الناس لاجلنا) يعنى لاجل اعتقاده ان الصلوة المكتوبة فرض كفاية اوارادبه استهزاء سخرية (وفى فوز النجاة اوقال لم اصل لازوجة لى ولاولد) يعنى (كفر لانه اعتقد انها لا تجب الا على من له زوجة اوولد او اراد المعارضة مع الرب والمناقضة فى مقابلة فعله سبحانه (وفى الظهرية اوقال كم من هذه الصلوة فانه ضاق صدرى منها اوغى اوملء) اى حصل الملالة عنها فانه كفر للاعتراض على فرضية كمية هذه الصلوة فى كثرة الاوقات (وقال فى الجواهر

اوقال شبعت منها اوكرهتها اوقال من يقدر على تمشية الامر اوعلى اخراجه) يعنى كفر فانه يدل على انه يعتقد ان الله كلفه فوق طاقته * وقد قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها (اوقال اصبر بحئ شهر رمضان) يعنى انه يكفر على اعتقاد عدم فرضية الصلوة فى غيره اولزعمه ان الصلوة فيه تسد عنها فى غيره (اوقال العقلاء لايدخلون فى امر لا يقدرون على ان يمضوا) اذفيه ماسبق من اعتقاد التكليف فوق الطاقة (اوقال انى لاادخل الابتلاء) يعنى كفر فانه عد الطاعة ابتلاء مع ان المعصية هى الابتلاء بالبلاء * ولذا كان الشبلى اذارأى احدا من ارباب الدنيا قال (اللهم انى اسألك العافية) وان كان مجموع التكليف بالطاعة هو الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان ليكرم المرأ ويهان (اوقال الى ثم) اى الى متى (افعل هذه البطالة والتعطيل اوقال انها شديدة الثقالة اوشديدة الصعوبة على) يعنى كفر لان تسمية الطاعة تعطيلا وبطالة كفر بلاشبهة واماقوله شديدة الثقالة اوشديدة الصعوبة على فلاوجه لكفره الا ان يحمل على انه اراد الاعتراض على الله سبحانه اواعتقد انه كلفه فوق الطاقة اواعترف بماقاله سبحانه (وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين) اى المؤمنين لقوله (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون (وفى المحيط اوقال من يقدر على ان يبلغ هذ الامر الى نهايته يعنى كفر وجهه ماتقدم (اوقال لمن اصلى ووالدى كلاهما قدماتا اوقال لم اصلى ووالدى ميان بعد لم يمت منهما واحد يعنى كفر حيث علق وجوب الصلوة دائما على وجودهما اوعدمهما * (اوقال لامرئ) مازدت ومار بحت من صلوتك * يعنى كفر لانه اعتقد ان الصلوة لاتزيد فى الاجر ولايكون فى تجارتها ربح فى الامر (اوقال الصلوة وتركها واحد كفر فى الوجوه كلها) وقد تقدم وجوه جميعها الا الاخير فانه اعتقد ان الطاعة والمعصية حكمهما واحد فى الشريعة والحقيقة وقد قال تعالى (ام حسب الذين اجترموا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون (وفى جواهر الفقه من جحد فرضا مجمعا كالصلوة والصوم والزكوة والغسل من الجنابة كفر) قلت وفى معناه من انكر حرمة محرم مجمع عليه كشرب الخمر والزنا وقتل النفس واكل مال اليتيم والربوا (ثم قال ومن قال بعد شهر رمضان من اسلامه فعسى غدا فى ديارنا) اى فى دار الاسلام (اذاسئل عن خمس صلوات اوعن زكوة فقال لا اعلم انها فريضة كفر) * قلت هذا فى الصلوة ظاهر * واما فى الزكوة فمحل بحث الا اذا كان ممن يجب عليه الزكوة (ولوقيل لفاسق صل متى تجد حلاوة الايمان فقال لاتصل تجد حلاوة الترك كفر) يعنى رجح حلاوة المعصية على حلاوة الطاعة اوساوى بينهما (ولوقال لو امرنى الله باكثر من خمس صلوة لا اصليها اوبا كثر من صوم شهر رمضان او باكثر من ربع العشر زكوة لم افعل يعنى كفر) ووجهه تقدم (وفى فوز النجاة اوقال ما امحن اوما اطيب امرأ لايصلى كفر يعنى لاستحسانه المعصية ومرتكبها وفى الفتاوى الصغرى

والجواهر ومن صلى مع الامام بجماعة بغير طهارة عمدا كفر) فيه ان قيد الجماعة مع الامام لايظهر وجهه ثم الصلوة بغير طهارة معصية فلا ينبغى ان يقال بكفره الا اذا استحلها وكذا قولهما (ومن صلى الى غير القبلة عمدا كفر) ينبغى ان يحمل على ما اذا اعتقد جوازها اوفعلها استهزاء (قال وكذا من تحول من جهة التحرى وصلى عمدا كفر) يعنى لان جهة التحرى ظنا حكما حكم القبلة قطعا وفيه ماتقدم مع زيادة الشبهة (وفى اليتيمية من سجد اوصلى محدثا رياء كفر فيه ان قيد رياء يفيد انه ان صلى حياء لا يكفر واما اذا جمع بين الرياء وترك الطهارة فكانه غلط المعصية ومع هذا لايخلو عن الشبهة لاسيما فى السجدة المفردة حيث يتوهم كثيرون انها تجوز من غير طهارة وربما يسجدون لغير الله واختلفوا فى كفره واما قوله (ومن ترك صلوة تهاونا) اى استخفا فالاتكاسلا (فقد كفر) اقول وهو احد تأويلات قوله صلى الله عليه وسلم (من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر) وفى المحيط من صلى الى غير القبلة متعمدا موافق ذلك القبلة) اى ولو وافقها (قال ابو حنيفة رحمه الله هو كافر كالمستخف) فيه اشارة الى انه يكون مستحلا كالمستخف (وبه اخذ الفقيه ابو الليث) يعنى افتى به (وكذا اذا صلى بغير طهارة اومع الثوب النجس يعنى مع القدرة على الثوب الطاهر كفر) يعنى اذا استحل والافلاشك انها معصية وانه كان ترك تلك الصلوة وبمجرد تركها لايكفر (وفى اليتيمية من يفوت الصلوة ويقضى جملة ويقول لمن يعترض عليه ان كل غريم يحب اداء مديونه حقوقه جملة واحدة) * يعنى كفر حيث سمى العبادة غرامة ووصف الكريم بنعت الغريم (اوقال لم اغسل رأس صلوة اوماغسلت رأس صلوة فيه ان مؤداهما واحد وكونه كفرا لايظهر الا اذا قاله استهزاء بالصلوة وهذا معنى (اوقال ان الصلوة ليست بشئ) واما قوله (اذا بقى غير مؤدات) فلا يظهر وجهه بخلاف قوله (قوله اوخسف بها الارض) فانه لاشك انه قال اهانة لها فهذا كله كفر اى على ماقررناه

(فصل فى العلم والعلماء) وفى الخلاصة من ابغض عالما من غير سبب ظاهر خيف عليه الكفر) قلت الظاهر انه يكفر لانه اذا ابغض العالم من غير سبب دنيوى واخروى فيكون بغضه لعلم الشريعة فلا شك فى كفر من انكر فضلا عمن ابغضه * وفى الظهرية من قال لفقيه (اخذ شاربه ما اعجب قبحا او اشد قبحا قص الشارب ولف طرف العمامة تحت الذقن يكفر لانه استخفاف بالعلماء) يعنى * وهو مستلزم لاستخفاف الانبياء لان العلماء ورثة الانبياء وقص الشارب من سنن الانبياء فتقبيحه كفر بلا اختلاف بين العلماء * وفى الخلاصة (ومن قال قصصت شاربك والقيت العمامة على العاتق استخفافا) يعنى بالعلم اوبعلمه ذلك كفر (اوقال ماقبح امرأقص الشارب ولف طرفة العمامة على العنق كذا فى خلاصة الحميدى) فيه ان اعادته للتأكيد وفى المحيط (من جلس على مكان مرتفع ويسألون منه مسائل بطريق الاستهزاء ثم يضربونه بالوسائد اى مثلا وهم يضحكون (كفروا جميعا)

اى لاستخفافهم بالشرع وكذا من يجلس على المكان المرتفع (ونقل عن الاستاذ نجم الدين الكندى بسمرقند) ان من تشبه بالمعلم على وجه السخرية واخذ الحشبة ويضرب الصبيان كفر) يعنى لان معلم القرآن من جملة علماء الشريعة فالاستهزاء به وبعلمه يكون كفرا) وفى الظهرية ولو جلس مجلس الشرب على مكان مرتفع وذكر مضامكا يستهزئ بالذكر فضحك وضحكوا كفروا) *يعنى لان المذكر واعظ وهو من جملة العلماء وخليفة الانبياء * وفى الخلاصة (من رجع من مجلس العلم فقال آخر رجع هذا من الكنيسة كفر) يعنى لانه جعل مواضع الشريعة ومقر الايمان مكان الكفر والكفران * وفى الظهرية (من قيل له قم تذهب او اذهب الى مجلس العلم فقال من يقدر على الاتيان بما يقولون او قال مالى ومجلس العلم) يعنى كفر اما المسئلة الاولى فلما تقدم من انه يلزم من قوله تكليف مالا يطاق فى الشريعة * وقد قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها * واما المسئلة الثانية فمحمولة على ما اذا اراد به اى حاجة لى الى مجلس العلم بخلاف ما اذا اراد به اى مناسبة لى فى ذلك المجلس وفى الجواهر (او قال من يقدر على ان يعمل بما امر العلماء به كفر) اى لانه يلزم منه اما التكليف مالا يطاق او تكذيب العلماء على الانبياء وفى اليتيمة من قال لآخر (لا تذهب مجلس العلم فان ذهبت اليه تطلق او تحرم امرأتك مازحة او جدا كفر وفى الفتاوى الصغرى من قال اى شئ اعرف العلم كفر) يعنى استخف العلم او اعتقد انه لا حاجة الى العلم (او قال قصعة سريد خير من العلم كفر) ووجهه ظاهر * وفى الظهرية (ومن بين وجها شرعيا فقال خصمه هذا كون الرجل عالما او قال لا تفعل معى عالميا) (لانه لا ينفذ عندى) اى لا يجوز (ولا يخفى يخاف عليه الكفر (وفى الخلاصة (او قال لماذا يصلح لى مجلس العلم) ووجهه تقدم (او القى الفتوى على الارض) اى اهانة كما يشير عليه عبارة الالقاء (او قال ماذا الشرع هذا كفر) وفى المحيط (من قال ماذا اعرف الطلاق والملاق او قال لا اعرف الطلاق والملاق يبقى الوالدة والوالد فى البيت) يعنى سواء يقع الطلاق ام لا يكفر اى لاستواء الحلال والحرام عنده (ولو قالت امرأة اللعنة او لعنة الله على الزوج العالم كفرت) اى لانها لعنت العلم واهانت الشريعة (وان قال لعالم عويلم او لعلوى عليوى) اى بصيغة التصغير فيما للتحقير كما قيده بقوله قاصدا به الاستخفاف كفر (وامر الامام الفضيلى بقتل من قال لفقيه ترك كتابه وذهب تركت المنشار هنا وذهبت كفر) اى لانه شبه تعليم علم الشريعة او تعلمه بصنعة الحرفة والآلة بالآلة * وقيدنا بعلم الشريعة لانه لو كان الكتاب فى المنطق ونحوه لا يكون كفرا * لانه يجوز اهانته فى الشريعة ايضا حتى افتى بعض الحنفية وكذا بعض الشافعية بجواز الاستنجاء به اذا كان خاليا عن ذكر الله تعالى مع الاتفاق على عدم جواز الاستنجاء بالورق الابيض الخالى عن الكتابة * وفى المحيط (حكى ان فقيها وضع كتابه فى دكان وذهب ثم مر على ذلك الدكان فقال صاحب الدكان ههنا نسيت المنشار فقال الفقيه عندك كتاب

لا منشار فقال صاحب الدكان النجار بالمنشار يقطع الخشب وانتم تقطعون به حلق الناس او قال حق الناس فشكى الفقيه الى الامام الفضيلى) يعنى (الشيخ محمد بن الفضل فامر بقتل ذلك الرجل لانه كفر باستخفافى كتاب الفقه) وفى اليتيمية (من اهان الشريعة او المسائل التى لابد منها كفر ومن ضحك من المتيمم كفر ومن قال لا اعرف الحلال والحرام كفر يعنى اذا اراد به عدم الفرق فى الاستعمال او اعتقاد الاستحلال بخلاف الاعتراف بانه من الجهال) وفى المحيط (من قال لفقيه يذكر شيأ من العلم او يروى حديثا صحيحا (اى ثابتا لا موضوعا) هذا ليس بشئ ردا او قال لاى امر يصلح هذا الكلام ينبغى ان يكون الدرهم) او يوجد (لان العز والحرمة اليوم للدرهم لا للعلم كفر) اى لانه معارضة لقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقوله سبحانه وكلمة الله هى العليا (من قال من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ماذا اعرف العلم او ماذا اعرف الله انى وضعت نفسى للجحيم او قال اعدت نفسى للجحيم او قال (وضعت او القيت وسادتى او مرفقتى) اى فخذتى (فى الجحيم كفر) اى لانه اهان الشريعة او آيس من الرحمة وكلاهما كفر وفى الظهرية (من قال لا يساوى بدرهم من لا درهم له كفر) اى لعموم عبارته العالم والمؤمن وغيرهم لكن له ان يقول ما اردت به الا ارباب الدنيا عند اهلها فلا يكفر (ومن قال لا اشتغل بالعلم فى آخر عمرى لانه من المهد الى اللحد) اى كفر ووجهه غير ظاهر الا ان اراد به الاستغناء عن العلوم الشرعية بالكلية فان منها بعض الفروض العينية ومن قال لعائد مهملا او اجالس حتى لا تجاوز الجنة او لا تقع وراء الجنة اى بزيادة الطاعة والعبادة كفر اى لاستهزاءه وفى الجواهر (من قال لو كان فلان قبلة او جهة الكعبة لم اتوجه اليه كفر) اى لانه كان كابليس حيث امتنع عن السجود لآدم حين جعل كالقبلة (ومن قال لرجل صالح لقائك عندى كلقاء الخنزير يخاف عليه الكفر) يعنى اذا لم يكن بينه وبين خصمه مخاصمة دينية او دنيوية (ومن قال لآخر اذهب معى الى الشرع فقال الآخر لا اذهب حتى تأتى بالبندق) اى المحضرة (كفر لانه عاند الشرع) يعنى اذا كان اباؤه وتعلله لمعاندة الشرع * بخلاف ما اذا اراد دفعه فى الجملة عن المخاصمة او قصد انه يصح الدعوى فيستحق المطالبة او يعلل لان القاضى ربما لا يكون جالسا فى المحكمة فانه لا يكفر فى هذه الوجوه كلها * وفى المحيط (او قال الى القاضى) اى اذهب معى الى القاضى (فقال لا اذهب لا يكفر) يعنى لما سبق وجهه * ولان الامتناع عن الذهاب الى الشرع اذ ربما يكون القاضى لا يحكم بالشرع وليس كما يزعم الجملة من قضاة الزمان حيث لا يفرقون القضية بين مكان ومكان (ومن قال اى فى جوابه ماذا اعرف الشرع او قال عند مقمع ماذا اصنع الشرع كفر ومن قال الشرع وامثاله لا يفيدنى ولا ينفق عندى كفر) وفى الظهرية (او قال اين كان الشرع وامثاله حين اخذت الدرهم كفر) يعنى اذا عاند الشرع بخلاف ما اذا اراد توبيخه بانك حين اخذت ما طلبتنى الى الشرع وحين اطلبك فما تعطينى الا بالقضاء فليس هذا فى باب الوفاء (وفى المحيط من ذكر عنده الشرع فيخشى) اى عمدا او تكلفا او صوت صوتا كريها اى تعذرا

وتكرها

وتكرها (او قال هذا الشرع كفر) اى حيث شبه الشرع بالامر المكروه فى الطبع * حكى ان فى زمن المأمون الخليفة (سئل واحد عمن قتل ما يكا فاجاب فقال تلزمه عضارة غراء) اى جارية شابة اى رغناء فسمع المأمون ذلك فامر بضرب عنق المجيب حتى مات وقال هذا استهزاء الحكم الشرعى والاستهزاء بحكم من احكام الشرع كفر (وحكى) عن الامير الكبير تيمور ذات يوم مل وانقبض ولم يجب احدا فيما سئل فدخل ضحكة فاخذ يقول مضاحكة فقال دخل على قاض بلدة كذا واحد فى شهر رمضان فقال ياحاكم الشرع فلان اكل صوم رمضان ولى فيه شهود فقال ذلك القاضى ليت آخر يأكل الصلوة تتخلص منهما يضحك الامير فغضب الامير وقال الامير اما وجدتم مضحكا سوى امر الدين فامر بضربه حتى اثخنه رحم الله من عظم الاسلام (فصل فى الكفر صريحا وكناية) فى المحيط رجل قال انا مؤمن ان شاء الله تعالى من غير تأويل كفر) اى لانه تردد فى ايمانه عند نفسه * بخلاف ما اذا اراد انا مؤمن ان يعلق مشية تحقيق ايمانى (ولو قال لا ادرى اخرج من الدنيا مؤمنا او لا يكفر) يعنى لانه لا يعلم الغيب الا الله * فلو قال لا ادرى انا اخرج من الدنيا مؤمنا او كافرا يكفر ايضا * وفى الظهرية (قال الامام الفضيلى لا ينبغى لرجل ان يستثنى فى ايمانه فقال انا مؤمن ان شاء الله لانه مأمور بتحقيق الايمان) اى مأمور هو بالتصديق والاقرار (والاستثناء يضاده) اى ينافضه ظاهرا * ولانه مسئول عن الحال فلا حاجة للجواب عن الاستقبال وهذا معنى قوله تعالى قال الله تعالى (قولوا آمنا بالله) من غير استثناء حين قال الله تعالى خبرا عن ابراهيم الخليل عليه السلام بلى من غير استثناء حال اولم تؤمن * وقد ذكر الشيخ عبد الله السيد موني ٢ فى كتاب الكشف فى مناقب ابى ح رحمه الله * وعن موسى بن ابى بكر رضى الله عنه عن ابن عمر انه اخرج شاة تذبح فمر به رجل فقال له امؤمن انت * فقال نعم ان شاء الله فقال ابن عمر لا يذبح نسكى من شك فى ايمانه ثم مر آخر فقال امؤمن انت * فقال نعم ولم يستثن فى ايمانه فامره بذبح شاته فلم يجعل عبد الله بن عمر من يستثنى فى ايمانه مؤمنا انتهى * ولا يخفى انه يحتمل ان ابن عمر راعى الاحوط فى قضيته اذ اجمع السلف والخلف على انه لا يخرج من الايمان باستثنائه الا اذا كان مترددا فى تصديقه وبنائه كما يدل عليه قوله (وفى المحيط قد صح عن بعض السلف انهم كانوا يستثنون فى ايمانهم والعذر عنهم انهم ما كانوا يستثنون لشكهم فى ايمانهم بل يستثنون لما جاء فى صفة المؤمن فى الاخبار كقوله عليه افضل الصلوة والتحيات (المؤمن من امن الناس من شره) وكقوله (المؤمن من امن جاره بوائقه وكقوله عليه الصلوة والسلام (ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره طاو) اى جيعان (وكقوله عليه السلام المؤمن من اجتمع كذا وكذا خصلة فمن استثنى من المتقدمين فانما استثنى على انه لم يعرفه ذلك من نفسه لا لانه يشك فى ايمانه انتهى) وحاصله ان الاستثناء راجع الى كمال ايمانه وجمال احسانه لا الى تصديقه فى جنانه او اقراره بلسانه * وقد سبق تحقيق البحث

٢ عبد الله بن الحرفى الكلابازى الحنفى المتوفى ٣٠٥

مع برهانه (وفى الخلاصة كافر قال لمسلم اعرض على الاسلام فقال اذهب الى فلان العالم كفر) اى لانه رضى ببقائه فى الكفر الى ملازمة العالم ولقائه او بجهله تحقيق الايمان لمجرد اقراره بكلمة الشهادة فان الايمان الاجمالى صحيح اجماعا (وقال ابو الليث رحمه الله ان بعثه الى عالم ليكفر لان العالم ربما يحسن مالا يحسن الجاهل فلم يكن راضيا بكفره ساعة بل كان باسلامه اتم واكمل وفى الجواهر من قيل له ما الايمان فقال لا ادرى كفر) فيه بحث اذ يحتمل السؤال عن حقيقة الايمان وحده * وعن الايمان الاجمالى والتفصيلى وليس كل يعلم التفصيلى بل ولا حد الجامع المانع كما اشار اليه سبحانه بقوله لسيد خلقه (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) مع ان الاجماع على انه كان مؤمنا نعم لو قيل له (امؤمن انت) او من صدق بقلبه وشهد بلسانه انه لا اله الا الله محمد رسول الله يجوز قتله فقاله لا ادرى يكفر (ومن قال لمريد الاسلام لا ادرى صفته او اخبره واخر واذهب الى عالم او الى فلان يعرض عليك الاسلام او اصبر الى آخر المجلس كفر) يعنى فى الصور كلها اما فى الاخيرة فالكفر ظاهر واما فيما قبلها فتقدم الكلام عليها (وفى الظهرية كافر قال لمسلم (اعرض على الاسلام فقال لا ادرى صفته كفر لان الرضا بكفر غيره ايضا كفر) الا فيما استثنى منه على ما سيأتى * وانما الكلام على انه اذا قال لا ادرى صفة الاسلام ولا نعته بالوجه التام هل يكفر ام لا * والظاهر انه كما سبق عليه الكلام (قال فى موضع آخر فى الظهرية الرضا بالكفر كفر عند الحامدى) وفيه * ان المسئلة اذا كانت مختلف فيها فلا يجوز تكفير مسلم بها وفى الحاوى (من قيل له اتعرف التوحيد فقال لا مريدا بالنفى توحيد الله كفر) وفيه بحث اذ السؤال عن حقيقة التوحيد وحده لا انك موحد ام لا فلا وجه لتكفيره اصلا وفى المحيط (ومن قال لا ادرى صفة الاسلام فهو كافر وقال شمس الائمة الحلوانى فهذا رجل لا دين له ولا صلوة ولا صيام ولا طاعة ولا نكاح له واولاده اولاد الزنا * وفيه ان الرجل اذا صدق بجنانه واقر بلسانه فهو مسلم بالاجماع وعدم علمه لصفة الاسلام بعد اتصافه لا يخرجه عن الاسلام من غير النزاع * ونظيره من اكل شيأ ولم يعرف اسمه ووصفه * وكذا اذا صلى وصام بشرائطهما واركانهما ولم يعرف تفصيلهما وقال لا ادرى عند سؤاله عنهما فانه لا يكفر والا فلا يبقى مؤمن فى الدنيا الا قليل ممن يعرف علم الكلام وفيه حرج على اهل الاسلام فمثل هذه السؤال مغلطة للجهال وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الاغلوطات ثم قوله اولاده اولاد الزنا (ليس على اطلاقه لان اولاده قبل هذا السؤال عنه لا شك انهم اولاد الحلال * وانما الكلام فيما بعد السؤال ان لم يقع منه ما يكون توبة ورجوعا الى الاسلام على تقدير فرض كفره عند علماء الاعلام * وكذا اذا قيل للمسلمة الكبيرة (انت على اى ملة) فلا مرية انها تقول على ملة الاسلام نعم لو قيل لهما على اى ملة انتما فقالتا ما نحن على ملة او لا ندرى على اى ملة فكفرهما ظاهر * ثم قال ومحمد رحمه الله سمى هذه فى الكتاب مرتدة لانا حكمنا هما باسلامهما بالتبعية والآن بكفرهما لفقد التبعية

ومعرفة دين فكانهما مرتدتان) اقول قوله ومعرفة دين هطف على التبعية فالمعنى لفقد معرفتهما معرفة دين وقد تقدم انهما اذا لم تعرفا من اديان لم تكونا من اهل الايمان * وانما الكلام فى تصويره وتحقيقه فى حقهما * وانما قال فكانهما مرتدتان لان الارتداد فرع الايمان السابق وهو مفقود عنهما على ماتصور لهما * وهذه مسئلة كثيرة الوقوع فى هذا الزمان خصوصا فى بعض البلدان يصدر من قضاة السوء حيث تقع المرأة مطلقة بالثلاث مع انها دينية قارية القرآن مصلية فى كل الازمان وصائمة فى شهر رمضان فيقول لها القاضى (ماحكم الاسلام) فانها تجهلها بمراتب الكلام تقول لا ادرى فيحكم بكفرها وبطلان نكاحها الاول ويجد دلها النكاح الثانى * وربما يكفر القاضى بهذا الفعل الشنيع حيث رضى بهذا الكفر البديع * فانه لو وصفت لها المسئلة وبينت لها القضية لاتت بالجواب الصحيح * فان ديانتها اقوى من قضاة هذا الزمان من جميع الابواب * وانما يتوسلون بمثل هذه الافعال الى الرشوة المحرمة فى جميع الاقوال والعمل فى المطلقة بالثلاث بقول سعيد بن المسيب اولى من قبح هذه الاحوال * ثم انظر الى الشيطان الموسوس للزوج المتدنس انه يرضى بتكفير امرأته وبتضييع طاعتها ومايقرب عليه من ان جماعه لها كان حراما عليه وامثالها * ويستنكف عن العمل بقوله تعالى (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وبقوله عليه الصلوة والسلام حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك * وانما اطنبت هذا الكلام لانه موضع زلة الاقدام ولعزة الاقلام فيما فيه مضرة عظيمة فى دين الاسلام ثم قوله وهى شرط النكاح ابتداء انما هو على تقدير صحة اسلام الزوج والافاذا كان من قبيلها فى مقام الجهل فلا شك فى صحة نكاحها اولا كما فى انكحة الكفار ابتداء * وفيه تنبيه على ان الواجب كان على القاضى المكفر للمرأة ان يستوصف الرجل ايضا فان كان مثلها فيحكم بكفره وبطلان طاعته فى جميع عمره * ثم يعرض الاسلام عليها فيستشهد ان ويتعلمان احكام الاسلام * ثم يعقد بينهما عقد المرام * ويؤيد بحثنا فى هذا المقام ماحققه الامام ابن الهمام فى كلامهم قالوا (لو اشترى جارية اوتزوج امرأة فاستوصفها صفة الاسلام فلم تعرفه لاتكون مسلمة حيث قال والمراد من عدم المعرفة ليس مايظهر من التوقف فى جواب ما الايمان وما الاسلام كما يكون فى بعض العوام لقصورهم فى التعبير * بل قيام الجهل بذلك بالباطن مثلا بان البعث هل يوجد اولا وان ارسال الرسل وانزال الكتب عليهم كان اولا لايكون فى اعتقاده اعتقاد طرفى الاثبات لا لجهل البسيط كمن سئل ذلك قال لا اعرفه وقتل ما يكون ذلك لمن نشأ فى دار الاسلام انتهى وهو غاية المقصود فى نقل المرام * ثم رأيت فى المضمرات نقل عن محمد بن الحسن فى جامع الكبير مسئلة تدل على ماذكرنا وهى ان المرأة اذا لم تعرف صفة الايمان والاسلام * قال محمد رحمه الله يفرق بينها وبين زوجها * وبيان ذلك اذا وصف الايمان والاسلام والدين بين يديها فلو قالت هكذا آمنت وصدقت فانها تخرج عن حد التقليد ويجوز نكاحها ولو قالت لا ادرى اوقالت ماعرفت لا يجوز نكاحها انتهى كلامه

* وفى المضمرات لو افتى لامرأة بالكفر حين تبين من زوجها فقد كفرت من قبلها وتجبر المرأة على الاسلام وتضرب خمسة وسبعين سوطا وليس لها ان تتزوج الابزوجها الاول هكذا قال ابوبكر رحمه الله وكان ابوجعفر يفتى بهذا ويأخذ بهذا انتهى * وقد قال بعضهم ان ردتها لاتؤثر فى افساد النكاح * ولاتؤمر بتجديد النكاح حسما بهذا الباب عليهن * وعامة علماء بخارى يقولون بكفرها يعمل فى افساد النكاح لكنها تجبر على النكاح مع زوجها وهذا فرقة بغير طلاق بالاجماع وعليها العدة كما فى منهاج المصلين * وفى الخلاصة (من دعى على غيره فقال اخذه الله على الكفر كفر) اى ان رضى لنفس الكفر ولذا تبعه لقوله (وقال الشيخ ابوبكر محمد بن الفضل لم يكن الدعاء على الكافر بذلك كفرا) وفيه ان قول الاول عام وهذا جواب خاص يفيد ان الدعاء على الكافر بذلك فى الكفر فليس بكفر * ومفهومه ان الدعاء على المسلم بالكفر كفر * والتحقيق انه اذا اراد الانتقام لايكفر لاسيما وقرينة الدعاء عليه شاهدة على المرام وسيأتى على هذا مزيد الكلام * وفى الجواهر من قال لمسلم (ليأخذ الله منك الاسلام) ومن قال (آمين) كفر او (اريد كفر فلان المسلم) او (اريد كفر فلان) يكفر او (لااريد به الا الكفر) او قال (اخرجه) اى الله (من الدنيا بلا ايمان او كافرا او اماته بلا ايمان او كافرا او اريد له الدخول فى النار او خلده فيها او لم يخرجه الله من نار جهنم كفر) اى اذا كان مستحسنا للكفر او راضيا به نفسه الا اذا اراد به انتقام الظالم بالكفر وتعذيبه مخلدا كما يشعر به بعض كلامه (وفى المحيط من رضى الله بكفر نفسه فقد كفر اى اجماعا وبكفر غيره اختلف المشايخ) * وذكر شيخ الاسلام ان الرضاء بكفر غيره انما يكون كفرا اذا كان يستخيره ويستحسنه اما اذا كان لايستخيره ولا يستحسنه ولكن يقول لاجد موت الموذى الشرير او قتله على الكفر حتى ينتقم الله منه فهذا لايكون كفرا ومن تأمل قول الله عز وجل (ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) يظهر على صحة ما ادعينا وعلى هذا اذا دعا على ظالم (اماتك الله على الكفر) او قال (سلب الله عنك الايمان) بسبب ما اجترأ على الله وكابر فى ظلم ولم يترحم عليه ادنى ترحم لايكون كفرا وقد عثرنا على رواية ابى حنيفة رحمه الله ان الرضاء بكفر الغير كفر من غير تفصيل) يحتمل ان هذه الجملة من صاحب المحيط والجامع لهذه المسائل وعلى كل تقدير فالجواب من ابى حنيفة رحمه الله اذا كانت مجملة او عبارة مطلقة قلنا ان تفصيلها وتقييدها على مقتضى القواعد الحنيفية والاصول الحنفية (وفى الجواهر من قال قتل فلان حلال او مباح قبل ان يعلم منه ردة او قتل بآلة جارحة عمدا على غير حق او يعلم منه زنا قبل احصان كفر) اى لاجل جعل الحرام حلالا او مباحا وهو كفر الا انه لابد ان يزداد بمقال ولا يعلم منه قطع طريق وسعى بالفساد فى البلاد * ومنه الظالم فى حق العباد فان قتلهما حلال ومنه حينئذ وكذا ترك الصلوة موجب للقتل عند الشافعى رحمه الله وارتداد عند احمد رحمه الله فتارك الصلوة

من الخلافة فالقول بان قتله حلال لايكون كفرا متفق عليه (ثم قال ومن قال لهذا القائل صدقت اوقال الامير تقتل بغير حق اوقال لقاتل سارق جودت له اوحسنت يكفر اوقال (مال فلان المسلم حلال) قبل تحليل المالك اياه اوقاله (دم فلان حلال ومن صدقه كفر الكل) اى بشروطه المعروفة (وفى الخلاصة والحاوى) بناء على ان رمز الجامع حاء معجمة اومهملة والنسخ مختلفة من قال لآخر (اللعنة عليك وعلى اسلامك كفر) اى بقوله على اسلامك فتدبر (كافر فاسلم فاعطى شيأ فقال مسلم ليت هو كافر فيسلم حتى يعطوا من شيء) اى يكفر لان شرط الاسلام هو الاستقامة على الاحكام * وكذا لو نوى ان يكفر فى الاستقبال كفر فى الحال * وفى المحيط اى زادفيه (اويتمنى ذلك بقلبه كفر) اى ولو لم يتلفظ بلسانه لان القلب هو محل التصديق وموضع الايمان فى التحقيق (وفى الخلاصة من قال حين مات ابوه على الكفر وترك مالا ليت هو اى الولد نفسه لم يسلم الى هذا اى هذا الوقت ليرث اباه الكافر كفر لانه يتمنى الكفر وذلك كفر * وفى الجواهر (وليتنى لم اسلم حتى ورثت كفر) وفى الفتاوى الصغرى (اسلم كافر فقال له مسلم لولم تسلم حتى ترتفع ميراثنا) اى تأخذه كفر اى المسلم القائل (وفى فتاوى قاضيخان اوالصغرى لو قيل لمن كان له الشهر من اسلامه (الست بمسلم) فقال لا كفر) ولعل وجه التقييد بالشهر انه اذا كان اقل منه ربما يسبق على لسانه جريا على ما كان عليه اوّلا (وفى المحيط والجواهر ايضا قيل لضارب (الست بمسلم) فقال عمدا لا كفر وان قال خطأ لايكفر وفى اليتيمة من قال لا اسمع كلامك وافعل اجتراء فى جواب من قال اتق الله ولا تفعل كفر ومن قال لمرتكب حرام خف الله واتق فقال لا اخاف الله كفر وان كان فى امر غير حرام اوغير مستحب لايكفر الا اذا قاله استخفافا فيكفر وتبين امرأته ومن قيل فى امر لاتخاف الله فقال لا كفر) وقال ابوبكر البلخى رجل قيل له الا تخشى الله فقال لا فى مال غضبه صار كافرا وبانت امرأته (وفى المحيط قالت لزوجها ليس لك حمية ولا دين اترضى خلوتى مع الاجانب فقال لا حمية لى ولا دين لى كفر) يعنى بقوله لا دين لى فانه خرج بهذا عن دين الاسلام باعترافه وباقراره سواء يكون الاقرار شرطا اوركنا (ومن قال انت خوارزمى اومجوسى فقال مجوسى كفر وقال لمسلم (الست بمسلم) فقال لا كفر اوقال انا كما قلت اوقال لولم يكن كما قلت لما سكنت معك وفى الجواهر اوقال لبيك فى جواب من قال يا كافر اويا مجوسى اويا يهودى اويا نصرانى * وفى المحيط اوقال مكان لبيك هئنى كذلك كفر) اى بقوله هذا فان معناه اعدنى واحسبنى مثل ماقلت (فى فتاوى قاضيخان اوكنت كذلك ففارقنى لايكفر (وفى المحيط) اوقال اذا انا هكذا فلا تقم معى اوعندى فالاظهر انه يكفر) اى لان اذا موضوعة لمتحقق الوقوع الا انها قد تستعمل بمعنى ان فلو قال ان انا هكذا فلا تقم لا يكفر (ومن قال لرجل يا كافر فسكت المخاطب) كان الفقيه ابوبكر البلخى

رحمه الله يكفر هذا القاذف اى الشاتم فكان قال غيره من مشايخ بلخ لايكفر ثم جاء الى بلخ فتاوى بعض ائمة بخارى انه يكفر فرجع الكل الى فتاوى ابى بكر وقالوا كفر الشاتم انتهى) ولعل فائدة قوله فسكت المخاطب ان هذا هو الحكم لو سكت المخاطب * ولايتوهم ان سكوت المخاطب رضا واقرار به لاحتمال ان يكون سكوته حكما اوغيظا اوتأخير الموافقة فى المسئلة (وفى الجواهر من قال لخصم كل ساعة افعل من الطين مثلك كفر) انتهى * وفيه بحث لايخفى اذ غايته ان يكون كاذبا قوله فى المخالف لفعله نعم لو قال اخلق بدل افعل فالظاهر انه يكفر مع احتمال عدم كفره لقوله عليه السلام (انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير) ولايلزم منه التشبيه من جميع الوجوه ولذا قال (فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله * وفى المحيط (ومن قال لمن ينازعه افعل كل يوم مثلك عشرا من الطين اولم يقل من الطين اومن الحمئة وهى ليست كالسويق كفر) اى لافترائه على الله تعالى مع احتمال انه لايكفر بناء على كذب فى دعواه (وفى فتاوى قاضيخان من قال لغيره خلق الله ثم طرده من عنده قال اكثر المشايخ انه يكفر) قلت الظاهر انه لايكفر لاحتمال ان يكون كاذبا اوصادقا فى مقاله لكن يشكل بما فى الظهرية والمحيط انه كفر عند الكل ولعلهما اراد به الاكثر فتدبر (وفى الخلاصة من قال لولده يا ولد المجوسى اوقال ياولد الكافر قال بعض العلماء يكفر) قلت الاظهر انه لايكفر لانه اراد شتمه وقصد قذفه لاعنى انه بنفسه انه مجوسى اوكافر واللزوم ممنوع لتحقق الاحتمال والله اعلم بالحال (ومن قال لدابته الكافر اويا كافر الملك) اى يا ملك الكافر (ان كانت نتجت عنده كفر والافلا) اى لاحتمال ان يكون مالكه الاول كافرا (وفى فتاوى قاضيخان وهذا الكلام فيما اذا قال لولده اودابته ولم ينو شيأ اما اذا نوى نفسه كفر اتفاقا) اى لانه اقر بكفره * وفى الظهرية (من قال انا لااعلم الكاين كفر) وفيه بحث اللهم الا اذا اريد بالكاين يوم القيمة فيكفر لنفى علمه المستلزم منه نفى اعتقاده به * وفى الينمية (من قال انا على اعتقاد فرعون لايكفر) اى اذا اراد المشاركة الاسمية اومجرد الشرارة النفسية لاكفر فرعون وفرعونيته واباء الابلسية (ومن قال متعذرا) اى عن جهله لبعض الاحكام الشرعية (كنت كافرا فاسلمت) اى هذا قريبا به (قيل كفر وقيل لايكفر) قلت وهو الاظهر لان غايته ان يكون كاذبا فى قوله الاول فتأمل (ومن قال لاالعن اولست العن فى جواب من قال ان الله يلعن على ابليس كفر) اى لان ظاهره المعارضة كما سبق فى حديث الرياء والافالامتناع عن ابليس لايكون معصية فضلا عن ان يكون كفرا (ومن صنع صنما كفر) اى لانه رضى به واراد ترويجه (وفى فتاوى قاضيخان من قال دعنى اصر كافرا كفر) اى لانه نوى الكفر (اوولدت ان اكفر كفر) وفيه بحث يلزم من مقاربة الكفر مقارنته اللهم الا ان يراد قصدت الكفر وما كفرت فانه يكفر بقصده ونيته (اوقال دعنى فتجد كفرت

كفر) اى بظاهر كلامه وان احتمل انه اراد قاربت الكفر وفيه ماتقدم والله اعلم (وفى المحيط وفى فتاوى الصغرى ايضا من لقن غيره كلمة الكفر ليتكلم بها كفر الملقن وان كان على وجه اللعب والضحك) قلت (فما يحكى) ان مالكيا اوشافعيا رحمهما الله رجع الى بلده بعد تحصيل بعض الفقه فى مذهبه فكلما يسأل عن مسئلة فقال وفيها الوجهان لمالك رحمه الله والقولان للشافعى رحمه الله فقال له قائل (اى الله شك) فقال فيه الوجهان او القولان فكفروه * فيحكم بكفر ملقنه حيث رضى بكفره بناء على غلبة ظنه انه ينفوه بمقولة ما يوجب كفره (ومن امر امرأة بان ترتد وافتى به المستفتية كفر الآمر والمفتى وكفرت المرأة اولا) قلت وكذا من رضى بارتدادها فما اقبح فعل بعض العلماء الذين فى خدمة الامرآء حيث يعلمونهم الحيلة فى الاشياء فاذا استحسنوا امرأة متزوجة ولم يطلقها زوجها امروها بالردة ليتوسلوا بها الى نكاحها بعد اسلامها او ليلاقوها على كفرها ويجعلوها فى حكم الاسراء مملوكة ليقدروا على جماعها فوق مامعهم من النساء الاربع (وفى الخلاصة وكذا المعلم كفرت المتعلمة اولا) اى لان المعلم يشمل الملقن والمفتى وغيرهما (وفى المحيط من امر احدا ان يكفر كفر الآمر وكفر المأمور اولا) يعنى يستوى الحكم فى قبول المامور وامتناعه (ومن علم الارتداد كفر المعلم ارتداد الآخر اولا) قالوا هذا اذا علم بعلم الارتداد اما اذا علم لا يرتد بل ليعلم فيتحرز عنه لا يكفر المعلم وقال الفقيه ابو الليث اذا علم الارتداد وامر به كفر وان لم يأمر لاقلت الصحيح قول الجمهور فانه اذا علم طريق الارتداد وليرتد ويرتكب الفساد فلا شك انه كفر لانقلاب نيته فيما يجب عليه من الاعتقاد فالمدار على قصده وجزمه فى عزمه فيفيد انه اذا عزم على تعليم بالارتداد كفر بموجب الاعتقاد والله لا يحب الفساد * ويؤيد قولنا مانقل الجامع بقوله وفى المحيط وجمع الفتاوى (من عزم على ان يأمر احدا بالكفر كان بعزمه كافرا (وفى الخلاصة) من قال انا ملحد كفر) اى لان الملاحدة اقبح انواع الكفرة (وفى المحيط والحاوى لان الملحد كافر ولو قال ماعلمت انها) اى هذه الكلمة (كفر لا يعذر لهذا اعد فى حكم القضاء الظاهر وان كان بينه وبين الله مسلما لو كان صادقا (وفى الجواهر من قال لو كان كذا احدا والا اكفر كفر من ساعته وفى المحيط من قال (فانا كافر اوفا كفر كفر) يعنى فى جزاء الشرطية المتقدمة اومطلقا (قال ابو القاسم هو كافر من ساعته ولو قال احد الزوجين لآخر تفعل معى امورا كل زمان اكفر او قال كل زمان اقرب من الكفر كفر) وفى المسئلة الاخيرة نظر ظاهر لانه يمكن حمله على ان الشيطان يوقعنى فى الوسوسة النفسية والخطرات الروية بحيث يقربنى الى الكفر ولكن يحفظنى الله عنه بالطافه الخنيفية (او قال لآخر بعثنى متى اردت ان اكفر قلت وهذا ظاهر لان ارادة الكفر كفر وفى الفتاوى الصغرى من قال لآخر (كن ان شئت مسلما وان شئت يهوديا كلاهما عندى سواء كفر لان هذا رضاء بالكفر ومن رضى بكفر غيره يكفر انتهى) وتقدم الخلاف * ولا يبعد

ان يقال انه كفر لاطلاق قوله المستلزم ان يكون الملة الحنيفية واليهودية سواء الا ان سياق الكلام يدل على ان مراده استواء اسلام الخصم وكفره عنده لعدم مبالاته بامره (وفى الخلاصة وفى الحاوى قيل لمسلم قل لا اله الا الله فلم يقل كفر) اى لانه امتنع عن الاقرار وهو شرط اجراء احكام الاسلام بخلاف ما لو قال لا اقول بقولك او انا معلوم الاسلام (وفى اليتيمة فقال لا اقول بلا نية حضرت او على نية التأبيد كفر ولو نوى الآن لا) اى لا يكفر وهو يؤيد ما قررنا (وفى الجواهر وفى المحيط لو قال ما ربحت بقول هذه الكلمة متى اقولها كفر (وفى المحيط لو قالت كونى كافرة غير من ان يكون معك كفرت) لان المقام مع الزوج فرض (فقد رجحت الكفر على الفرض (وفيه بحث لان المقام مع الزوج لو كان فرضا لما ابيح الخلع فيمكن حمل كلامها على ان العشرة فى حال الكفر مع قبحها اهون على من العشرة فى صحبتك (ومن دعى الى الصلح فقال انا اسجد للصنم ولا ادخل فى هذا الصلح قيل لا يكفر) اى لان غاية كلامه ان دخوله فى الصلح اصعب او اقبح او اكره من الكفر مع انهما قبيحان (وقال برهان الدين صاحب المحيط وفيه نظر وعندى انه يكفر) قلت ولعل وجه نظره انه رجح الصلح الذى هو خير كما قال الله تعالى (الصلح خير) اى على الكفر الذى هو محض شر مع ما يلزمه من تحريم الصلح * ولو قرر منه على ان قوله انا اسجد للصنم اقرار بالكفر * وقوله لا ادخل فى هذا الصلح اخبار عن امتناعه * فيثبت كفره ولا يمنعه اخباره ثانيا وان كانت الجملة الثانية حالية (ولو قال ما امرنى فلان) اى من المشايخ او العلماء او الامراء (افعل ولو بكفر او قال ولو كان كلمة كفر كفر) اى لانه نوى الكفر فى الاستقبال فيكفر فى الحال ولقوله عليه الصلوة والسلام) لا طاعة للمخلوق فى معصية الخالق وهذا رجح حكم المخلوق بالكفر على امر الخالق بالايمان ونهيه عن الكفر (ومن قال انا برىء من الاسلام قيل يكفر) هكذا فى النسخ وهو غير صحيح اذ يكفر فى هذه الصورة بلا خلاف * وانما الاختلاف فيما اذا قال انا برىء من الاسلام ان فعلت كذا ثم فعله كما هو مقرر فى محله (وفى الحاوى من مر على مؤذن فقال كذبت كفر) وفى الخلاصة وفى الجواهر او قال صوت طرفة حين سمع الاذان او قراءة القرآن استهزاء كفر) وقوله استهزاء يفيد ما قررناه سابقا حيث اطلقه (وفى اليتيمة او قال لمؤذن يؤذن استهزاء لاذانه من لهذا المعروم الذى يؤذن وفى المحيط او قال هذا صوت غير المعارف صوت الاجانب كفر فى الكل) اقول اما اذا سمع صوت مؤذن غريب فقال هذا صوت اجنبى او غير معروف لا يكفر وهو يؤيد ما قررناه قوله (وان قال لغير المؤذن لا) يعنى اذا اذن بغير وقت استهزاء فقال له هذه الالفاظ * ولبس تاج الرفضة مكروهة كراهة تحريم * وان لم يكن كفرا بناء على عدم تكفيرهم لقوله عليه الصلوة والسلام (من تشبه بقوم فهو منهم) اما اذا كان فى ديارهم او مأمورا بان لبس مكرها على آثارهم فلا يضره * واما جواب بعض العلماء فى مقام الانكار عليه لبس هذه الكسوة وقلنسوة الازبكية ايضا بدعة فليس فى محله فانا ممنوعون من التشبه بالكفرة واهل البدعة

المنكرة

المنكرة فى شعارهم لا منهيون عن كل بدعة * ولو كانت مباحة سواء كانت من افعال اهل السنة او من افعال الكفرة واهل البدعة فالمدار على الشعار (وفى المحيط ولكن الصحيح انه يكفر مطلقا وضرورة البرد ليس بشئ لامكان ان يمزقها ويخرجها عن تلك الهيئة حتى يصير قطعة اللبد فتدفع البرد فلا ضرورة الى لبسها على تلك الهيئة * قلت يتصور الضرورة بان يكون المسلم اسيرا او مستأمنا او اعاره الكافر تلك القلنسوة فليس له ان يغيرها عن تلك الهيئة على ان تغير تلك الهيئة قد لا يكون من دفع البرد (ولو شد الزنار على وسط او وضع الغل على كتفه فقد كفر) اى اذا لم يكن مكرها فى فعله (وفى الخلاصة ولو شد الزنار قال ابو جعفر الاستروشنى ان فعل لتخليص الاسارى لا يكفر والا كفر ومن تزنر بزنار اليهود او النصارى وان لم يدخل كنيستهم كفر ومن شد على وسطه حبلا وقال هذا زنار كفر وفى الظهرية وحرم الزوج وفى المحيط لان هذا تصريح بما هو كفر وان شد المسلم الزنار ودخل دار الحرب للتجارة كفر) لانه تلبس بلباس كفر من غير ضرورة ملجئة ولا فائدة مترتبة بخلاف من لبسها لتخليص الاسارى على ما تقدم وقال (وكذا قال الاكثر) اى اكثر العلماء فى لبس السواد على منوال لبسهم المعتاد (وفى الملتقط اذا شد الزنار او اخذ الغل او لبس قلنسوة المجوسى جادا او هازلا كفر الا اذا فعل خديعة فى الحرب * وفى الظهرية ومن وضع قلنسوة المجوسى على رأسه فقيل له) اى انكر عليه (فقال ينبغى ان يكون القلب سويا او مستقيما كفر) اى لانه ابطل حكم ظواهر الشريعة * ومن قال فى غضبه كفر الرجل ثم قال لم ارد نفسى كفر ولم يصدق اى قضاء لا ديانة وفى الخلاصة (من قال صيرورة المرأ كافرا خير من الخيانة افتى ابو القاسم الصفار انه كفر اى لانه رجح المعصية التى هى صغيرة او كبيرة على الكفر الذى هو اكبر الكبائر اجماعا ميث قال الله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) معلم قال (اليهود خير من المسلمين يقضون حقوق معلمى صبيانهم كفر) وفيه انه يمكن حمله على انه اراد الخيرية من هذه الحيثية لا من جميع الوجوه الشرعية (وفى الظهرية من وعظوه ولاموه على العصيان ومخالطة اهل الفسوق واعلان المعاصى فقال اكسواه بعد اليوم قلنسوة المجوسى وان عنى) اى اراد هذا المعنى استقامة القلب (كفر اى لانه وعد بالاخبار عن الانكار بضد الاقرار المعتبر فى كونه شرط الايمان) الا انه قد يقال انه لا يكفر لاستقامة قلبه وحصول اقراره سابقا غايته انه نوى ان يلبس تلك القلنسوة ونية المعصية ليست بكفر فان المدار على المعرفة القلبية (ومن مر فى سكة النصارى ورآى جماعة منهم يشربون الخمر ويطربون بالمعازف والقنيات القنية الجارية الوصيف فايقة الحسن فقال هذه سكة العشرة ينبغى ان يشد الانسان قطعة الحبل فى وسطه ويدخل فيما بينهم ويطيب فى هذه الدنيا كفر) اى لما سبق ولزيادة ارادة تحليل ما حرم الله (وما احمقه) فان هذه العشرة الدنيوية الدنية يتصور ايضا فى الحالة الاسلامية مع ان تعذيبه سبحانه

له جعل تحت المشية فى العقوبة الاخروية على انه (لاعيش الاعيش الآخرة (وفى الخلاصة من اهدى بيضة الى المجوسى يوم النيروز كفر) اى لانه اعانة على كفره واغوائه وتشبه بهم فى اهدائه ومفهومه انه لو اهدى شيأ فى يوم النيروز الى المسلم لايكفر * وفيه نظر اذ التشبه موجود اللهم الا ان وقع اتفاقيا من غير قصد الى النيروز (وفى مجمع النوازل اجتمع المجوس يوم النيروز وقال مسلم سيرة حسنة وضعوها كفر) اى لانه استحسن وضع الكفرة مع تضمن استقباحه سيرة الاسلام (وفى الفتاوى الصغرى ومن اشترى يوم النيروز شيأ ولم يكن يشتريه قبل ذلك ان اراد به تعظيم النيروز كفر) اى لانه عظم عيد الكفرة (وان اتفق الشراء ولم يعلم ان هذا اليوم يوم النيروز لايكفر) قلت وكذا اذا علم ان اليوم لهو يوم النيروز لكنه اشتراه بسبب آخر من حدوث ضيافة ونحوها فانه لايكفر (ومن اهدى يوم النيروز الى انسان شيأ واراد به تعظيم النيروز كفر) ولو سأل المعلم النيروزية ولم يعطه المسئول عنه يخشى على المعلم الكفر (ولو اعطى المسئول عنه يخشى عليه ايضا الكفر * وفى التتمة من اشترى يوم النيروز مالا يشتريه غيره من المسلمين كفر * حكى عن ابى حفص الكبير لو ان رجلا عبد الله خمسين عاما ثم جاء يوم النيروز فاهدى الى بعض المشركين بيضة يريد تعظيم ذلك اليوم فقد كفر بالله العظيم وحبط عمله خمسين عاما * ومن خرج الى السدة) اى مجتمع اهل الكفر (فى يوم النيروز كفر لان فيه اعلان الكفر وكانه اعانهم عليه) وعلى قياس مسئلة السدة الى النيروز المجوسى والموافقة معهم فيما يفعلون فى ذلك اليوم توجب الكفر (وفى الجواهر من قيل له لاتأكل الحرام (فقال ايتنى بواحد لاياكل الحرام او بواحد لايأكله اؤمن به او اسجد له او اعزه كفر) اى لان المؤمن به هو الله وملائكته ورسله والسجدة حرام لغيره سبحانه * واما التعزيز سواء يكون بزائم راء او بزائين * فهو بمعنى التعظيم له * فلا وجه لكفره مع ان الايمان قد يأتى بمعنى الاعتقاد والسجدة بمعنى الانقياد (ومن قال ينبغى ان يوجد المال اويكون المال حلالا كان اوحراما اوقال من الحرام كان اومن الحلال) فهذا القائل الى الكفر اقرب منه الى الايمان اى لانه يدل على انه يستوى عنده الحرام والحلال الا انه لما فرق بينهما فى العقال ماحكموا بكفره فى الحال بل قالوا يخشى عليه من الكفر فى المآل (وفى الفتاوى الصغرى ومن قيل له لم لاتحول مول الحلال فقال مادام احد الحرام لااحول حول الحلال ولا التفت الى الحلال كفر) اى فى الحلال لانه عكس وضع الشرع الشريف حيث انه اباح الحرام عند فقد الحلال (وفى الظهرية قيل له كل من الحلال فقال الحرام احب الى كفر) اى * لانه خالف وضع الشرع فاحب ماكره الله ورسوله (اوقال يجوز لى الحرام كفر) اى لكونه صار اباحيا اما ان اراد به انه مضطر فيباح له الحرام لايكفر (وفى المحيط قيل لرجل حلال واحد احب اليك ام حرام ان فقال ايهما اسرع وصولا يخاف عليه الكفر) اى ان لم يكن مضطرا (ولو قال آكل الحرام قيل يكفر) اقول وهو الظاهر لقوله تعالى (قل لايستوى

الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث) حيث اختار رضد ما اختاره الله (ومن قال اعلن الاسلام او قال اظهره حين اشتغل بالشرب او قال اظهر الاسلام) وفى الخلاصة ومن يعصى ويقول ينبغى ان يكون الاسلام ظاهرا يكفر) اى لكون جعله شرب الخمر والمعصية ظاهر الاسلام والطاعة قلب موضوع الشريعة (وفى المحيط فاسق قال فى مجلس الشرب بجماعة الصلحاء تعالوا ايها الكفار حتى تروا الاسلام كفر) اى ان لم يكن هذا القول منه فى حال سكره (ومن قال احب الخمر ولا اصبر عنها قيل يكفر) اى ان اراد المحبة الرضاء الجبلية بخلاف ما اذا اراد به المحبة النفسية والطبيعية (ومن قال لوصب او اريق من هذه الخمر شئ لرفعه جبرائيل بجناحه كفر) قلت فى عبارات المهمة الفارضية فى قصيدته الخمرية * وكذا فى الاشعار الحافظية والقاسمية وامثالهم كلمات كفرية لمن حملها على المعانى الظاهرة كاهل الحاد والاباحة (وفى الجواهر من قال ليت الخمر والزنا والظلم او قتل الناس كان حلالا كفر) * وفيه بحث اذ غاية ماله انه تمنى على الله محالا * ولعل وجه كفره استحسان هذه المعاصى لكن اذا لم يكن على وجه الاستحلال لايكون كفرا فى الحال (وفى الخلاصة من تمنى ان لايكون حرم الله الزنا والقتل بغير حق او الظلم او اكل مال لايكون حلالا فى وقت من الاوقات يكفر) ومن تمنى ان لايحرم الخمر ولايفرض عليهم صوم رمضان لا يكفر) ولعل الفرق ان الاول من المجمع على حرمته فى جميع الكتب وعند سائر الرسل بخلاف الاخرين فانه كان شرب الخمر حلالا وصوم رمضان لم يكن فرضا على غير هذه الامة لكن لم تظهر نتيجة هذا الفرق فانه لافرق بين الحكم الالهى اولا بالعموم وآخرا بالخصوص (وفى الجواهر من انكر حرمة الحرام المجمع على حرمته او شك فيها اى يسوى الامر فيهما كالخمر والزنا واللواطة والربوا او زعم ان الصغائر والكبائر حلال كفر) اى لزعمه الباطل وهو واضح الا ان الصغائر معفوة بعد اجتناب الكبائر عند المعتزلة ومعصية عند اهل السنة ولو بعد التوبة عن الكبيرة (وفى اليتيمة من قال بعد استقامته بحرمة شئ او بحرمة امر اى فعل هذا حلال كفر) اى ان كان استقامته مطابقا للشرع (ومن اجاز بيع الخمر) اى اذا اجاز بيعها لاهل الاسلام دون اهل الجزية لايقال اهل الله البيع لان اللام لعهد وهو البيع المشروع اذ لايجوز بيع الخمر للمسلم اجماعا (ومن استحل حراما وقد علم تحريمه فى الدين) اى ضرورة (كنكاح المحارم او شرب الخمر او اكل الميتة والدم ولحم الخنزير) اى فى غير حال الاضطرار (ومن غير اكراه بقتل وضرب قطيع لايحتمل كفر وعن محمد بدون الاستحلال ممن ارتكب كفر) اى فى رواية شاذة عنه ولعلها محمولة على مرتكب نكاح المحرم فسياق الحال يدل على الاستحلال بخلاف بقية المحرمات والله اعلم بالاحوال قال (والفتوى على الترديد ان استعمل مستحلا كفر والا لا وان ارتكب من غير استحلال فسق (وفى الفتاوى الصغرى من قال الخمر حلال كفر) اى اولو كان من اهل غزوة البدر كما توهمه بعض الصحابة فى زمن عمر رضى الله عنه (وفى المحيط اوليس بحرام وهو

لايعلم انه حرام) الجملة حالية (لانه استحل الحرام قطعا) اى لو رووه نصا قاطعا ولايعذر بالجهل (وفى الخلاصة من قال لرمضان جاء هذا الشهر الطويل وفى المحيط او الثقيل او عند دخول رجب او بعقبها وقعنا فيه تهاونا برمضان اى بالمواسم) اى مواسم الخيرات وكرهها طبعا خلاف ما امر بحبها شرعا (كفر) فانه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل رجب يقول «اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان» (وفى الظهرية لو قال وقعنا فيه مرة اخرى تهاونا بالشهور المفضلة شرعا واستثقالا للطاعة) اى طبعا لا كسلا وضعفا (لو قال عند دخول رجب بفتنها اندر افتاديم) اى وقعنا فى محنتها وبليتها (كفر وان اراد به تعب النفس لا) اى لايكفر لانه امر جبلى لايدخل تحت اختيار العبد بل الاجر على قدر المشقة * وقد ورد افضل الطاعات احمزها اى اشدها واصعبها واحمصها (او قال كم من هذا الصوم) اى صوم رمضان (فانى مللت) اى كرهت (فهذا كفر) اى بخلاف الملالة بمعنى السامية فان نفيها مختص بالملائكة حيث قال الله تعالى «وهم يسأمون» (وفى المحيط من قال هذه الطاعات جعلها الله تعالى عذابا علينا) من غير تأويل (كفر) اى لان الله تعالى جعلها اسبابا لما يكون فى الآخرة ثوابا ويرفع عنه عقابا والا فالله غنى عن العالمين اى عن عبادتهم وعقابهم وثوابهم فى ذهابهم وقاء بهم (قال فان اوّل مراده بالتعب) اى اراد بالعذاب التعب لا اى لايكفر (ومن قال لو لم يقضه الله تعالى كان خيرا لنا بلا تأويل كفر) اى لان الخير فيما اختاره الله الا ان يئول ويريد بالخير الاهون والاسهل فتأمل (وفى الخلاصة رجل يرتكب صغيرة فقال له آخر تب فقال المرتكب ما فعلت اى شىء فعلت حتى احتاج الى التوبة وفى المحيط او قال حتى اتوب كفر) اى على قواعد اهل السنة خلافا للمعتزلة لما قدمنا تحقيق المسئلة (وفى اليتيمة لو قال لا اتوب حتى يشأ الله توبتى ورآه عذرا كفر) اى لانه لايجوز للعاصى حال ارتكاب المعصية ان يعتذر بالقضاء والقدر والمشية وان كان حقا فى نفس الامر ولذا ذم الله الكفار بقوله (وقالوا لو شاء الله ما اشركنا) مع قوله سبحانه ولو شاء الله ما اشركوا * وانما تجوز المعذرة بالمشية بعد التوبة وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حج آدم وموسى الحديث (وفى المحيط والخلاصة قيل لفاسق انك تصيح وتؤذى الله وخلق الله فقال ائتنى بالطبيب او نعم ما افعل) اى كفر الا اذا اراد بقوله انه مايفعل مايكون سببا لاذى الحق والخلق فانه لايكفر (ولو قال للعاصى هذا ايضا طريق ومذهب كفر) اى اذا اراد بهما مذهبا للشرع وطريقا للحق والا فلا شك ان المعاصى طرق ومذاهب وسبيل وسواء يكون كفرا او بدعة فانهما طريقان الى النار ومذهبان الى دار البوار ففى التنزيل (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وفى المحيط من تصدق على فقير شيأ من الحرام يرجو الثواب كفر) وفيه بحث لان كل من كان عنده مال حرام فهو مأمور بتصدقه على الفقراء فينبغى ان يكون مأجورا بفعله حيث قام بامر الله وطاعته * فلعل المسئلة موضوعة فى مال حرام يعرف صاحبه ويعدل عنه الى غيره فى عطائه

لاجل سمعة ورياء كما كثر هذا فى سلاطين الزمان وامرائه (وفى الخلاصة اوعلم الفقير انه من الحرام ودعاله وامن المعطى كفر وفى الظهرية دفع الى فقير شيأ من الحرام يرجو الثواب كفر ولو دعا الفقير بعد العلم بحرمته وامن من اعطى كفر اجميعا) اى لان الدعاء والتأمين انما يكون فى ارتكاب الطاعة وحال الحلال دون المعصية وارتكاب الحرام فتأمل فى المقام يظهر لك المرام فان المعطى قد يريد بعطائه هذا تخليصه من اثام الانام يوم القيمة (وفى الخلاصة من قال احسنت لماهو قبيح شرعا اوجودت كفر) اى كما اذا قتل سارقا اوشاربا (ولد فاسق شرب الخمر اول مرة وجاء اقرباؤه اومن يقرب اليه) اى من اصدقائه (اونثروا عليه) اى الدنانير اوالدراهم اوازهارا اواثمارا (كفروا ولولم ينثروا ولكن قالوا ليكن) اى شربه (مباركا كفروا ايضا) اى لان المعصية التى هى شوم عدوها مباركة فكانهم جعلوا الحرام حلالا مع زيادة البركة وفى معناه ماخلع سلطان اوامير على خطيب اوامام اومدرس اوغيرهم لباسا محرما فاتوه اصحابه وقالوا له مبارك اللهم الاان قصدوا بالمباركة المنصب لالبس الخلعة (وقال وايضا من قال حين شرب الخمر فرح لمن فرح بالرضا اوغسار اونقصان لمن لم يفرح بالرضا كفر) اى لان الفرح فرع الرضاء والمحبة وهو بالمعصية كفر والخسارة والنقصان لايكونان الا بالمعصية لابالطاعة كما قال الله تعالى (فما ربحت تجارتهم) وقد خسر الذين كذبوا بلقاء الله فلما عكس القضية وقع فى تيه الكفر ومضيض البلية (ولو قال حرمة الخمر لاتثبت بالقرآن كفر) اى لانه عارض نص القرآن وانكر تفسير اهل الفرقان * وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * وفى الآيات مبالغة عظيمة عند فهوم سليمة لايدركها عقول سقيمة (وفى اليتيمة من انكر حرمة الخمر فى القرآن كفر وفى الخلاصة من قال من لايشرب مسكرا فليس بمسلم كفر ومن استحل شرب نبيذ التمر الى السكر) اى الى حد سكره (كفر) اى بخلاف من استحل قليله خلافا للشافعية حيث قالوا ما اسكر كثيره فقليله حرام ايضا ومن استحل وطى امرأته حايضا كفر واللواطة معها كفر) اى سواء حال حيضها اوغيرها * وفى الاول خلاف لبعض السلف حيث اباحوله كما ذكره السيوطى فى تفسير المأثور المسمى بالدر المنثور فالاحوط ان لايحكم بكفره حينئذ (وفى المحيط استحلال الجماع فى الحيض كفر وقيل استحلال الجماع فى الاستبراء) اى من غير حيلة اسقاط (بدعة وضلالة وكفر) اى لانه حرام بلاخلاف الا ان ثبت حرمته بالسنة لابنص الآية وسيأتى تفصيل حسن فى هذه المسئلة (وفى المحيط مع اعتقاد النهى) فى الاستبراء للحرمة ان استحلها (قبل الاستبراء كفر واما الامام شمس الدين مال الى تكفيره من غير تفصيل وكذا عن ابن رستم (وفى الفتاوى عن ابن رستم انه استحل متأولا ان النهى ليس للتحريم اولم يعرف النهى اى لم يبلغه حديث النهى لايكفر ولو استحل مع اعتقاده ان النهى للحرمة كفر وعن ابن رستم فى النوازل التكفير مطلقا من غير تفصيل *

وفى اليتمية من رآى اى جوز واباح نكاح امرأة ابيه) اى عقدها ووطئها (صار مرتدا) ومن تمنى هدم حرمة مايقبح فى العقل كالظلم وقول الزور (كفر) وفيه انه يقدح ببعض ماتقدم مع انه لاعبرة فى الشرع والنقل لقبيح العقل ومن انكر حكمة مطر اونفى كفر انتهى * وفيه نظر لايخفى (ومن قال بعد قبلة اجنبية هى بى حلال كفر ومن تمنى ان لم يحرم الاكل فوق الشبع كفر) لان اباحته لاتليق الحكمة اى لان اكثر المضرة من التخمة وملئ المعدة كما ثبت فى السنة (وفى الجواهر من قيل له لم لم تزك فقال انى ما اعطى هذه الغرامة ولو قيل لمن وجبت عليه الزكوة اد الزكوة فقال لااؤدى كفر والصحيح التفصيل الذى ذكره بقوله (وقيل اذا قال على وجه الرد)اى ردحكم الله (والجحود) اى انكار وجوبها(كفر والالا ومن قال لآخر اعن بحق فقال كل احد يعين بحق اوعلى حق فاما انا اعينك بغير حق اوبظلم قال بعض العلماء كفر) اى ان استحل ذلك لقوله تعالى «وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان»(ومن قال لآخر رخ) اى اذهب (الى فلان ومره بمعروف فقال ما اضرنى اوقال ماذا جفانى حتى آمره بمعروف كفر) اى لاعتقاده ان الامر بالمعروف ليس بواجب وانه انما يأمر به من يأمر لعداوة نفسية وخصومة دنيوية وفى الظهيرية من قيل له الاتأمر بالمعروف فقال مافعل لى اوقال اى ضرر منه لى اوقال انا اخترت العافية اوقال مالى بهذا الفضول كفر) وفيه انه اذا قال اى ضرر منه لى لا يكفر لقوله تعالى(لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وكذا اذا قال انا اخترت العافية واراد به السكوت طلبا للسلامه مما يتوقع فيه الفتنة والآفة لايكفر فقد قال عليه الصلوة والسلام(اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك ودع امر العامة واما اذا قال مالى بهذا الفضول واراد به انه ليس من الواجبات المقررة فى الفضول على وجه الفضول فيكفر * بخلاف مااذا اراد به ان هذا الامر يتعلق بالامراء وبالقضاة ونحوهم من العلماء فانه لا وجه لكفره وفى الخلاصة اوقال لمن يأمر المعروف جئتم بالغوغاء اوبالشعب يخاف عليه الكفر) اى ان اراد بنفس الامر بالمعروف انه غوغاء وشعب بخلاف مايترتب عليه من ملاء وتعب (وفى الفتاوى الصغرى من قال انه مجوسى وبرئ من الله ان كنت فعلت كذا وهو يعلم انه قد فعله كفر قال الفضيلى وتبين امرأته ومن قال فهو يهودى اونصرانى ان فعلت كذا وهو يعلم بفعله كفر اقول الصحيح التفصيل الذى فى الجواهر ان اعتقد انه يكفر ان فعله كفر لان الاقدام عليه يكون رضاءً بالكفر فليس له تعلق بما تقدم لانه مفروض ماصدر عنه فى الماضى والاقدام عليه لايكون الافى الحال والاستقبال (وفى الفتاوى الصغرى من قال يعلم الله انى فعلت هذا وكان لم يفعل كفر) اى لانه كذب على الله * وقد قال الله تعالى (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا (ولو قال يعلم انه هكذا وهو يكذب كفر) اقول ولعل الفرق بين المسئلتين ان الاولى نسبة

فى الفعل

فى الفعل والثانى نسبة فى القول (وكذا لو قال الله تعالى يعلم انك احب الى من والدى وهو كذاب فيه كفر) قلت ولا يمكن صدقه الا اذا اراد به انه احب من بعض الوجوه (وفى المحيط لو قال الله يعلم انى لم ازل اذكرك بدعاء الخير قال بعضهم يكفر) اى ان اراد به الدوام الحقيقى فانه لا يتصور وقوعه فيكون كاذبا على الله بخلاف ما اذا اراد به المبالغة فى الكثرة فانه لا يكفر الا اذا كان ذكره له نادرا داخلا فى القلة (واذا قال هو يهودى او نصرانى او مجوسى او برئ من الاسلام وما اشبه ذلك ان فعل كذا على امر فى المستقبل فهو يمين عندنا والمسئلة معروفة فان اتى بالشرط وعنده انه يكفر كفر وان كان عنده انه لا يكفر متى اتى بالشروط لا يكفر وعليه كفارة اليمين) اى لا غير ويكون قصده بذلك الكلام هو المبالغة عن امتناعه وتقبيحه لذلك المرام (وان اراد بهذه الالفاظ على امر فى الماضى وعنده انه لا يكفر كاذبا لا كفارة عليه انه غموس) اى يغمس صاحبه فى النار لكونه كبيرا (فهل يكفر فهو على ما ذكرنا) اى كما مر رنا (وفى الماضى والمستقبل انه كان عنده انه يكفر كفر) لان رضاءه منه بالكفر والرضاء بالكفر كفر وعليه الفتوى (ولو قال بالله وبرومك او برأسك قال بعض المشايخ يكفر) حيث عطف غير الله سبحانه عليه وشاركه فى تعظيمه لديه (ولو قال بتراب قدمك عند الكل) اى لان فى الاولين مايشعر بتعظيم الله سبحانه فى الجملة وفى الاخير مايشير الى اهانته تعالى حيث قابل الرب الخالق بتراب قدم المخلوق وما للتراب رب الارباب (وفى المحيط وقال على الرازى رحمه الله اخاف على من يقول بحياتى ومماتك وما اشبه ذلك الكفر) لظاهر قوله تعالى (فلا تجعلوا لله اندادا) وبقوله عليه الصلوة والسلام (من حلف بغير الله فقد اشرك) ولكن لما كان الحالف اراد مجرد تعظيم نفسه او نفس مخاطبته فى الجملة لا على وجه المقابلة والمشاركة ما يجزم بكفره ويدخل فى قوله وما اشبه ذلك لو حلف بالنبى صلى الله عليه وسلم او روح النبى او مياة النبى صلى الله عليه وسلم او بالكعبة او الامامة وامثال ذلك (ولو قال ان العامة يقولونه ولا يعلمون بقلب انه شرك اى خفى لانه لا يمين اى منعقدة الا بالله تعالى (فاذا حلف بغير الله فقد اشرك) اى ظاهرا او شابه المشركين (وقال ابن مسعود رضى الله عنهما) لان احلف بغير الله تعالى صادقا اشد وانكر على من ان احلف بالله كاذبا (او قال لان احلف كاذبا احب الى من ان احلف بغير الله صادقا) قلت هذه الرواية صريحة فى عدم كفر من حلف بغير الله كما لا يخفى (وفى الفتاوى الصغرى من قال لآخر بالفارسية (اى بار خدايا) عالما بالمعنى وقاصدا به كفر وقال ابو القاسم وفى الظهرية واكثر المشايخ على انه يكفر مطلقا علم المعنى اولم يعلم قصده اولم يقصده) قلت هذا مشكل لانه اذا سمع كلمة عجمية ولم يعلم معناها واستعملها استعمال الاعاجم فى المخلوق وفق مقتضاها كيف يكفر مع انه لم يقصد مقتضى فحواها ثم رأيت فى منهاج المصلين مسائل * منها) ان الجاهل اذا تكلم

بكلمة الكفر ولم يدر انها كفر قال بعضهم لايكفر ويعذر بالجهل * وقال بعضهم يصير كافرا * ومنها انه اتى بلفظ الكفر وهو لم يعلم انها كفر الا انه اتى بها عن اختيار يكفر عند عامة العلماء خلافا للبعض ولايعذر بالجهل * ومنها) ان من اعتقد الحرام حلالا او على القلب يكفر * اما لو قال لحرام هذا حلال لتروبج السلعة وبحكم الجهل لايكون كفرا انتهى * ونقل صاحب المضمرات عن الذخيرة (ان فى المسئلة اذا كان وجوه توجب التكفير ووجه واحد يمنع التكفير فعلى المفتى ان يميل الى الذى يمنع التكفير تحسينا للظن بالمسلم ثم ان كان فيه الوجه الذى يوجب الكفر لاينفعه فتوى المفتى ويؤمر بالتوبة والرجوع عن ذلك وبتجديد النكاح بينه وبين امرأته (ومن قال عبد الله ك عبد العزيز ك وما اشبه ذلك مما اضيف العبد) الى اسم من اسمائه سبحانه (بالحاق الكاف فى آخره عمدا كفر) اى لانه اتى بالتصغير الموضوع للتحقير والمتبادر انه راجع الى المضاف اليه * لكن ان اراد به تصغير المضاف لايكفر لان يصير معناه عبيد الله وهذا اذا كان عالما ولذا قال (وان كان جاهلا لايدرى مايقول ولم يقصد به الكفر لايقال انه كفر) ويحمل انه ادخل الكاف لغوا وسهوا (سئل الامام الفضيلى عن الجوازات التى يتخذها الجاهل للقادم فقال كل ذلك لهو ولعب وحرام * ومن ذبح شاة فى وجه انسان فى وقت الحلقة او القدوم وما اشبه ذلك من الجوازات وفى المحيط او اتخذ جوازات كفر) اذا لم يسم الله فى ذبحها او شارك القادم فى التسمية واما بدون ذلك فلا يظهر وجه لكفره فى هذه القضية (وفى الظهرية سلطان عطس فقال له رجل يرحمك الله فقال الآخر لايقال للسلطان هكذا كفر الآخر) اى ان اراد بقوله لايقال لايجوز شرعا بخلاف ما اذا اراد به انه لايقال ذلك عرفا (وكذا اذا قال رجل للسلطان السلام عليك فقال له آخر هذا لايقال للسلطان ثم قال (ولو قال لواحد من الجبابرة ياالله اويا الهى كفر) اقول وانما قيد بكونه من الجبابرة لانه يكفر مع انه من ارباب الاكراه ففيره بالاولى (ومن قال لمخلوق ياقدوس او القيوم او الرحمن او قال اسما من اسماء الخالق كفر) انتهى وهو يفيد انه من قال لمخلوق ياعزيز ونحوه يكفر الا ان اراد به المعنى اللغوى لا الخصوص الاسمى * والاحوط ان يقول ياعبد العزيز * واما ما اشتهر من التسمية بعبد النبى فظاهره كفر الا ان اراد بالعبد المملوك (وفى المحيط ذكر فى واقعات الناطفى اذا قال اهل الحرب لمسلم اسجد للملك والا قتلناك فالافضل ان لايسجد لان هذا كفر صورة والافضل ان لايأتى بما هو كفر صورة وان كان فى حالة الاكراه) يعنى ولاسيما ومع الاكراه من العسكر لامن السلطان وفيه خلاف مشهور سيأتى بيانه (ومن سجد للسلطان بنية العبادة اولم تحضرها نية فقد كفر وفى الخلاصة ومن سجد له ان اراد به التعظيم) اى كتعظيم الله سبحانه كفر (وان اراد به التحية اختار بعض العلماء انه لايكفر) اقول وهذا هو الاظهر (وفى الظهرية قال بعضهم يكفر مطلقا هذا اذا سجد لاهل الاكراه) اى لمن يتأتى منه الاكراه ويتحقق منه ذلك بانه اكراه عليه

(مثل الملك عند ابي حنيفة رحمه الله وكل قادر على قتل الساجد) اى امتنع عند ابي يوسف ومحمد رحمهما الله (اما اذا سجد لغير الاكراه) اى ولو امر به على القولين يكفر (عندهم بلا خلاف واما تقبيل الارض فهو قريب من السجود الا ان وضع الجبين او الخد على الارض افحش واقبح من تقبيل الارض) اقول ووضع الجبين اقبح من وضع الخد فينبغي ان لا يكفر الا بوضع الجبين دون غيره لان هذه سجدة مختصة لله تعالى قال (واما تقبيل اليد فان كان المحيا ممن يحق اكرامه شرعا بان كان ذا علم) اى صاحب علم وعمل او شرف اى سيادة ذات سعادة (يرجى له ان ينال الثواب) كما فعل زيد بن ثابت بابن عباس رضى الله عنهم (واما ان فعل ذلك لصاحب الدنيا يفسق اى اذا فعل ذلك لمجرد دنياه او لمنصبه وغناه * بخلاف ما اذا فعل ذلك لاحسان سبق منه او ارادة دفع ظلم عنه او عن غيره فانه يكره لكنه لا يفسق واصل ذلك حديث (من تواضع لغنى لاجل غناه ذهب ثلثا دينه) لان آلة العبادة قلب ولسان وجوارح * وفى تعظيم الغنى لابد من استعمال اللسان والجوارح كذا قيل * واقول لا يتصور التعظيم الا من القلب فكان القائل به اراد ان هذا اذا كان تعظيم باللسان والاركان ظاهرا ولا يكون بالجنان باطنا والا فيذهب دينه كله هذا * والحديث رواه البيهقى وغيره باسانيد ضعيفة * وفى رواية للديلمى (لعن الله فقيرا تواضع لغنى من اجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه) وفى الخلاصة والفتاوى الصغرى ايضا قال الامام ابو منصور الماتريدى (من قال سلطان زماننا عادل كفر) لانه لا شك فى جوره والجور حرام ومن جعل ما هو حرام بيقين حلالا او عدلا فقد كفر) اى الا اذا اراد به انه عادل عن الحق كقوله تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) اى من توحيده يميلون * فان قلت كما انه يقع منه الجور يقع منه العدل * قلت لما كان جور سلطان زماننا اكثر فلا يقال انه عادل كما لا يقال لمن يصلى نادرا مصل ولا لمن يتقى معصية واحدة انه متق ولا لمن وقع منه معصية احيانا انه فاسق فان الحكم للاغلب كما فى العالم والجاهل والعارف والغافل * ثم قال (قال محمد رحمه الله اذا اكره على الكفر بتلف عضو او ما اشبه ذلك اى من ضرب مؤلم او جراحة ان تلفظ بكفر وقلبه مطمئن بالايمان ولم يخطر بباله شئ سوى ما اكره عليه لا يحكم بكفره) لقوله تعالى (الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) وان خطر بباله ان يخبر عن كفره فى الماضى كاذبا او قال اردت بذلك حين تلفظت جوابا لكلامهم وما اردت كفرا مستقبلا يحكم بكفره قضاء) اى محكومة لا ديانة (حتى يفرق القاضى بينه وبين امرأته لانه عدل عن انشاء ما اكره عليه (ويحكى عن كفر فى الماضى وهو غير الانشاء وهو غير مكره عليه ومن اقر بكفر فى الماضى طائعا ثم قال اردت الكذب يكفر ولا يصدقه القاضى لان الظاهر هو الصدق حالة الطواعية ولكن يدين) اى يقبل قوله ديانة (ولا يكفر لانه ادعى محتمل لفظه ولو قالت زوجة اسير تخلص انه ارتد عن الاسلام وبنت منه فقال الاسير اكرهنى ملكهم بالقتل على الكفر بالله ففعلت مكرها فالقول لها ولا يصدق الاسير الا بالبينة *

(فصل فى المرض والموت والقيمة) من قال كان الله ولم يكن شئ اى معه او قبله (وسيكون الله ولايكون شئ كفر لانه قول بفناء الجنة والنار) اى هما باقيتان لقوله تعالى فى حقهما واهلهما خالدين فيها ابدا * ولاعبرة بقول الجهمية وخلافهم فى هذه القضية (ومن قال لمن برأ من مرضه فلان ارسل الحمار ثانيا ومن قال لمن مات بذل روحه اليك او قال للمعمر مانقص من روحه الا ليزد فى روحك يخشى عليه الكفر) اى ان اعتقد وقوع ذلك لقوله تعالى (ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره الا فى كتاب) ولقوله تعالى (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها) والا فيكون كاذبا فى قوله (ولو قال زاد الله فى روحك فهذا خطأ وجهل ومذهب اهل الفساد) قلت وكذا اذا قال زاد الله فى عمرك واطال الله عمرك وابقاك الله ونحو ذلك قال (وكذا اذا قال نقص من روحه وزاد فى روحك ومن قال فلان بمرد وجان بتو سپرد كفر) اى لانه خالف قوله تعالى * قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم * والظاهر انه يكون كذبا لا كفرا * ثم اعلم انه الى هنا من كلام الجامع حيث مانسب الى احد * ثم قال على مافى نسخة (وفى فتاوى قاضيخان من قال فلان لا يموت بنفسه يخشى عليه الكفر) اى ان اراد انه لايموت الا بالقتل والا فكل احد لايموت بنفسه وانما يموت باماتة الله له بقبض ملك الموت لروحه (ومن قال اماته الله قبل موته كفر) اى ان اراد اخبارا بخلاف ماذا قصد دعاءه (ومن قال كان ينبغى الميت لله او لاينبغى كفر) اى اذا اراد انه يليق وجود الميت او نفيه لله (ومن قال لمن مات ابنه كان ينبغى لله او لاينبغى لله ان يقبض كفر) ومن قال (فلان اعطى روحه للسيد او لفلان او ابقى روحه له كفر * ومن قال لميت كان الله اهوج اليه منكم كفر) اى لان الله الغنى الحميد والصمد المجيد لايحتاج الى احد وكل احد محتاج اليه (ثم قال واعلم ان من انكر القيمة او الجنة او النار) اى وجودهما فى الجملة لا ختلاف المعتزلة فى كونهما موجودتين الآن (او الميزان او الصراط او الحساب فيه) ان المعتزلة ينكرون المسائل الثلثة (او الصحايف المكتوبة فيها اعمال العباد يكفر) اى لثبوتها بالكتاب والسنة واجماع الامة (ولو انكر البعث فكذلك) اى اتفاقا (ومن قال) اى لمظلوم (اين تجدنى فى ذلك الازدحام او فى ازدحام القيمة يكفر) اى لانه نفى قدرة الخالق على الجمع بينه وبين الخصم (ومن قيل له لوماتعطى الحق اليوم لاعطيته يوم القيمة كثيرا ماينبغى الى يوم القيمة كفر) اى ان استبعد وقوعه وتحققه لا ان اراد طول الزمان * ومن قال لمديونه اعط دراهمى فى الدنيا فانه لادراهم فى القيمة) يعنى فيؤخذ من حسناتك (فقال زدنى تأخذ فى يوم القيمة او اطلب فى القيمة او قال زدنى اعطيك كله او جعلته فى القيمة كفر) اى لان ظاهره انكار يوم القيمة او نفى خوف العقوبة او استهزاء ماثبت فى السنة من اخذ الحسنة (قال كذا اجاب الشيخ الامام الفضيلى وكثير من اصحابنا ومن قال اعطنى برا اعطك يوم القيامة شعيرا او على العكس كفر اى لانه صريح فى الاستهزاء وفى الفتاوى الصغرى وقاضيخان من قال لداين العشرة اعطنى عشرة

اخرى تأخذ يوم القيمة عشرين كفر ولو قال ماذا لى والمحشر اوقال لا اخاف المحشر اوقال لا اخاف القيمة كفر وفى الحاوى من زعم ان الحيوانات سوى بنى آدم لا تحشر لها كفر) اى لثبوت القصاص بين البهايم بالاحاديث الثابتة ثم يقال كونى ترابا فتصير ترابا وعند ذلك يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا (وان زعم ذلك) اى نفى الحشر كفر اى للادلة القاطعة (ومن قال لامرأته لم خلقنى الله تعالى اذ لم يعطنى من الدنيا شيأ قط اومن لذاتها شيأ قال ابو حامد كفر) اى لكونه خلق للعبادة والمعرفة ولم يعرف ذلك كما فى قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ولاعتراضه على الله سبحانه ايضا فى جعله فقيرا ولذا قال صلى الله عليه وسلم كاد الفقير ان يكون كفرا (ولو قال لا ادرى لم خلق الله فلانا كفر) اى لانه انكر على الله خلقه (وفى الجواهر لو امرنى الله ان ادخل الجنة مع فلان لا ادخلها كفر) اى فى الحال لانه عزم على مخالفة الامر فى الاستقبال ومخالفة الامر بمعنى نفى قبوله كفر (وفى الخلاصة اوقال ان اعطانى الله الجنة دونك اودون فلان لا اريد اوقال لا اريدها مع فلان اوقال اريد اللقاء ولا اريد الجنة يكفر اى للمعارضة فى الارادة وفى الظهرية اولا ادخلها دونك اوقال لو امرت ان ادخل الجنة فلانا لا ادخلها اوقال لو اعطانى الله الجنة لاجلك اولاجل هذا العمل لا اريدها كفر * وفى الخلاصة من قيل له دع الدنيا لتنال الآخرة فقال لا اترك النقد بالنسية كفر وفى الظهرية ينبغى الخير فى الدنيا فليكن فى الآخرة اى ما تشاء يكفر وفى المحيط من تلفظ بكلمة مستكرهة فقال له آخر اى شىء تصنع قد لزمك الكفر وان الله لم يكفر كفر اى بتلك الكلمة فقال اى شىء اصنع اذ الزمنى الكفر) وفيه بحث لا يخفى (ومن قال انا برئ من الثواب والعقاب اومن الموت والتراب فقد قيل انه يكفر) اى بناء على انكاره للامر المقطوع به من ثبوت الثواب والعقاب ووقوع الموت بلا ارتياب والصحيح انه لا يكفر لان البراءة عنها كناية عن عدم الالتفات عليها * وفى الخلاصة (ومن قال لآخر اذهب معك الى مافر جهنم او الى بابها ولكن لا ادخل كفر) وفيه نظر اذ معناه انى وافقتك فى كل معصية الا الكفر فلا محذور فيه الا الفسق ويدل على ماقلنا قوله (ومن قال الى جهنم وطريق جهنم يكفر عند البعض) لانه مع قوله لكن لا ادخلها كيف يكفر بلا خلاف وبدونه يكفر باختلاف * وفى الفتاوى الصغرى (من قال حين اشتد مرضه او اشتدت عليه وماشاء الله امتنى ان شئت مؤمنا وان شئت كافرا كفر) اى لاستواء الكفر والايمان عنده وان كان تعلق المشية فيهما (ومن قال حين تصيبه مصيبات مختلفة يارب اخذت مالى واخذت كذا وكذا فماذا تفعل ايضا اوقال ماذا تريد ان تفعل اوقال ماذا بقى ان تفعل اوما اشبه ذلك من الالفاظ فاجاب عبد الكريم بن محمد رحمه الله انه يكفر ولا يصدق بقوله اخطأت) اى لان ظاهر كلامه الاعتراض على فعله الماضى والآتى (وفى الجواهر قال ماذا تقدر ان تفعل فى غير السعير اوفوق السعير كفر) اى لحصر

قدرته فى تعذيب السعير (ومن قال اذا اعطى عالم فقير ادرهما يضرب الطبل او تضرب الملائكة الطبل يوم القيمة او فى السموات كفر) اى لانه ادعى علم الغيب وكذب على الملائكة ونسبهم الى فعل اللغو * وفى الظهرية (الساحر اذا علم انه ساحر يقتل ولا يستتاب ولا يقبل قوله اترك السحر واتوب بل اذا اقر انه ساحر فقد حل دمه * وكذا اذا شهد الشهود به ولو قال انى كنت ساحرا وقد تركت منذ زمان قبل الأخذ قبل منه) ولم يقتل وكذا لو ثبت ذلك بالشهود (وكذا الكاهن) قلت وفى كونه كالساحر يقتل محل بحث (وليس للنصرانى ان يضرب فى منزله فى مصر المسلمين بالناقوس وليس لهم ان يخرجوا بالصليبان او غيرهما من كنايسهم * وعبيد اهل الذمة لا يأخذون ٢ بالكستيجات وهو قلنسوة سوداء مضروبة من اللبد والزنار من الصوف هو المختار واما لبس النصرانى العمامة او الزنار الابريشم فجاء فى حق اهل الاسلام ومنكرة لقلوب المسلمين فلا يتركون عليهما ولو كان لمسلم ام او اب ذمى فليس له ان يقودهما الى البيعة وله ان يقودهما من البيعة الى المنزل) اى لان ذهابهما الى البيعة معصية ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق * واما اتيانها منهما الى منزلهما فامر مباح فيجوز له ان يساعدهما * ولعله آخر رجوعهما من البيعة بتوفيق التوبة وحسن الخاتمة * وينبغى ان يتعوذ المسلم من الكفر ويذكر هذا الدعاء صباحا ومساء فانه سبب النجاة من الكفر (اللهم انى اعوذ بك من ان اشرك بك شيأ وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم انت علام الغيوب وستار العيوب برحمتك يا ارحم الراحمين

٢ الكستيج بضم الكاف

Симферская мусульманская
مدرسه
كتبخانه
Симферская мусульманская

مصحح الكتب فى المطبعة
الكريمية حافظ محمد امين
ابن الحاج عبد الله
الصراطاغى

ومعينه : عبد الرحمن
النوركيى

فهرس منح الروض الازهر لشرح الفقه الاكبر لعلى القارى

صفحه		صفحه	
٢	الفقه الاكبر بتمامه	٨٥	بيان ان الايمان هو التصديق
٦	بيان التوميد	٨٥	بيان حكم من يؤول النصوص الواردة فى حشر الاجساد
٧	بيان علم الكلام	٩٣	بيان كيفية الميزان
١٥	بيان مآل علم الكلام	٩٥	بيان موضع الجنة والصراط
١١	بيان الواجب على المسلمين	٩٦	ثم من العقائد ان انطاق الجوارح حق
١٤	ثم العقايد يجب ان تؤخذ من الشرع	٩٨	واعلم ان اهل الحق اتفقوا على ان الله يخلق فى الميت نوع حيوة فى القبر
١٧	تقرير برهان التمانع	١٠٦	بيان اولاد النبى صلى الله عليه وسلم
٢٩	تحقيق الخلاف بيننا وبين المعتزلة فى صفة الكلام	١٠٧	بيان ازواجه صلى الله عليه وسلم
٣٤	قد افترق الناس فى مسئلة الكلام على تسعة اقوال		فهرس المسائل الملحقات فى الاعتقاديات
٤٣	(لطيفتان) فى حق العلم والتزام الجهل	١١١	تفضيل بعض الانبياء على بعضهم
٤٣	بيان الافعال الاختيارية للعباد	١١٤	ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كافة الانام
٥١	الخلق على ثلثة اصناف	١١٤	كانت الشرائع عند مقدم امره صلى الله عليه وسلم باسرها مندرسة
٥٣	بيان ان الاعمال ثلثة فريضة	١١٥	نبى واحد افضل من جميع الاولياء
٥٤	بيان ان الطاعة بحسب الطاقة	١١٥	تفضيل الملائكة فخواصهم افضل بعد الانبياء
٥٦	بيان ان مراتب ما ليس فى وسع البشر اتيانه	١١٥	بيان هاروت وماروت
٥٦	بحث الكبائر	١١٦	ويحرم فعل السحر بالاجماع
٥٨	بحث ان الانبياء معصومون	١١٦	تفضيل سائر الصحابة بعد الاربعة
٦١	بيان الخلافة ومدتها وترتيبها	١١٧	تفضيل التابعين
٦٨	بحث وخلافة النبوة ثلثون سنة	١١٧	تفضيل النساء
٦٨	بيان واول ملوك المسلمين ان المتأخرين فى هذا مذاهب	١١٨	تفضيل اولاد الصحابة رضوان الله عليهم
٧٣	ان رئيس المعتزلة واصل ابن عطا اعتزل عن مجلس الحسن البصرى	١١٨	الولى لا يبلغ درجة النبى
٧٣	مسئلة ماتقول فى حق ثلثة اخوة	١١٩	العبد مادام عاقلا وبالغا لا يصل الى مقام يسقط عنه الامر والنهى
٧٤	بيان مذهب المرجئة	١٢٥	النصوص تحمل على ظواهرها
٧٩	بيان ان الفراسة ثلثة انواع	١٢٥	هل يجوز رؤية الله فى الدنيا بعين البصر للاولياء
٨١	وابليس من الجن	١٢١	بحث رؤية الله فى المنام
٨٢	بحث الرؤية	١٢٢	المقتول ميت باجله
٨٣	النظر له معان		

صفحه		صفحه	
١٢٣	بحث الروح هل تموت	١٤٣	ان امام الحق بعد رسول الخلق على
١٢٣	ان الكافر منعم عليه فى الدنيا	١٤٤	ولاينعزل الامام بالفسق
١٢٤	لايجب على الله من رعاية الاصلح للعباد	١٤٤	من متعلقات هذه المسئلة انه يجوز الصلوة خلف كل بر وفاجر
١٢٤	بحث ان الحرام رزق		
١٢٤	ان الله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء	١٤٥	ان اليأس من رحمة الله كفر
١٢٤	وماهو الاصلح للعبد فليس ذلك بواجب على الله تعالى	١٤٥	تصديق الكاهن بما يخبره من الغيب كفر
		١٤٥	ومن جملة علم الحروف قال المصحف
١٢٥	ان خلف الوعيد كرم فيجوز	١٤٦	وقد تنازع العلماء فى حقيقة السحر
١٢٥	تجويز العقاب على الصغيرة	١٤٧	ثم الناس من اهل العلم فى حق رجال الغيب ثلثة احزاب
١٢٦	دعاء الاحياء للاموات وصدقاتهم عنهم نفع لهم فى علو الحالات	١٥٧	ان استحلال المعصية صغيرة كانت اوكبيرة كفر
١٢٨	لايجوز ان يقال يستجاب دعاء الكافرين	١٥١	بحث التوبة
١٢٨	ان الجنى الكافر يعذب بالنار اتفاقا	١٥٣	ثم اعلم ان التوبة لغة هى الرجوع
١٢٩	ان الشياطين لهم تصرف فى بنى آدم	١٥٤	وايضا قد نصوا على ان اركان التوبة ثلثة
١٢٩	ما اخبر الله تعالى من الحور والقصور والانهار لاهل الجنة ومن الزقوم وغير ذلك لاهل النار حق	١٥٥	اذا تاب صاحب الغيبة قبل وصولها الى المغتاب عنه
		١٥٧	لطيفة قيل لواحد من جيران ابى يزيد
١٢٩	ان المجتهد قد يخطئ وقد يصيب	١٥٧	ولو قال سلطان زماننا عادل
١٣٥	ان الايمان لايزيد ولاينقص	١٥٧	ان المسئلة المتعلقة بالكفر اذا كان لها تسع وتسعون احتمالا للكفر
١٣٣	ان الايمان والاسلام واحد		
١٣٤	ان العقل آلة للمعرفة والموجب هو الله	١٥٨	اعلم ان باب التكفير عظمت فيه المحنة
١٣٤	ومنها ان لايوصف الله بالقدرة على الظلم	١٦١	من انكر الاخبار المتواترة فى الشريعة كفر
١٣٤	العبد اذا وجد منه التصديق والاقرار صح له ان يقول انا مؤمن حقا	١٦٢	فصل فى القراءة والصلوة
		١٦٨	فصل فى العلم والعلماء
١٣٦	ومنها مايتفرع على هذه المسئلة	١٧١	فصل فى الكفر صريحا وكناية
١٣٨	ان تكليف مالايطاق غير جائز	١٧٧	حكاية فى هذه المسئلة وجهان
١٣٨	التحقيق ان للعبد مقامين	١٧٨	من مر على مؤذن فقال كذبت
١٣٨	الايمان مخلوق اوغير مخلوق	١٨٥	من اهدى بيضة الى المجوسى يوم النيروز
١٣٩	ان الايمان باق مع النوم والغفلة والاغماء والموت	١٨١	ومن اجاز بيع الخمر
		١٨٢	من قال لرمضان جاء هذا الشهر الطويل
١٣٩	ان ايمان المقلد الذى لادليل معه صحيح	١٨٣	من دفع لفقير شيأ من الحرام
١٤١	ان السحر والعين حق	١٨٥	واذا حلف بغير الله
١٤٢	ان المعدوم ليس بشئ	١٨٥	المسائل المروية من كتاب منهاج المصلين
١٤٢	مسئلة نصب الامام		